



حكايات وأساطير لاتينية

رامون لابال

ترجمها عن الاسبانية

أحمد عبد اللطيف

t.me/quressan



منشورات

ذروت السلاسل

الكويت

حكايات وأساطير لاتينية

جمعها وأعدّها: رامون لابال

ترجمها عن الإسبانية
أحمد عبد اللطيف



منشورات

أورس القليل

الكويت

أحمد عبداللطيف

حكايات وأساطير لاتينية

تصميم الغلاف: كريم آدم

الكويت: ذات السلاسل، 2020

318 ص : 20 سم.

الردمك: 7-80-727-9921-978

Ramon Laval

Tradiciones, leyendas y cuentos populares

De la tradición oral de Chile

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

1441 هـ - 2020 م

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفونوغرافي والتسجيل على الشريط أو القرص مسروقة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها، من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع



منشورات

ذات السلاسل

الكويت

E-mail: ths@thataalsalasil.com.kw
Web site: www.thataalsalasil.com.kw

الناشر، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع

@THATASALASIL

الكويت - ص.ب. 12041 الشامية 71651

@THATASALASIL

تلفون، 22466266/55 (+965)

thataalsalasilbookstore

فاكس، 22438304 (+965)

مقدمة

لا يظهر، في الحكايات الشعبية في تشيلي، حوريات طبيات أو شيريرات، لا غيلان ولا تنانين. فالدور الذي تلعبه الحوريات الطبيات في الحكايات الأوروبية، يتكفل به في الحكايات التشيلية العجائز أو الحيوانات، وكثيرًا ما تقوم به مريم العذراء أو القديس يوسف، أو الملاك الحارس للبطل، أو أي شخصية سماوية أخرى. أما الحوريات الشيريرات فدورهن، هنا، محجوز للساحرات، وهن عادة سيدات عجائز وفضيعات. بينما يقوم العمالقة أو العصابات أو الساحرات بدور الغيلان، كذلك الحيات أو أي نوع آخر من الحيوانات الخرافية؛ والتنانين يقوم بدورها ثعابين برأس واحدة أو بسبعة رؤوس. أما السحرة الذكور فلا يشغلون حيزًا في حكاياتنا.

الأبطال يشعرون بالإرهاق، أحيانًا، من بيوتهم أو في قراهم، وفي سن صغيرة جدًا يشعرون غالبًا في الخروج للركض والتجوال، لأنهم رجال ولكي يعرفوا العالم. عادة ما يكونون ثلاثة إخوة يسرون معًا إلى مكان ينقسم فيه الطريق إلى ثلاث تفرعات فيتخذ كل واحد منهم طريقًا، بوعد أن يجتمعوا في نفس المكان الذي ائترقوا فيه بعد

فترة معينة. لافتة للانتباه السهولة التي يقتل بها العمالقة الحيوانات الخرافية ويطيرون رؤوسها. نادرًا ما يستخدمون في ذلك قواهم وحدها، أو أسلحة معتادة، إذ يُحكى على الدوام عن «نجدة» هي عصا سحرية يتلقونها من سيدة عجوزة أو من كائن خارق، ويكفي أن يقول: يا عصا سحرية، بالفضيلة التي منحها لك الرب، افعلي كذا، وبذلك تتحقق رغبته.

أما المكان الذي تتحرك فيه الحكايات فهو الغابة، القصر، القلعة، المدينة المسحورة، الكهف، عمق البحر، والهواء في مرات نادرة. وعادةً ما يحدث أن يخطئ البطل، حين يجد نفسه في العالم تحت الأرضي، في العبارة التي يجب أن يستخدمها ليخرج إلى سطح الأرض، فلنقل ليصعد سبع أقدام، كما هبط سبع أقدام، وليستريح في المكان الملائم.

وحين يلتقي بكائنات غريبة أو بأشخاص يمتلكون شيئًا غير معتاد في الفانين، يسألهم عادةً: هل أنتم من هذه الحياة أم من الحياة الأخرى؟

الساحرات والعمالقة والحيوانات الخرافية يحبسون الأميرات المسحورات تحت سبعة مفاتيح، وحين يروح البطل لتحريرهم،

حكايات واساطير لاتينية |

يتنبأ الحراس من بعيد بوجود مؤامرة، ويصرخون: رائحة لحم بشري. ويعاملون الرجال كديدان الأرض.

الملوك والأمراء بسطاء جدًا؛ يتحدثون مع رعاياهم نداءً لند، ويمارسون الأعمال التي يقوم بها أي شخص عادي؛ يتزوجون من فلاحات أو أي فتاة فقيرة، كأن ذلك هو المعتاد.

الملوك يتلقون معاملة باعتبارهم «أصحاب السمو» (المقدس والجليل) وحين يعدون بشيء لا يحدثون أبدًا، لأن كلمة الملك لا يمكن إلا أن تنفذ. وعادةً ما ينجبون ثلاثة أطفال، بأسماء منتشرة، ومن بين هؤلاء يكون الصغير هو الابن المفضل، الأكثر حظًا، والذي، بعد مغامرات كثيرة، يتزوج بأميرة يتعسها ويطلق سراح عملاق مشؤوم أو حية لها سبعة رؤوس مثل عُدار ليرنا⁽¹⁾.

في الحكايات ثمة امرأة تقوم بدور البطة، وعادةً ما تكون هي الأخت الصغرى من ثلاث إخوات، أكثرهن جمالاً وأشدهن فضيلة، وبالتالي، هي المكروهة والملاحقة بأختيها، القبيحتين والعنيدتين. هذه الأخت الصغرى، أو الابنة من الزواج الأول، هي من تتزوج بالأمير، من تتمتع بالسحر، ومن يستطيع سحرها أن

(1) عُدار أو هيدرا، حية عظيمة لها تسعة رؤوس في الأساطير اليونانية (م).

يتفتت إلى تضحيات كبيرة واعتناء بالآخرين.

«نعال من حديد يجب أن تستهلك»، إنها اللعنة التي تلتقاها من الأمير الذي يعشقها، فتهرب مسحورة وقد استحالت عصفورًا أو حيةً أو سمكة، بعد أن خالفت أمره، وبعد أن لاحقها حسد أخواتها، أو لسبب آخر. تخرج الطفلة بحثًا عن الخير الذي فقدته وحين تكون على وشك استهلاك الحذاء الحديدي، تصل إلى جبل أو سهل حيث تجد امرأة عجوزًا فتسألها بلا تردد: ماذا تفعلين هنا، فلا العصافير حتى تسكن هذه المناطق؟ حينئذ تحكي لها مأساتها وفي معظم الأحوال تجد أخبارًا سعيدة وسلوى.

في حكايات كثيرة، يقام العرس مرتين؛ والمرة الثانية تأتي بعد انفصال أعقب زواجًا طويلًا.

والحيوانات، كما في الأساطير، تتحدث في الحكايات فيما بينها، كما تتحدث مع البشر، ما لا يلفت أبدًا نظر الأشخاص الذين يحكون أو ينصتون، كأن ذلك هو طبيعة العالم. وباستثناء الثعلبية والبقرة والمهرة والبغفانة والنملة، وذات مرة الحمل، فحيوانات القصص عادة تكون من الذكور.

يستخدم الرواة عادة صيغة التصغير، ويدخلون تعابير في هذه القصص من نوعية: حسنًا، حينئذ، الحكاية أنه قال له، يا للهول

يا بنيتي وروحي، وهي تعبير رأيت دائماً أنها غير ضرورية، لكني أحفظ، بقدر الإمكان، باللغة البسيطة المستخدمة.

أغلب حكايات الكتاب يمكن أن تُصنّف بأنها عالمية. كيف وصلت إلى تشيلي؟ كيف تجذرت في كاراوي؟ بالتأكيد لم يحملها إلى هناك رجل فرنسي، ولا إيطالي، ولا ألماني. والعامل بقريه كاراوي لا يعقد علاقات مع الأجانب القليلين الذين يقيمون في قريته، وهم أثرياء ينظرون إلى الفقراء من فوق إلى تحت. كثيرون ممن حكوا لي الحكايات لا يعرفون القراءة، وأباؤهم وأبناؤهم كذلك لا يقرؤون الخطابات. لم يتبق شيء، إذن، إلا التسليم بأن هذه الحكايات وصلت إلينا عبر التراث الشفاهي، منتقلة من الآباء إلى الأبناء، ربما عبر الاستعمار الإسباني. والحكاية تحتفظ بذاكرة السنوات الأولى، حكايات أصدقاء الطفولة والإخوة والآباء والوطن؛ وهؤلاء الرجال، المغتربون عن الأرض التي ولدوا فيها، باتوا محرومين ومحاطين بكل نوع من الم خاطر، وكان يعوزهم تحصين أرواحهم بتلك الذكريات.

رامون لابل

(باحث في التراث الأميركي اللاتيني)

حكايات

بحيرة المرأة

يُحكى أن السيد رودولفو جاليث كان لديه في خدمة قرية كاراوي بحيرة يسمونها بـ المرأة. يُحكى أن الفتيات الإسبانيات بالمدينة المستعمرة القديمة كنَّ يرُحن إلى ضفاف هذه البحيرة ليتمشطن، وكانت المياه النقية تعكس وجوههن، فكن يستخدمنها كمرآة: ومن هنا جاء اسم البحيرة. يضيفون أنه قبل قليل من تدمير المدينة، كانوا قد ألقوا فيها كل كنوزهم ومجوهراتهم، وألقى الجنود بنادقهم وأسلحتهم التي لم يستطيعوا حملها.

ومنذ سنوات ليست بعيدة، حمل رجل ألماني لقبه «تبير» إلى كاراوي مضخة لتجفيف المياه منها، لكن لا بد أنه واجه صعوبات كبيرة، إذ لم يستطع تجفيفها.

أساطير

1 - العذراء والحطاب

يحكى أنه ذات مرة هربت سيدة طيبة مع ابنها الطفل من يهود كانوا يطاردونها وابنها، مرت بحقل كان فيه حطاب يبذر حبوبًا في أرض حديثة الري. فسألته:

ماذا تبذر يا أخي؟

أبذر حجارة، رد الفلاح مستاءً.

واصلت السيدة الطريق مع رضيعها بين ذراعيها، وحين جاء اليهود وأوشكوا أن يلحقوا بها، وصلت إلى حقل آخر، وكان فلاح آخر يبذر البذور.

ماذا تبذر يا أخي؟ سألته السيدة.

قمحًا يا سيدة، أجاب الرجل بشفافية محترمة.

وفي نفس اللحظة نبت القمح ونما ووصل طوله إلى حد أن الهاربين كان بوسعهما الاختباء بين أعواده.

حكايات واساطير لاتبليّة |

ووصل اليهود إلى الفلاح الأول، وسأله رئيسهم بعد أن توقّف:

هل مرت من هنا امرأة بطفل بين ذراعيها؟

والحطاب أجاب:

منذ لحظة مرت من نفس هذا الطريق.

فواصل اليهود السير وعندما وصلوا إلى الفلاح الثاني، سأله

رئيسهم نفس السؤال السابق، والفلاح أجابه:

نعم يا سيد، من هنا عبرت؛ لكن ذلك حين كنت أبذر القمح

الذي نما الآن.

حينئذ عاد اليهود أدراجهم، معتقدين أن الفلاح الأول خدعهم،

ضربوه بالعصي.

حين جاء وقت الحصاد، حصد الأول حجارة فحسب، فيما

حصد الثاني ألف ضعفًا.

2 - العصفور والخفاش

حدث أن مجموعة أطفال كانت تلعب ذات مرة بتصويرات من الطين كانت تصنعها بنفسها. ثم ظهر لها فجأة الطفل المعجزة والشيطان وكلاهما اقترح رهاناً، أن يصنع كل منهما عصفوراً هو الأجل، وأن يكون الأطفال أنفسهم هم الحكام. وبدأ في العمل، وحين انتهى الطفل المعجزة من تصويرته، نفخ فيها ومررها إلى الأطفال ليختبروها: كل عصفوراً ملوناً واجتمع الأطفال على أنه شديد الجمال، وقالوا إن الشيطان لن يكون قادراً على صنع طائر بنفس الجمال.

أثناء ذلك، كان الشيطان يلين قطعة الطين الخاصة به، وكان يضحك إلى حد أن فمه كان يبلغ أذنيه، وكان يقول: سترون، سترون! فهذا العصفور القبيح لا ينفع في شيء، إنه بوجه راهب، أما ما أصنعه أنا فسيكون شيئاً جميلاً.

وأنهى الشيطان عمله، ونفخ فيه نفخة قوية كادت أن تطير الأطفال، وسألهم: ما رأيكم؟

عندما نظر الأطفال إلى الخفاش، وكان هذا ما صنعه الشيطان

حكايات واساطير لاتينية |

بيده، هربوا مذعورين، ورأوه ثقيلًا ومرعبًا وكرهه الرائحة، ولم تكن ثمة مقارنة بين ما صنعه الطفل المعجزة، حيث الجمال والرقّة، وبين ما صنعه الشيطان، وهو عمل كرهه بكل المعاني.

لقد سمعت نفس هذه الأسطورة يحكونها بطريقة أخرى.

كانت سيدة طيبة تسلي ابنها المعجزة، فصنعت من عجيب الدقيق الذي أعدته للخبز صورةً لطائر وأعطته له. وحين أمسك به الطفل تحول إلى عصفور، ولأنه طائر مولود بين يدي طفل معجزة، تمتع بكل ظُرف العالم أجمع.

حينها صاح الشيطان حسودًا لما رآه:

أنا أيضًا سأصنع عملاً يساوي العصفور في الجمال أو يفوقه.

فمد يده وأخذ بعض العجين الجاف وصنع خفاشًا، فكان الابن مثل أبيه، ينشر الرعب والانتقام.

حكايات

1 - زهرات الزنبق الأبيض

علينا أن نعرف أنها حكاية ملك كان لديه ثلاثة أولاد: الأكبر يسمى بيدرو، والأوسط يسمى كارلوس، والأصغر خوان. كان لديه أيضًا ابن من زوجة أخرى، وكان يسمى خوسيه.

هذا الملك، بعد مرض طويل ومؤلم على مرثى من الجميع، أصابه العمى الكامل، وكان يعاني أشد المعاناة، لأنه عجز عن رؤية الأشياء.

وذات ليلة حلم بأنه سيسترد بصره لو مرت على عينيه زهرة الزنبق الأبيض، وأنه سيعود بخير كما كان قبل المرض.

في تلك الأزمنة، لم يكن ثمة زهور زنبق بيضاء، وبالتالي فكّر الملك أنه من المستحيل الحصول على عينة من تلك الزهرة. مع ذلك، نادى لبيدرو، ابنه الأكبر، وطلب منه أن يحضر له الزهرة، ولو فعل سيمنحه التاج. وافق الأمير، وطلب مهلة لمدة عام، واتفقا على ذلك، وانصرف وهو يحمل حمولة من الفضة سلّمها له الملك.

حكايات واساطير لاتبيلية |

مرت أيام كثيرة، أكثر من شهر، وفي النهاية وصل إلى مدينة جميلة وراح ليقيم في أفضل نُزلها.

كان أمام النزل بيت كبير، وفي إحدى شرفاته كان هناك ثلاث فتيات جميلات وشابات، وحين رأين الأمير يصل قلن:

هاهو أحقق ثري مقبل، هيا لننزع ريشه.

وتوجهن إلى النزل، حيث جلس بيدرو إلى إحدى مناضد المطعم، وكانت عند مدخله. فجلسن إلى نفس المنضدة مع الأمير برغبة أن يفتحن معه حوارًا.

كانت الشابات لطيفات جدًا ومرحات، واستخف الأمير دمهن، وجذبه خاصةً البنت الكبرى. حينئذ تراجعت الفتاتان الأخريان بعد أن أكل الأربعة، وواصل الأمير حديثه مع الفتاة. واتفقا على الزواج، لكن الفتاة كانت تريد التعرف إلى الشاب خلال فترة، لتعرف طباعه وصفاته الأخرى. راح الأمير ليعيش معهن، والفتيات عاملنه بأفضل طريقة، إلى حد أن الأمير تكفل بكل نفقات البيت؛ ولأن الشابات كنّ صديقات للبذخ، معتادات المجوهرات، ولأنه سخي، وعاشق كريم، حدث ما كان يجب أن يحدث، حمولة الفضة كانت تتناقص حتى تلاشت فلم يتبق منها شيء، فمن المعروف أنه «خذ من التل، يختل».

حين حدث ذلك، قامت الفتيات بطرد بيدرو من البيت. يا بيدرو يا مسكين! بدون سنت واحد في جيبه، بدون عمل يعرف أن يؤديه وفي بلد غريب، فلا أحد يعرفه. ماذا يمكن أن يفعل؟ كيف سيكون حاله؟ بقي في الشارع بأسوأ ملابس يمتلكها، وباع كل ما لديه، هكذا استطاع جمع عدة بيزوات نفعته في توفير بعض الطعام والنزول في نزل فقير لعدة أيام. لكن ما ربحه نفذ منه أيضًا، ولكي يواصل الحياة اضطر إلى أن يعمل كصبي ببعض الاسطبلات، حيث كانوا يدفعون له أجره بائسة.

ومر العام الذي طلبه كمهله، وحين رأى كارلوس، الابن الثاني للملك، أن بيدرو تأخر، اقترب من أبيه وطلب منه الإذن في الخروج للبحث عن الزنبق الأبيض، واعدًا إياه بالعودة بالزهرة في غضون عام. فمنحه الملك الإذن المطلوب وأعطاه حمولة من الفضة.

وخرج كارلوس، وبعد السير لأيام طويلة، أكثر من شهر، وصل إلى نفس المدينة التي وصل إليها أخوه بيدرو من قبل، ونزل في نفس النزل.

والفتيات الثلاث، اللاتي كن يتحدثن في الشرفة، رأينه عند وصوله، وقلن:

هاهو أحرق ثري مقبل، هيا لننزع ريشه.

وانتظرن حتى دخل الفندق، وبعد لحظة كن جالسات بجانبه إلى نفس المائدة التي شغلها الأمير.

كان كارلوس أكثر غرامًا من بيدرو، وفي وقت أقل وبمجهود أقل من أخيه، وقع في شباك الفتاة الثانية، وفي وقت أقل أيضًا تلاشت الفضة التي كانت معه. وحينئذ وجد نفسه مثل أخيه الأكبر، مطرودًا من البيت، وفي النهاية قدم خدماته كصبي في نفس الاسطبل الذي يعمل فيه بيدرو.

ومر عام المهلة الذي طلبه كارلوس، وفكر خوان، الابن الأصغر، بما أن أخيه لم يصل، سأروح أنا. فراح إلى أبيه وقال له: الآن جاء دوري يا أبي، لكن اسمح لخوسيه أن يصحبني. اتفقنا، خذ خوسيه معك، أجب الملك.

وسلمه حمولة من الفضة في حين وعده الابن ألا يتأخر أكثر من عام في مهمته.

ورحل خوان ومعه خوسيه، وبعد أيام كثيرة، أكثر من شهر، وصل إلى نفس المدينة حيث وصل أخواه ودخل مع خوسيه نفس

التزل حيث نزل هذان.

وكانت الأخوات الثلاثة يتحدثن في الشرفة، وحين رأين خوان يصل، قلن:

هاهو أحرق ثري مقبل، هيا لننزع ريشه.

ودخلن الفندق وراء خوان وجلسن إلى نفس المائدة.

لكن خوان لم يعرهن اهتمامًا، وطلب طبقين فحسب، وبدأ يأكل مع خوسيه في طمأنينة. انتهى من الطعام، وبيخ خوان الشابات الثلاث على سلوكهن مع أخويه وأمرهن بأن يعترفن بمكانيهما. في البداية أنكرن معرفتهن بهما، لكن أمام موقف الأمير القوي اضطررن للاعتراف بكل شيء وإعادة المال الذي أنفقه عليهن.

راح خوان ليلبحث عن أخويه وعثر عليهما وقد غديا خادمين بائسين، قذرين وبملايس رثة. امتلأت عين خوان بالدموع، واصطحب بيدرو وكارلوس إلى التزل، وألبسهما ملابس الجديدة وفي الحال أعاد إليهما الفضة التي استردها من الفتيات.

وفي اليوم التالي، قال خوان لأخويه:

هيا لنبحث عن زهرة الزنبق الأبيض.

حكايات واساطير لاتينية |

ثم خرجوا مع خوسيه من المدينة، وقبل أن يتعدوا عنها كثيرًا توقفوا في مفترق طرق يتشعب إلى ثلاثة.

أنا أخذ هذا الطريق مع خوسيه؛ فليختر كل واحد منكما طريقًا من الطريقين الباقين، ولنجتمع في نفس هذا المكان بعد عشرة أشهر.

وأنا أخذ هذه الطريق، قال بيدرو.

وأنا أخذ الطريق الأخرى، قال كارلوس.

وتعانقوا ورحل كل واحد فيهم في الطريق التي اختارها. لكن كارلوس وبيدرو، بعد ثوانٍ قليلة، عادا إلى الورااء ورجعا إلى المدينة.

وواصل خوان طريقه مع خوسيه، وكلما قابل شخصًا سأله أين يمكن أن يعثر على الزنبق الأبيض، لكن ما من أحد كان يدله، لأنه ما من أحد في الحقيقة يعرف هذه الزهرة النادرة ولا سمع عنها من قبل.

في النهاية وصلا إلى تل به سبيل يؤدي إلى القمة، وفي طريق الصعود قابلا عجوزًا بشعر طويل وأشعث، وبأظافر طويلة جدًا،

ويده مسبحة. فسأله خوان:

أيها الجد، هل تعرف أين يمكن أن أجد زهرة الزنبق الأبيض؟

نعم يا بني؛ لكن العثور عليها شاق جدًا. قص لي شعري وأظافري، فمنذ مئة عام لم يقربها مقص، وسأقول لك أين تجد الزهرة.

تعجل خوان، ليس فحسب في قص الشعر والأظافر، إنما أحضر ماءً لخوسيه وغسلا للعجوز وجهه ويديه ونشفاه بالمشفة.

شكرًا يا بني، قال العجوز. لقد مر من هنا أناس كثيرون لكن ولا واحد منهم أسدى لي هذا المعروف. من أجلك ستكون زهرة الزنبق الأبيض. في قمة هذا التل، حيث ينتهي الطريق، هناك شجرة حور لها أوراق كثيرة، تسلقها أنت وسيربطك خوسيه جيدًا، حينئذ خذ جانبًا، وحين تصفر ريح قوية جدًا، توشك أن تقتلع الشجرة من جذورها، لا تفك القيود أبدًا، لأنك لو وقعت لن تعثر على زهرة الزنبق الأبيض وستفقد أنت للأبد. وحين تتوقف الريح عن الحركة وتسود السكينة، يجب أن يفكك خوسيه، حينها اهبط، وسترى في ساق شجرة الحور ثمة باب مفتوح، ادخل منه، وفي الجزء الأول بعد الباب، ستجد مائدة وفوقها ثلاث زهرات زنبق: واحدة بيضاء،

حكايات واساطير لاتينية |

وأخرى وردية، وثالثة بنفسجية. في نفس المائدة، ستجد قنينة نبيذ وخبزًا، وفي أحد الأركان ستجد سيفًا متحركًا. خذ الزهرات وهذه الأشياء الثلاثة. القنينة، مهما شربوا من نبيذها، لا تنفذ أبدًا؛ والخبز، مهما أكلت من فتاته طوال اليوم، لا ينفذ أبدًا؛ والسيف الذي يتحرك دومًا، له مزية كبرى: حين ترى نفسك في خطر، الجأ إليه واسحبه من غماده، وحين ترغب في شيء، اطلبه منه وسيمنحه لك.

يصعد خوان ومعه خوسيه إلى التل، وعند الوصول إلى القمة يتسلق خوان إلى أعلى نقطة في شجرة الحور ويواصل خوسيه خلفه. وبعد ربط خوان بقوة، ينزل خوسيه ويختبئ بين الصخور، ومن هناك كان يمكن له أن يرى كل ما يحدث.

وفي الحال صفرت الرياح بقوة، حد أن رأس الشجرة المربوط بها خوان كادت تقتلع من الأرض وكان يبدو أن خوان سيتهاوى.

استمرت الرياح لوقت طويل، لكنها في النهاية انتهت، وتوقفت الشجرة عن الحركة.

وبعد أن تجرد من قيوده، نزل خوان وفي الحال رأى بابًا كان حتى ذلك الحين غير مرئي، وانفتح الباب عند ساق شجرة الحور، فدخل منه، وبقي خوسيه بالخارج.

كان المدخل مظلمًا، لكن كلما تقدم خوان، كان النور يغمر المكان كله. عبر أولًا ممرًا طويلًا، وفي النهاية وصل إلى غرفة كان في منتصفها قطعة أثاث، لم تكن إلا منضدة، وفوقها ثلاث زهرات زنبق، احتفظ بها في جيب؛ وفي الجيب الآخر احتفظ بالخبز والزجاجة، ثم قبض على السيف الذي كان يتحرك باستمرار وشده على خصره.

ثم واصل طريقه إلى الداخل حتى بلغ غرفة بها طفلة مضطجعة، نائمة، بوجه مغطى. اقترب من السرير وكشف وجهها؛ كانت جميلة جدًا، لكن، بعد تأمله للحظة، غطاه مجددًا وواصل طريقه.

في الغرفة الأخرى كان ثمة سرير فوقه طفلة أخرى نائمة؛ كشف وجهها، فكانت أجمل من الأولى، لكن، بعد أن تأملها للحظة، غطى وجهها أيضًا وعبر إلى غرفة ثالثة.

في الغرفة الثالثة وجد طفلة نائمة أيضًا، ومثل السابقتين، كان وجهها مغطى. تقدم خوان، وكشف وجهها ليبقى مدهوشًا أمام جمالها الذي لا مثيل له. تأملها وقتًا طويلًا، كاتمًا أنفاسه حتى لا يوقظها؛ لكنه كان مضطرًا للخروج. حينئذ مال ناحيتها، وطبع قبلة على فمها وتراجع، تاركًا وجهها مكشوفًا.

حكايات وأساطير لاتينية

خرج خوان سعيدًا للغاية، لأنه حمل معه الزهرة التي قد تعيد البصر إلى أبيه الملك، ولم يكن يصدق ساعة العودة لرؤيته ليعيد له البصر والضحة والسعادة.

ثم وصل مع خوسيه، بعد جولة طويلة، إلى مدينة صغيرة وطلبوا النزول في أول بيت صادفوه. وبكل سرور منحوهما التزل، لكن في لحظة الجلوس إلى المائدة، قال لهما صاحب البيت:

آسف لأنه ليس بوسعي أن أخدمكما كما أريد وكما تستحقان؛ في هذا البلد لدينا كل شيء إلا النيذ، نادر جدًا ويجب إحضاره من مكان بعيد جدًا. والآن بالتحديد ما من قطرة واحدة في المدينة بأسرها.

لا تضايق نفسك لأمر يسير، ياسيدي، قال له الأمير. أنا معي نيذ هنا، وأعتقد أن هذه الزجاجاة تكفي الجميع ويفيض.

وأخرج الزجاجاة ووضعها على المائدة.

وجلست معهما العائلة. كانت عائلة كبيرة العدد. وبعد الطبق الأول، طلب الرجل الإذن وقدم لهم جميعًا النيذ، لكن المفاجأة الكبرى أن رأوا الزجاجاة لا تزال ممتلئة. وعاد بعد الطبق الثاني لملء الكؤوس، وظلت الزجاجاة على حالها، كأنها لم تنقص شيء.

حينها قبض الرجل على الزجاجة وخرج إلى الممر، حيث ما لا يقل عن خمسين عاملاً كانوا يأكلون، وقال لهم:

اليوم يوم النبيذ، فلا أحد يشرب ماءً، وملأ لهم الأكواب.

وفي اليوم التالي، عندما ودّع خوان مضيفه، طلب منه هذا أن يبيعه الزجاجة، فقال له خوان:

لا يمكنني أن أبيعها لك، لأنها ليست ملكي، لكن يمكنني أن أتركها أمانة لديك حتى يطلبها مني صاحبها.
وتركها له.

وواصل خوان وخوسيه سيرهما لعدة أيام، حتى وصلا إلى مدينة أخرى صغيرة، وطلبا النزول في أول بيت صادفهما.

لدينا إقامة وحسن معاملة، قال صاحب البيت، لكن ينقصنا شيء للمائدة.

ما هذا الشيء؟ سأل خوان.

الخبز يا سيد، لقد نفذ من المدينة بأسرها.

لو كانت هذه هي المشكلة، فلا تشغل بالك، لدي ما يكفي من خبز للجميع.

حكايات واساطير لاتينية

وأخرج ما كان يحمله في جيبه، ووضعه على المائدة.
وجلسوا إلى المائدة جميعاً، وبدأت زوجة صاحب البيت في
الحال في تقطيعه لشرائح، وحدث شيء مدهش أثار ذهول الجميع:
كانت السيدة تقطع الشرائح واحدة وراء أخرى، مع ذلك بقي الخبز
كاملاً دون نقصان، كأن أحدًا لم يلمسه.
كان الخبز لذيذاً، والعائلة، عند تذوقه، لم تذوق حتى بقية
الطعام.

وبعد أن شبعوا، أخذ الرجل الخبز ودخل لعمق البيت، حيث
كان هناك، في الممر المتسع، وحول مائدة طويلة، ما لا يقل عن
خمسين عامل كانوا ينتظرون كالعادة نصيبهم من الفاصوليا.
لا أحد سيأكل الفاصوليا اليوم، قال الرجل للعمال؛ اليوم يوم
الخبز.

وبدأ في تقطيعه إلى شرائح وشرائح حتى بدا أنه لن ينتهي أبداً،
والخبز كان دائماً كاملاً.

كانوا من قبل يأكلون الفاصوليا بنهم، لكنهم اعترفوا أنهم لم
يتذوقوا قط طعاماً أشهى من الخبز.

وفي اليوم التالي، حين همّ خوان ليودعه في الصباح، ترجاه الرجل أن يبتاع منه الخبز، لكن خوان قال له:
لا يمكنني أن أبيعك لك لأنه ليس ملكي، لكن يمكنني أن أستودعه لديك حتى يطلبه صاحبه.
وترك له الخبز.

وواصل خوان ورفيقه مسيرتهما لأيام طويلة حتى وصلا إلى مدينة أخرى، واقترحا أن يناما هناك. وبالفعل، دخلا أول بيت صادفاه، فقابلهما رجل يقظ جدًا.

وبعد السلامة والتحيات، شد خوان السيف من غماده وعلقه على مسمار. كان السيف يتحرك باستمرار، دون أن يهدأ للحظة.

أكلًا، ونامًا، وباكراً في اليوم التالي، نهضًا، وحين همّ بتوديع الرجل، طلب منه الأخير أن يبتاع منه السيف، لأنه مضطر إلى التوجه إلى الحرب قد نفذت السيوف من تسليح البلد.

لا، لا يمكنني أن أبيعك لك لأنه ليس ملكي، قال له خوان. لكن يمكنني أن أستودعه لديك حتى يطلبه صاحبه.

وترك له السيف وشرعا في السير، ثم بعد مشي طويل وصلا

حكايات واساطير لاتينية |

إلى مفترق الثلاثة طرق حيث افترقا عن أخويهما منذ شهور فاتت
وحيث وجداهما في الانتظار.

تعانقوا بود، ثم سألا خوان إن كان قد عثر على الزنبق الأبيض،
وأجاب خوان بنعم، لكن بدلاً من أن يطلعهما على الزنبق الأبيض،
أطلعهما على الزنبق البنفسجي وقال لهما هي هذه.

تحدثوا لمدة طويلة وحكى لهما مغامراته، وفي الحال شرعوا
في السير.

كانوا قد ساروا كثيراً وكان القيظ شديد، هكذا شعروا بأنهم
منهكون ويأكلهم العطش، لكن لم يكن من ماء قريب فراحوا
ليبحثوا عنه، فيما بقي خوسيه بالقرب من الجياد.

ثم وصلوا إلى وادٍ عميق جداً، يقطعه ما يشبه الصخور، وبينها
بثر بلوري.

قال كارلوس لبيدرو:

انزل أنت أولاً ثم سننزل نحن.

فربط بيدرو بحبل شديد ودفعا للهبوط، أطفأ ظمأه وأشار لهما
ليرفعا.

ثم نزل كارلوس في الحال، وبعد أن رفعاه ربطا خوان وأنزلاه. وحين كان في المنتصف تقريبًا قطعاً الحبل فسقط متهاويًا نحو العمق، وقضى نحبه.

حيثنذ أنزل كارلوس أخاه بيدرو، ففتش هذا جيوب خوان وأخذ الزنبق البنفسجي، معتقدًا أنها الزنبق الأبيض. ثم رفعه كارلوس ورحلا، تاركين خوسيه مع الجياد.

ثم وصل بيدرو وكارلوس إلى الملك، يشعان بسعادة جمّة لأنهما اعتقدا أنهما بذلك سيكونان أصحاب المملكة، وسلما زهرة الزنبق إلى الملك. وفي الحال مرر الملك الزهرة على البصر، لكن ما حدث، بدلًا من علاج العمى كما كانوا جميعًا ينتظرون، أنه فقد البصر تمامًا.

وقال الملك:

هذه ليست الزنبق الأبيض، لقد ساء حالي وبقيت أعمى تمامًا. لم يتبق لي من أمل إلا خوان. لا يزال أمامي عدة أيام ليكتمل العام الذي طلبه كمهلة. هو من سيحضر لي الزنبق الأبيض ويداويني.

ولم يتجرأ لا بيدرو ولا كارلوس ولا حتى على النظر إليه، وشعرا بتأنيب الضمير من جريمة عديمة الجدوى اقترفاها، وبرأس

مطرة انصرفا إلى غرفتيهما.

فلنعد إلى خوان وخوسيه.

في اليوم التالي للفعلة القبيحة التي فعلها بيدرو وكارلوس،
وحين رأى خوسيه أن إخوته لم يأتوا، خشي أن تكون كارثة قد
حلت بهم.

حينئذ، راح إلى الوادي ليعرف ماذا جرى، ومدحوشًا، استطاع
أن يرى خوان الذي كان معلقًا بالمقلوب في عمق البئر.

يا للهول، يبدو أنه ميت، قال خوسيه. كيف أهبط لأطمئن عليه
وأخرج جسده؟

الوادي، كما قلنا، يقطعه صخور، لكن ذلك لم يمنع خوسيه
الذي تعلق بحجر ناتئ، ثم بنبات مكسو بالشوك، وقابضًا بيديه بكل
قوته حتى لا ينزلق، بلغ العمق وهو ينزف دمًا من يديه وقدميه بعد
يومين من العمل والتضحية.

كان جسد خوان مكسومًا فعليًا بالديدان، وكان يصدر رائحة لا
يمكن احتمالها. لكن ذلك لم يمنع خوسيه. اقترب من جثة أخيه
وفتش في جيوبه، وأخرج من أحدها زهرة الزنبق الأبيض ومررها

عدة مرات على أنف الميت. مع أول مرة، اختفت الديدان والعفن. وفي الثانية، بات الجسد المتآكل مكسواً باللحم. وفي الثالثة، حرّك ذراعاً. وفي الرابعة، حرّك الأخرى. ثم حرّك ساقاً، ثم الأخرى. وفي الحال حرّك جسده كاملاً. ثم تنهد وفتح عينيه، كأنه يستيقظ من حلم.

ماذا حدث يا خوسيه؟ وأين أخواي؟

رحلا.

دعهم يرحلان، ستبعهما نحن، نخرج بمفردنا وبمفردنا نصل. تقدم أنت، وقل لهما إنك لا تعرف شيئاً عني.

ثم وصل خوسيه إلى القصر.

ماذا عن خوان؟ سأل الملك

لا أعرف شيئاً عنه، أجب خوسيه. منذ فترة ابتعد عني ومنذ ذلك الحين لم أره.

ذات يوم سيأتي؛ قلبي يقول لي إنه من سيجلب الزنبق الأبيض. فلنتوقف عن الحكاية قليلاً، وهيا لنرى حال الطفلات النائمات التي رأهن خوان حين راح بحثاً عن زهرات الزنبق الثلاث.

حكايات واساطير لاتبليّة

في البداية استيقظت الطفلة الأولى التي رآها خوان، فأيقظت هذه الطفلة الثانية، وراحتا معًا لإيقاظ الثالثة، وكانت الصغرى بينهن.

لماذا كان وجهي مكشوفًا؟ سألت الصغرى. أنا متأكدة أنني غطيته قبل أن أنام، كالعادة.

ثم خطر لها فجأة فكرة، فراحت تركض إلى الغرفة الأولى لترى أشياءها، ولأنها كانت مفقودة تلك الأشياء، صاحت:

يا للهول! من يكون هذا الصعلوك الذي جاء إلى هنا وسرقني؟ لقد سرق زهرات الزنبق الثلاث، وقنينة الخمر، والخبز والسيف. ووقعت مغشيًا عليها.

ومر الزمن، وبعد تسعة أشهر أنجبت الطفلة بسبب القبلة، ورأت أنه كان ولدًا.

لتركها الآن مع عربتها ولنروح إلى خوان.

لقد طلب خوان من الزنبق الأبيض أن تجعله أحمر لمدة عشر سنوات، وراح إلى الملك وطلب منه عملاً. فأمر الملك أن يعمل في تربية الديوك الرومية.

وكان بيدرو وكارلوس يكرهانه لقذارته؛ لكن الطباخين كانوا يحبونه لأنه يوفر عليهم عملاً كثيرًا، ويكنس لهم المطبخ، كان يأخذ الديك الرومي حيًا فيعيده إلى القدر ليكون بعد ذلك أطعم ما يؤكل. المرة الأولى التي فعل فيها الأحمق ذلك، وكانوا يسمونه بالأحمق، كان الطباخون يرغبون في أن يطردوه، لكن خوان، الذي كان شديد القوة، أغلق المطبخ بمفتاح ودافع عن نفسه وفرض عليهم احترامه. ثم بعد برهة أخرج من القدر قطعة من الديك الرومي حلوة المذاق، إلى حد أن الطباخين شعروا بالسرور، وحين رفعوا غطاء القدر بأنفسهم وذاقوا الطعام بعد نضجه، تحتم أن يعترفوا بأنهم لم يتذوقوا قط شيئًا بهذه اللذاعة. منذ ذلك الحين، صار هذا هو الطبق المفضل للملك ولكل من يقاسمه المائدة. لكن الطباخين وحدهم من كانوا يعرفون أنه من عمل يد خوان.

وبعد مرور عشر سنوات، استرد خوان فطنته، لكنه ظل يتصنع أنه أحمق.

الآن نعود لنرى ماذا حدث للطفلة الصغرى ولابنها.

كبر هذا الطفل مع الفتيات. وكان يقول للفتاتين الكبيرتين يا خالة، ويقول للفتاة الصغيرة يا أمي، وحين بلغ الثامنة، أرسلوه إلى

حكايات وأساطير لانهية

المدرسة. كان ذكيًا جدًا وكان يتعلم بسهولة كل ما يعلموه إياه، وكان معلموه يميزونه من بين كل التلامذة لأناقة ملبسه.

الصبية الآخرون كانوا يشعرون بالحسد على خوانيتو وبدؤوا في مضايقته. كان خوانيتو قد بلغ العاشرة حين قالوا له:

يا ابن الحرام! يا من لا تعرف أباك ولا أمك.

حينها كان الطفل يعود باكياً إلى مربيته ويحكي لها ما نادوه به. فقالت له:

أنا أمك، وغداً ذاته سنخرج للبحث عن أبيك.

وفي اليوم التالي امتطادا حصانين ورحلا.

وبعد مسيرة طويلة، وصلا إلى مدينة صغيرة وطلبا إقامة في أول بيت عثرا عليه. فقابلوهما بكل ترحيب.

وحين كانا جالسين إلى المائدة، قدم لهما صاحب البيت نبيذاً، وحين رأت هي أن القنينة لا تنقص، قالت لـ خوانيتو:

انظر يا خوانيتو، من هنا مر أبوك، هذه القنينة قننته.

والرجل ينظر إليهما لا أكثر، دون أن يقول كلمة.

في اليوم التالي امتطيا حصانًا وطلبت الفتاة من الرجل أن يسلم القنينة لـ خوايتو.

ولماذا يجب أن أسلمها له إذا كانت القنينة قنيتي ودفعت فيها فضة؟ حسنًا، قالت الفتاة والتفتت إلى خوايتو: قل للقنينة أن تروح لك.

يا قنينة، تعالي إليّ.

فودّعت القنينة يد الرجل، وراحت إلى ذراعَي الطفل.

وانطلقا، وبعد أيام طويلة وصلا إلى مدينة أخرى صغيرة، وطلبا الإقامة في أول بيت قابلاه. وقابلوهما بترحيب كبير.

وحين جلسا إلى المائدة، شرعت صاحبة البيت في تشريح الخبز، فانتهت الفتاة إلى أن الخبز، رغم تقطيعه إلى شرائح، لا يزال كاملاً.

يا خوايتو، من هنا مر أبوك، هذا الخبز خبزه.

فحدّق فيها الرجل وقال لها:

هذا الخبز كان دائماً خبزي.

والفتاة التزمت الصمت، لكنها في اليوم التالي، حين همت

بالرحيل، أمرت الرجل:

سلّم الخبز إلى طفلي.

لماذا يجب أن أسلمه له إذا كان ملكي دائماً؟

هل تسلم له الخبز أم لا؟

لا أسلمه له.

يا خبز، تعال هنا، رُح إلى ذراعيّ صاحبك.

ففلت الخبز من يديّ الرجل، وراح ليرقد بين ذراعيّ خوانيتو.

واستعدا مسيرتهما من جديد وبعد عدة أيام وصلا إلى القرية الأخيرة حيث نزل خوان، ونزلا في نفس البيت الذي نزل فيه منذ سنوات مضت.

وحين دخلا إلى المطعم، رأت الفتاة السيف المتحرك بلا توقف معلقاً بمسمار، فقالت لابنها:

يا خوانيتو، من هنا عبر أبوك، هذا السيف المتحرك سيفه.

فنظر إليهما صاحب البيت وقال لهما:

هذا السيف كان سيفي دائماً.

وفي اليوم التالي، حين كانا فوق حصانيهما، قالت الفتاة للرجل:
هل ستسلم السيف للطفل؟
ولماذا يجب أن أسلمه إن كان سيفي منذ سنوات طويلة؟
إن لم تسلّم له السيف بالحسنى، سأنادي عليه وسيأتي إلينا
وحده.

إن كان الأمر كذلك، ناديه إذن.
يا سيف، تعال هنا، رُح إلى صاحبك.
والسيف خرج من مسماره المعلق فيه، وراح ليلتصق بخصر
خوانيتو.

ثم أكملتا مسيرتهما، وحين لم يتبق لهما إلا نصف فرسخ ليصلا
إلى القصر، قالت الفتاة للسيف:

أيها السيف السحري، ألبس ابني سريعًا بملابس أمير، بأثرى
الملابس وأجملها، واجعل خمسمائة جندي جاهزًا ينضمون إليه،
وليخضعوا لأوامره.

وتقدمهم خوانيتو، ممتطيًا حصانه الجميل الأبيض، وفي
الحال انضمت إليه فرقة موسيقية كانت تعزف مقطوعات جميلة؛

حكايات وأساطير لاتبينية

ثم ارتدت أمه ملابس أنيقة، ملابس ملكة، وتقدمت الخمسمائة برؤسائهم وضباطهم.

وحين سمع خوان الموسيقى، خرج من المدينة من الجانب المواجه لقدوم ابنه، وأخرج من جيبه الزنبق الأبيض، وطلب منه:

أيتها الزنبق الأبيض، بالفضيلة التي منحها الله إياك، البسني ملابس ملك واحضر لي وتحث إمرتي خمسمائة جندي يرتدون ملابس أنيقة، برؤسائهم وضباطهم وفرقتهم الموسيقية.

أما حراس حدود المدينة، فقد ركضوا نحو الملك ليخبروه بأن جيشين يأتيان من طريقين مختلفين ليغزوا المدينة.

فأمر الملك أعضاء البرلمان بعلم أبيض للتحدث مع الجيشين، فقال لهم خوان كما قال خوانيتو إنهم رجال سلام، وليعودوا بلا قلق.

وواصل الجيش الأول والثاني في التقدم حتى تواجهها، وتعرّف خوان وخوانيتو على بعضهما البعض، وتعانقا برقة.

يتقدم خوان ناحية قصر الملك، وبوصوله للقاته، ركع بين يديه بتقدير وتحدث بنفس الطريقة:

يا أبي، الآن فقط، وبعد سنوات طويلة من الغياب، يمكنني أن أقدم لك الزنبق الأبيض: تفضل.

ونهض من مكانه ووضعها بين يديه.

مرر الملك الزهرة على عينيه وفي نفس اللحظة استرد بصره.

الحمد لله، صاح الملك. أنا أرى ابني الذي ظننته ميتاً؛ وأرى ضوء النهار.

وعانق خوان بقوة بين ذراعيه.

يا بني، التاج لك؛ أنت من تحكم المملكة بدلاً مني.

يا أبي، فلتكلم في ذلك لاحقاً، فذاك لا يعنيني. قبل أي شيء أود لو أطلب منك معروفاً وأتمنى أن تمنحه لي.

اطلب ما شئت يا بني، وسيكون ملك يديك.

يا أبي، أريد أن أتزوج فتاة جميلة تنتظرنني في ساحة القصر. أنا مدين لها بالزنبق الأبيض الذي أعاد إليك نعمة البصر، فهذه الزهرة وزهرات عجيبة أخرى في حوزتي، هي زهراتها.

يا بني، افعل ما ترغب وكل ما ترغب. أنا على يقين من أن اختيارك صائب.

حكايات واساطير لاتينية |

وخرج الأمير بحثًا عن الفتاة، وساقها إلى حضرة أبيه الذي ذُهل من جمالها. أجلسها الملكة بجوارها وعاملتها بحنان كبير.

في هذه اللحظة، دخل بيدرو وكارلوس، وركعا بين قدمي أخيهما، وطلبا منه العفو عن جرمهما الذي اقترفاه. رفعهما خوان وعانقهما. وفي الحال دخل خوسيه، ورمى نفسه في حضن خوان، فقال هذا:

يا أبي، أنا مدين بحياتي لـ خوسيه؛ بدونك ما كان ممكنًا أن أحضر لك الزنبق الأبيض، ولكنك بقيت أعمى حتى الموت.

ثم دخل خوانيتو، وكان يشبه ملوك الممالك القديمة.

وفي اليوم التالي، أقاموا الزفاف تحت أضواء وبريق فوق الخيال: السيف والزنبق الأبيض فعلا ألف عجيبة. وبدون نفقات ولا تعب من أي نوع، صنَّع أشهى طعام وأشهى نبيذ ومشروبات روحية، ليس من أجل القصر فحسب، إنما لأهل القرية أجمعين، وظلت الليالي الملاح لمدة شهر كامل.

وبعد تمام الأفراح، ارتدى خوان وزوجته تاجي أبيه على رأسيهما، وأعلنوا ملوكًا وسط سعادة الجميع الجمَّة.

وهنا انتهت الحكاية، وركبوا البحر بفردة حذاء واحدة، ليعودوا بعد ذلك لحكي حكاية أخرى.

وهذه الحكاية لها علاقة وثيقة جدًا بحكاية أخرى: العصفور الأخضر، التي نُشرت في مجلة البينيك، في سانتياجو عام 1912. ورغم أنها لا تنتمي إلى فولكلور كاراوي، حيث جمعتها من سانتياجو، إلا أنني أرى مناسبًا حكيها هنا، وأرى فائدة لمن يحب عمل دراسة مقارنة للحكايات الأجنبية الغزيرة من نفس المجموعة.

2- العصفور الأخضر

هناك، في زمن كانت الحيات فيه تتحرك واقفةً والحيوانات تتكلم، كانت ثمة منطقة متسعة وخصبة بعيدة جدًا عن هذا البلد، وكان يحكمها ملك رصين وحكيم. وكان حسن الطالع يرافقه على الدوام هذا الملك الذي كان يعيش في سعادة، محاطًا بحب زوجته وأولاده الثلاثة الذكور الذين كانوا يقدرونه ويحبونه؛ غير أن مرضًا خطيرًا بالبصر أصابه، وتركه أعمى تمامًا، لتنتهي بذلك سعاداته. فاجتمع لرؤيته أكثر أطباء المملكة والخارج حكماءً، واتفقوا جميعًا على أن العمى لا شفاء له.

وذات يوم، اقتربت من أبواب القصر سيدة عجوزة وفقيرة، متوسلةً الحديث مع الملك، مدعيةً أن لديها خبر سعيد من أجله. لم يسمح لها الحراس بالمرور، لكن العجوزة استطاعت تليين قلب رئيس الحراس بالإلحاح، فقادها حتى رجل عرش مليكه.

بمجرد أن صارت في حضرة الملك، ركعت العجوزة بين يديه وأطرقت حتى لمس وجهها الأرض، وتحدثت بهذه الطريقة:

أتوسل إلى سموك الملكي والمقدس أن تغفر لي جرأتي؛

لكن بدا لي تقصيرًا في واجبي اتجاه مليكي ألا آتي لأركع بين يد سموك وأحكي لك ما حدث لي. مساء أمس، بعد أن انتهيت من جولتي المعتادة بالمدينة، طلبًا للصدقات، عدتُ إلى كوخ الفقير، وجلست إلى الأرض، ثم رأيت بوضوح سيدة جميلة أمامي، وقالت لي: اذهبي إلى القصر وقولي لمليكك إنه لن يستعيد بصره حتى يمرر على عينيه ريشة من العصفور الأخضر. ثم اختفت. هذا هو السبب، يا جلالة الملك، الذي جرأني على الوصول إلى حضرتكم؛ ولأنني أخبرتكم بالأمر الذي جاءني في الحلم، اسمحوا لي جلالتكم أن أنصرف.

أمر الملك بأن يمنحوا للعجوزة صرة من الفضة، وشكرها، وأمر رئيس الحرس أن يرافقها حتى الباب الذي دخلت منه.

وفي الحال، ركع الابن الأكبر للملك، الأمير البيروتو، بين يدي أبيه وقال:

واجبي، بما أنني الابن الأكبر من أبنائك، أن أخرج بحثًا عن العصفور الأخضر حتى تستعيد بصرك، كل ما أطلبه مباركتكم لأنطلق في هذا السفر.

أمتن لك نواياك الطيبة وبرك لأبيك، لكن لأنك الابن الأكبر

حكايات واساطير لاتينية |

بالتحديد ينبغي ألا تتركني. أفكر في أنني رجل طاعن في السن، وبين لحظة ولحظة قد أموت، وفي هذه الحالة، ضروري أن تكون هنا حتى تتولى مقاليد الحكم.

اغفر لي سموك إلحاحي في أن أترك البلد لفترة قليلة، متمنيًا من الله أن يحفظ حياة سموك لسنوات طويلة، وعند عودتي، تكون على الأقل في حالتك الصحية الحالية.

فعل الملك كل ما يمكن فعله لإثناء وريثه عن رغبته، لكن الابن أصر، فلم يملك الملك إلا الاستسلام لإرادته، وأمر أن يرافق الابن ثلاثة خدام قدامى ومخلصون، وسلمه حمولة من الفضة لنفقات السفر.

أعدوا العداد، ومنح الملك البركة للأمير، فانطلق الأمير لمغامرته، إذ لم يكن أحد يعرف المكان الذي يختبئ فيه العصفور الأخضر.

سار الأمير وخدامه أيامًا طويلة، حتى خرجوا في النهاية من المملكة، ووصلوا ذات ليلة إلى ضاحية جميلة وتصويرية. وهناك تسلقوا مرتفعًا ودخلوا نزلًا جميلًا تلقوا فيه كل ترحيب من صاحب البيت وبناته الثلاث، وكنّ شابات جميلات وجذابات.

جلسوا جميعًا إلى المائدة، وبعد أن استعاد المسافرون عافيتهم بعشاء سخّي وشهي، واصلوا سمرهم المسرور والمريح، بصحبة موسيقى راقية ومقاطع من أغنيات، كانت فيها الفتيات بطلات البيت.

وحين همّ الأمير إلى النوم، قال لنفسه: في الصباح الباكر أودّع مضيفيني وأواصل طريقي؛ ينبغي أن أعثر في أسرع وقت على العصفور الأخضر، حتى يستعيد أبي بصره بريش الطائر. وبهذه النية نهض عند الفجر، لكن عند خروجه من غرفته، تعلّقت عيناه بعينيّ الابنة الكبرى فتبخرت رغبته في الرحيل.

كل ليلة، كلما همّ بتجهيز نفسه، قال الأمير: غدًا سأرحل. وفي كل صباح، كان يفقد عزيمته في هجر البيت، لأنه بات عاشقًا تائهاً. ورويدًا رويدًا، راح الأمير ينسى أباه. والحب الذي تملكه سلب منه قوته، وفي النهاية، قبل مرور عام، تزوج واستغنى عن الخُدام الذين عادوا إلى القصر، وحينها توجه جييرمو، الابن الثاني للملك، إلى أبيه وقال له:

يا لحزني لبقاء أخي هنا دون عودة. سأروح أنا بحثًا عن العصفور الأخضر، لو أذن لي سموك ومنحتني بركتك.

يا بني، لا تتحرك من جانبي، أجاهه الملك. كيف أسمح لك بالخروج بعد أن فقدتُ ابني الأكبر؟

ياسيدي، أريد أن تسترد سموك البصر وأتوسل إليك ألا تعارض رحيلي. وأعد حضرتكم ألا أضل الطريق وأن أعود في أسرع ما يمكن بالدواء المرغوب.

كان الملك مصرًا ألا يخرج جييرو من القصر؛ لكن الأمير كان عنيذًا، وانتصر على إرادة مليكه رغم المشقة، ونال مباركته، وأمر الملك رئيس الخزانة ليسلمه ثلاث حمولات من الفضة لتكفي كل النفقات التي قد يحتاج إليها.

وانطلق الأمير ممتطيًا حصانًا جميلًا، وبصحبة ثلاثة خُدام كانوا يسوقون بَقَلات أخرى محمّلة بالفضة من منح الملك؛ وساروا الأيام طويلة، حتى عبروا إلى مملكة أخرى وبلغوا نفس القرية ونزلوا عند باب نفس النُّزل الذي أقام فيه الأخ الأكبر ولا يزال يعيش مع زوجته.

حين عبر جييرو باب النُّزل، رآه البيرتو وركض عليه ليعانقه. كل منهما كان مشتاقًا للآخر فتحدثا طويلًا. حكى جييرو لأخيه أن أباه كان شديد الغضب منه، وطلب منه أن يعود إلى القصر بصحبة زوجته، وكان متأكدًا أنه سيغفر له، وأنه إن لم يفعل سيحرمه

من الميراث، وأنه سيواصل بنفسه البحث عن العصفور الأخضر وبذلك لن يخسر شيئاً. وأجاب ألبيرتو بأنه لا يجرؤ على المثل بين يد أبيه وأنه سيواصل الحياة في القرية بصحبة عائلة زوجته.

لم يلح ألبيرتو ودعا أخاه إلى البيت، وعرفه إلى زوجته وأختها وحماه. اندهش جييرو من جمال البنت الكبرى بينهن، كانت جميلة جداً وشقراء، بعينين زرقاوين.

قضوا جميعاً أمسية مريحة وحين انصرف لينام، وصى جييرو أخاه ألبيرتو ليوظنه مبكراً جداً، لأنه يريد أن يواصل سفره بحثاً عن العصفور الأخضر.

وفي اليوم التالي، عند الفجر، سمع بدقات على باب غرفة النوم، وبصوت كان يعرفه واخترق قلبه برقة، وبسؤال إن كان هذا الوقت المناسب لإحضار الفطور. وبعد برهة جاءه الفطور، فنجان قهوة لذيذة، أحضرته الشقراء اللطيفة، وبين كلمات وكلمات مرت الساعات، وجاءت ساعة الغداء بدون أن يتذكر العصفور الأخضر.

اختصاراً، كل ليلة، كان جييرو ينصرف إلى غرفته بنية أن يواصل سفره في اليوم التالي؛ لكن في الصباح، عندما يرى محبوبته، كان ينسى غاياته، وفي النهاية، حدث له ما حدث لأخيه ألبيرتو، تزوج

حكايات وأساطير لاتينية |

وبقي يعيش في التُّزل، ورويدًا ورويدًا انمحت من ذاكرته ذكرى أبيه والهدف الذي من أجله تحرك من جانبه.

ومرت الشهور تلو الشهور، واحدًا وراء آخر، حتى أتم العام،
وحين رأى أن أخويه لم يعودا، قال الأمير أوسكار، الابن الأصغر،
لأبيه:

لو تأذن لي سموك بالخروج، ولن أكون مثل أخويّ وسأعود
بالعصفور الأخضر، وسيرد إليك البصر.

لم يكن الملك يرغب في أن يرحل ابنه؛ لكن أوسكار كان يؤمن
بالمثل القائل «الزن على الودان أقوى من السحر»⁽¹⁾، فظل يلح حتى
نال موافقته. حينئذٍ منحه الملك ست حمولات من الفضة وأرسل
في رفقته عشرين عملاقًا من القصر وخدمًا كثيرين.

وبعد أن سار لعدة فراسخ، قال الأمير للفرسان الذين خرجوا
برفقته:

رغم أنني سعيد بصحبتكم، إلا أنني لا أحتاج إلى كل هذه الصحبة،
ولا أرى سببًا لتضحيتكم بالسفر بأراضٍ مجهولة وبصحارٍ مكفهرة.

(1) المثل الأصلي بالإسبانية هو «من يلح كثيرًا يبلغ مراده، شرط ألا ينل قبلها». (م)

عودوا إلى أسركم واعتنوا بأبي.

لم يود الفرسان النبلاء، لمحبتهم للأمير ولصفاته الطيبة، أن يطيعوه، غير أن أوامره كانت نهائية فاضطروا أن يرجعوا من مسيرتهم.

واصل الأمير السير برفقة خدامه حتى وصل إلى البيت حيث يعيش أخواه. وحين شاهده، ركضا في الحال مبتهجين وعانقاه. أنبأهم عن أبيهم وتوسل إليهم إن يعودا إلى جانبه، وأكد لهما أنه سيفغر لهما.

ودخلوا البيت وقدماه إلى زوجتيهما وأختها، وكانت أيضًا شابة شديدة الجمال. وعبروا إلى غرفة الطعام، وبعد الأكل والتحدث قليلاً، انصرف الأمير بذريعة الإرهاق إلى غرفة جهزوها له. وفي اليوم التالي استيقظ مبكرًا جدًا وأيقظ الخدم، وأمرهم بأن يجهزوا أنفسهم وخرجوا جميعًا بدون توديع أحد.

واصلوا مسيرتهم بلا قبلة معلومة، متوكلين على الله، ولم يرتاحوا إلا الراحة الضرورية من أجل الطعام والنوم.

وحين رأى الأمير أن حمولات الفضة التي يمتلكها أكثر مما يحتاج إليه، إذ يأكل هو ورفقته من الفواكه التي يصادفها في الحقول،

ومن الطيور التي يصطادونها ومن أسماك الأنهار، وينامون في الخيام التي ينصبونها، قرر أن يوزع أمواله على الصدقات، لنجدة أناس محتاجين بالفعل، وخيرًا ما فعل، وبعد فترة قليلة صار يملك حمولتين لا أكثر.

حينئذ قال لخدمته: خذوا حمولة من أجلكم وعودوا إلى مملكة أبي، أستطيع وحدي أن أواصل المسيرة بدون أن أزعجكم. وهكذا فعلوا، وواصل هو فوق بغلته بحمولة الفضة المتبقية، يسير ويسير، بلا قبلة معلومة، ليلاً ونهارًا، موزعًا الصدقات من حيث عبر.

وذات يوم، تأخر وهو داخل غابة، وهناك لم ير لا طريق ولا درب، وهكذا لم يكن يعرف كيفية الخروج ولا الراحة. حينئذ تسلق شجرة، وأبصر نورًا بعيدًا، وظن أن هناك كوخ فتوجه إليه ليطلب سكنًا. وعندما اقترب، رأى أن الأضواء تأتي من أربع شمعات تضيء جثة مهجورة تمامًا في وسط الطريق.

يا مسكين، قال الأمير. ما من أحد يتكفل بإرسال روحك إلى الرب ولا يعتني بجثتك.

فتجرد من قبعته بوقار، وهمس بصلوات ثم واصل مسيرته دون انقطاع حتى وصل إلى قرية صغيرة تقع على مسافة قريبة. أوقف

الأمير أول شخص قابله في الشارع، وسأله لماذا تركوا الميت وحيداً، مهجوراً بلا رحمة، فأجابه بأن الميت قد خلف وراءه ديوناً كثيرة، وبحسب قوانين البلد، من لا يسدد ديونه لا يستحق الدفن. ورغم أن الساعة كانت متأخرة، راح الأمير يبحث عن الدائن، ودفع له حتى آخر ستافو وجهاز الجثة لنقلها إلى الكنيسة، وفي اليوم التالي أقام له عزاءً سخياً على شرفه.

بعد هذه المغامرة، ظل يسير مدة ثلاثة أيام بدون أن يصادف أحداً، وفي لحظة كان حزيناً وشارداً، يتذكر أباه العجوز، فقابل رجلاً أسود. قال له الأمير:

ماذا تفعل بهذه الأماكن المهجورة يا أسود؟

أبحث عن عمل، يا سيد، وحضرتك: ماذا تفعل هنا؟

أسير منذ زمن طويل بحثاً عن العصفور الأخضر، دون أن أعثر حتى الآن على خير عنه.

أنا أعرف مكان هذا الطائر الشهير؛ أتريد أن أرافقك يا سيدي؟

معقول! أنا أصدقك، وسأدفع لك بكل سخاء.

لا أريد أن تدفع، يا سيدي، أريد فحسب أن أخدمك بدون أي

مصلحة.

وشرعا يمشيان، يمشيان ويمشيان، حتى وصلا إلى مدينة كبيرة.
يا سيدي، في هذا القصر يعيش العصفور الأخضر. عشرة آلاف
عسكري يحيطون القصر ليلاً ونهاراً، خمسة آلاف ينامون وخمسة
آلاف يستيقظون. لكن خذ حذرك: البس هذه القبعة السحرية
ولن يراك أحد، واتبع توصياتي. اعبر من بين العساكر حتى تصل
إلى صحن في مركزه قفص من الذهب بداخله يسكن العصفور
الأخضر؛ افتح باب القفص وتعال إلى مكاني، اترك باب القفص
مفتوحاً في مكانه؛ لا تحمله إلى أي مكان في هذا العالم، لأنه
سيتوه.

واتبع الأمير هذه النصائح حتى وصل إلى صحن القصر، بدون
أن يراه أحد أو يشعر به أحد؛ غير أنه حين رأى القفص وبداخله
العصفور الأخضر، شعر بغبطة كبيرة إلى حد أن عقله خفّ، ونسي
نصيحة الأسود، وبدلاً من فتح القفص، حمله ليخرج به؛ وبمجرد
أن خلع القفص من مكانه، شرع العصفور في الصراخ بصوت
جهور.

يا حراس! يا حراس! إنهم يخطفونني! إنهم يحملونني معهم!

حينئذ بات الأمير مرثياً، فقبضوا عليه وقيدوا يديه، وساقوه إلى حضرة الملك.

وسأله الملك عن فعلته، فقص عليه حكايته، فقال له الملك:
آه يا أمير، تستحق الإعدام على جرأتك، لكنني أغفر لك إن وعدتني أن تسير إلى المملكة الجارة وتحضر لي جواد الأجراس الذي يحتجزونه هناك؛ وإن أتممت مهمتك على أكمل وجه، سيكون العصفور الأخضر لك.

وعد الأمير بذلك وأطلقوا سراحه. وعند خروجه قابل الرجل الأسود:

يا سيدي، لماذا لم تفعل ما أوصيتك به؟
خشيت أن يهرب العصفور إن فتحت له الباب.
إن لم تفعل ما أقوله لك، تخسر.

وواصل السير، فسارا أياماً طويلة، حتى وصلا في نهاية المطاف إلى المملكة الجارة. حينئذ قال الأسود:

جواد الأجراس يسكن إحدى غرف مركز ذاك القصر، يراه عشرة آلاف عسكري، خمسة آلاف يسهرون بينما ينام الخمسة

حكايات واساطير لاتينية

الاف الآخرون؛ البس القبعة السحرية واعبر من بين العساكر، لن يراك أحد ما دمت تفعل ما أمليه عليك؛ ستصل إلى الغرفة وتفك زمام الجواد، والجواد سيتبعك وحده، وستخرجان معًا بدون أن يراكما أحد ولا يشعر بكما أحد. وأنا أنتظر كما هنا.

دخل الأمير بدون أن يلحظه أحد، ووصل إلى صحن القصر. هناك وجد الجواد- الحيوان الأجل على الإطلاق- وكان يقفز ويصهل ويتقلب فوق سجادة شديدة الثراء. عندما رآه، شعر بغبطة إلى حد أنه نسي نصائح الرجل الأسود، وقبض على زمام الجواد وسحبه وراه. لكن في خطوة الأمير الأولى نحو الخروج من الغرفة، انتفض الجواد وشعر بضجيج جحيمي، كان مئة ألف جرس اشتعلت في جسده.

وبات الأمير مرثيًا، وقبضوا عليه وقيدوا يديه وساقوه إلى حضرة الملك، واضطر من جديد إلى أن يحكي له حكايته. وحين انتهى، قال له الملك:

آه يا أمير، تستحق الإعدام على جرأتك؛ لكنني أعفو عنك إن وعدتني بأن تخطف من الملك المجاور أميرة بأسرها منذ عشر سنوات، عندما كان عمرها خمس سنوات؛ وإن أوفيت في مهمتك،

سيكون لك جواد الأجراس.

أودع الأمير كلمته وأطلقوا سراحه. وعند الخروج كان الرجل الأسود في انتظاره.

يا سيدي، لماذا لم تتبع وصاياي؟ إلى متى تعرض نفسك وتعرضني للألم؟

وشرعا في مسيرتهما، وفي النهاية وصلا إلى عاصمة المملكة المجاورة، وقال الرجل الأسود:

في مركز هذا القصر، ثمة صحن كبير محاط بعشرة آلاف عسكري، خمسة منهم مستيقظون دائما؛ لكن لا تخف، اعتمر القبعة ولن يراك أحد ولن يشعر بك أحد إن اتبعت وصاياي. في غرفة، ثمة ثلاثة صفوف من الأسرّة، في كل واحد منها تنام أميرة سجيّنة. ركّز جيدا فيما أقوله لك، لأنك لو أخطأت ستفقد حياتك. ادخل من باب العمق وقف أمام صف الأسرّة الثاني، والمس قدمي كل واحدة من أميرات هذا الصف، وحين تبلغ ذات القدمين الباردين اسحبها من السرير على حالتها، وارمها على كتفك واخرج بها على ظهرك بدون أن تهتم بما تقوله هي لك. لا تنس أيا من هذه النقاط، كرّر له الأسود بدموع في عينيه؛ وانظر يا سيدي، فالأمر جد شديد الجدية

حكايات واساطير لاتينية |

وفيه قد تفقد حياتك.

فعل الأمير كل ما أملاه عليه الرجل الأسود، وحين بلغ السرير، لمس قدمي الأميرة الباردتين، ورفعها على كتفيه وخرج بها على كاهله بدون أن يهتم بصرخاتها: «لا تحملني هكذا! اتركني أرتدي ملابسني أولاً، سأصاب بنزلة برد!». وهكذا عبر بين عشرة آلاف جندي، بدون أن يراه أحد ولا يسمعه أحد.

وصل الأمير بحمولته الثمينة إلى خارج المدينة وهناك كان ينتظره الرجل الأسود بملابس ثرية للأميرة.

أخيراً أطعنتي يا سيدي! لقد قطعنا الجزء الثالث من الطريق، الجزء الأصعب. والآن نسير إلى حيث يسكن أبو الأميرة.

كان الأمير يتخيل سعادة الملك الجمّة برؤية ابنته مرة أخرى، فمنذ زمن كانت بعيدة عنه. والملك أصدر فرماناً بإقامة الأفراح وانتشر في القصر الرقص والولائم، كان البطل في كل ذلك هو أميرنا.

وحين انتهت الأفراح، قال الرجل الأسود لسيده:

غدًا ستودّع الملك، والملك سيقول لك اطلب ما تريده

وسيمنحه لك، اطلب منه حيثئذ أن يسمح لك بثلاث جولات بجواد الأجراس حول ساحة القصر، بصحبة الأميرة على السرج؛ والملك سيقبل طلبك؛ وحضرتك تقوم بالجولات كاملة، وفي منتصف الجولة الثالثة، قل للجواد، بصوت خفيض جدًا، في أذنه اليسرى: «يا جواد، طر أسرع من الريح»، وسيطير الجواد بكل خفة حد أن أحدًا لن يراه، ثم سيهبط في مكان أنتظر كما فيه.

في اليوم التالي، طلب الأمير إذن الملك في الرحيل، والملك، في حضرة الحاشية، قال له:

آه يا أمير، لقد أعدت السعادة إليّ حين أحضرت لي ابنتي! ومن العدل أن أهاديك بمقابل لهذا المعروف الكبير. اطلب ما ترغب، وفي الحال أمنحه لك.

ركع الأمير بين يدي الملك، وأجابه:

يا أيها الملك السخي والقوي، رغم أنني مرضيٌ بتسلم جواد الأجراس، إلا أنني أود، قبل رحيلي، أن أتجول به ثلاث جولات حول ساحة القصر، وبصحبة الأميرة التي خطفتها من يد ملك عدو لنا، على السرج. أريد أن أحمل ذكرى هذا اللقاء الطيب.

فأمر الملك بأن يخرجوا الجواد إلى الساحة، وما إن امتطاه

حكايات واساطير لاتينية |

الأمير، حتى امتطته الأميرة. وانطلق الجواد في حضرة الملك والقصر وعامة الشعب، بخطوة جليلة، وامتدح الجميع امتطاء الأمير المبهر للجواد، وجمال الأميرة، وكانوا يقولون فيما بينهم: يا لهما من زوج جميل! لماذا لا يتزوجا؟ وحين رأوا أن الجواد بفارسه يرتفعان في الهواء، ضاعا من ناظرهم. والسرور الذي كان مرسومًا في لحظة سابقة على محياهم، غدا، في ثانية واحدة، حزنًا جمًا. لا الملك ولا أحد كان يعرف أن جواد الأجراس كان يتمتع بميزة الطيران.

بعد قليل هبط الجواد بالفارسين بالقرب من قصر يسكنه الملك صاحب العصفور الأخضر، وهناك كان ينتظره الرجل الأسود.

هيا لنسلم الجواد إلى الملك، قال الرجل الأسود وتوجهوا إلى القصر.

أعرب الملك عن سروره وامتنانه للأمير لإعادة الحيوان النبيل إليه، وأقام حفلًا راقصًا جليلاً على شرف الضيوف. وبانتهاء الحفل، قال الرجل الأسود للأمير:

غداً، عندما تودع الملك، سيطلب منك الملك أن تطلب منه ما تريده، وحضرتك ستطلب منه أن يسمح لك بثلاث جولات

حول ساحة القصر ممتطيًا جواد الأجراس، بصحبة الأميرة على السرج والقفص بالعصفور الأخضر. والملك سيوافق، وحينها، قبل الانتهاء من الجولة الثالثة، تقول حضرتك للجواد بصوت هادئ جدًا: «طِر يا جواد، مثل الريح»، ومثل المرة السابقة، سيحلّق الجواد في الهواء تحت مرثى الجميع، وسيهبط في مكان أنتظره أنا فيه.

في اليوم التالي، راح الأمير ليودّع الملك، والملك ترجاه بالآ يرحل مبكرًا، غير أن الأمير، راکعًا بين يديه، حدّثه بهذه الطريقة:

آه أيها الملك العظيم والقدير، كم كنت أود أن أستمتع بحسن ضيافتك لأيام أخرى، لكنني أشتاق لرؤية أبي ولمداواته من مرضه؛ أتوسل إليك أن تمنحني الإذن بالانصراف.

فأجابه الملك:

الحق معك، أيها الأمير الشاب، في رغبتك في العودة إلى وطنك في أسرع وقت، وأمتدح حبك لإخوتك؛ لكن قبل أن ترحل أريد أن أمنحك هبة كرد لجميل خدمتك التي أسديتها لي؛ فاطلب مني ما تريد وأنا أمنحه لك.

ركع الأمير بين يدي الملك مرة أخرى وقال:

يا أيها الملك العظيم، كنت أود أن تحقق رغبة مَلّحة لرفيقتي.
هل يمكن أن أطلبه من سموكم بدون أي حرج؟
تحدث أيها الأمير، بدون حرج.

تريد زوجتي قبل أن نرحل من هنا، أن تجول ثلاث جولات
حول ساحة القصر وهي تمتطي جواد الأجراس ومعها قفص
الذهب بالعصفور الأخضر.
لك ما تريد.

وحدث نفس ما حدث في المغامرة السابقة، وقبل الانتهاء من
الجولة الثالثة، والفارسان وعصفور الأخضر فوق الجواد، والملك
بعينين مدهوشتين وكذلك كبار رجال القصر وأهل المملكة، ارتفع
الجواد بالتدرّج، وفي لحظة اختفى عن الأنظار. لا الملك، ولا
أحد، كان يعرف أن الجواد يمتلك ميزة الطيران.

فلتجاوز التعليقات حول هذا الحدث، ولتتابع بطلنا. هبط
الجواد عند مدخل القرية التي يعيش فيها إخوة الأمير، في مكان
كان الرجل الأسود ينتظره. وكان وجه الرجل الأسود يشي بالحزن
العميق، وقال للأمير: «يا سيدي، لقد انتهى اليوم الثاني، وفي اليوم
الثالث يجب أن تكون بمفردك، بدايةً من هنا ليس بوسعي مرافقتك؛

عُد إلى قصر الملك أبيك وُرد إليه بصره، ولا تحك على أحد ما جرى حتى يتمثل الملك للشفاء التام. سأرحل أنا، لكن إن وجدت نفسك في مأزق، قل: «تذكرني، يا أسود»، وسأتي في نجدتك.

أجابه الأمير، في غاية الحزن: «لا يا أسود، لا ترحل؛ تعال معي إلى قصر أبي؛ هناك ستعيش محاطًا بحب الجميع وستكون ريفي وصدريقي».

ضمت الأميرة رجاءاتها إلى رجاءات الأمير، لكن كل ذلك ذهب سدى؛ إذ رد الرجل الأسود: «لا، لا أستطيع، يجب أن أرحل». فتبادلوا الوداع باكين.

بعد لحظات قليلة، وصل الأمير إلى بيت إخوته، فأظهروا سرورًا كبيرًا عند رؤيته سالمًا غانمًا، وبرفقة أميرة ذات جمال لافت، ويمتطي فرسًا ويات صاحب العصفور الأخضر. لكنه، في الحقيقة، كان سرورًا متصنعًا، لأن الحسد كان يأكلهم.

وبعد أن تناولوا الغداء، توجه ليحكي لهم عن مغامراته، لكن الأمير طلب منهم المعذرة، إذ قد وعد ألا يحكي شيئًا إلا في حضرة أبيه. وبعد أن ينال الشفاء التام.

وانصرف الأمير أوسكار مع الأميرة إلى غرفة أعدوها لهما،

وبمجرد أن تأكد أليبرتو وجيرمو من أنهما قد استغرقا في النوم، اتفقا على سرقة العصفور الأخضر من أوسكار.

في اليوم التالي، راح الأمير أوسكار والأميرة ليودعاهما، غير أن أليبرتو وجيرمو أصرا على أن يصحبهما، بذريعة أنهما يودان الاستمتاع بنصرهما ورؤية الأب سليماً من المرض. تحركا الثلاثة، نصحبهم الأميرة راكبة على ذيل الجواد العجيب، وراء الأمير أوسكار، ومعهما العصفور الأخضر بالطبع، في قفصه الذهبي.

وفي منتصف اليوم، دخلوا جميعاً إلى مكان صحراوي. كان القبط خانقاً؛ وكانت الأميرة تشكو من العطش، ولنفس السبب كان الجواد والعصفور الأخضر حزينين ولا يأكلان.

وبالصدفة وصلوا إلى بئر، فاقتراح الأمير أليبرتو، وكان معه حبل، أن ينزلوه مربوطاً من خصره ليحضر ماءً. فأنزلوه، لكن بمجرد أن نزل عدة أمتار صرخ فيهم حتى يرفعه، أنه يشعر بحرّ قاتل. فرفعه، وأنزلوا مكانه الأمير جيرمو، لكنه شعر بالبرد الشديد فاضطروا لرفعه كذلك. حينئذ أنزلوا الأمير أوسكار الذي عبأ لهم ماءً في دلو، كان يحمله معه. والماء أطفأ ظمأهم جميعاً؛ وبدلاً من رفع الأمير، قطع أليبرتو وجيرمو الحبل، وتركوا أخاهما في البئر.

بعد ثلاثة أيام، دخل الأميران أليبرتو وجييرومو قصر الملك، أيهما، وكان قد أعد الأفراح والحفلات ليحتفل بوصول ولديه الكبيرين؛ لكن الملك العجوز، في وسط سروره العام، كان يلزمه الحزن لأنه بلا خبر عن الأمير أوسكار، إذ قالوا له إنهم ولا حتى رأوه. وكان الملك خائفًا أن مكروهاً قد أصاب ابنه وكان يفكر أنه ربما قد صعقه الموت في الطريق بعد أن سرح خدامه.

كان الجميع، الملكة والفرسان والفتيات، مأخوذًا بجمال الأميرة الصامته والمريضة، وكان ألم الجريمة المقترفة في حق الأمير أوسكار يستحوز عليها، ولا حتى كانت تشعر بالانجذاب الحادث للجميع من حضورها. حتى الجواد كان مطرق الرأس والأذنين، والعصفور الأخضر كان مغمض العينين متراخي الجناحين وبلا بريق، وكان كلاهما، الجواد والعصفور، يشاركانها ألمها.

في وسط الحفل، حكى الأمير أليبرتو حكاية ألفها، نسب فيها اصطلياد العصفور الأخضر إليه وإلى أخيه جييرومو. وبعدها انتهى، انتزع ريشة من العصفور ومررها على عيني أبيه:

هل ترى شيئًا يا أبي؟ سأله.

لا يا بني، ولا شيء؛ لا تزال عيناى محاطتين بالظلام.

حكايات وأساطير لاتينية |

انتزع ريشة أخرى، ومررها مجددًا على عينيّ الملك العجوز،
وحين لمستته أطلق صرخة ألم وأمر ابنه ألا يكرر التجربة لاسترداد
بصره، وأمر بأن يخرجوا العصفور من هناك. فأخذت الأميرة
القفص، وبدون أن يلحظوها انصرفت معه من البهو.

فلترك الملك الغارق في أفكاره الحزينة والأميرين اللذين لم
يرتبكا أمام فشلهما وواصل الرقص، لنعود حيث يمكث الأمير
أوسكار.

قضى الأمير ثلاثة أيام في البئر، ممسكًا بجداره، منتقلًا بين
البرد والموت جوعًا، ثم خطر له فجأة الوعد الذي قطعه الرجل
الأسود عند فراقهما، حينئذ صاح: «تذكرني أيها الأسود»، وفي
اللحظة سمع صوت الأسود يقول له من فم البئر: «ماذا تفعل هنا
يا صديقي، لقد حدث لك ما كان يجب أن يحدث، لكن لا تشغل
بالك، فرجلك سيخرجك من مأزقك». وألقى إليه حبلًا ربطه على
خصره، ورفع، وفي لحظة غدا إلى جواره.

حكى الرجل الأسود للأمير كل ما فعله أخواه منذ تركاه مهجورًا
ليموت في البئر، وأضاف: «أنا سأفودك حتى باب الملك أبيك،
ادخل حضرتك، وبعد تحية الملك والملكة، اطلب أن يحضروا

لك قدرًا من الذهب مليئًا بالماء والعصفور الأخضر في قفصه؛
وافتح باب القفص وسيخرج العصفور في الحال ليغتسل في
القدر، وبينما يغتسل، ستساقط منه ريشة ناعمة مثل الحرير؛ خذها
حضرتك ومررها ثلاث مرات على عينيّ الملك، في المرة الأولى
سيميز ضوءًا صغيرًا؛ وفي الثانية سيرى الأشخاص كأورام، وفي
الثالثة سيرى جيدًا كرجل يتمتع ببصر حاد.

بعد قوله هذا، حمل الأمير على كتفيه وفي طرفه عين تركه عند
باب القصر. فقال له الأمير:

آه يا أسود، كيف سأرد إليك معروفك؟ أنت لا تقبل حتى أن
أعرض عليك البقاء معي. هل سأبقى للأبد مدينًا لك؟

لا يا سيدي، قال الأسود. فبينما كنت تتكلم كنت أتحول أنا
إلى شاب جميل؛ لا يا سيدي، المدين هو أنا. أنا ذاك الميت الذي
عثرت عليه مهجورًا تمامًا في عراء الطريق، عند خروجك من
الغابة، فدفعت لي ديونني وتكفلت بدفني، وبدونك ما كنت وصلت
إلى السماء. الآن أنا أذهب إليها، لقد كنت معلقًا في الأرض بسبب
رغبتني في تحرير حضرتك من كل الأخطار التي تصيبك حتى الآن،
لقد أذن لي الرب لأفعل ذلك. وها هي آلامك تنتهي الآن. فإلى

اللقاء حتى أراك في السماء.

ثم اختفى مطوقاً بهالة من المجد. وسجد الأمير على الأرض
وشكر الله وحمد نعمه اللانهائية.

ودخل القصر في الحال، حيث كانت الأفراح لا تزال مقامة،
وركع بين يديّ أبويه وحدثهما بما يلي:

آه يا أبوي العزيزان! لقد مد لي الله يده برحمته الواسعة، وبعد أن
تخلصت من آلاف المخاطر، شاء أن يمنحني العصفور الأخضر،
غاييتي الأولى والأخيرة من السفر. لكنني عدت في النهاية، سعيداً
وراضياً، حتى لو عانيت من العمل الشاق والتعب والظلام، لأنني
الآن سأستطيع أن أداوي أبي من عماه القاتل.

ساد الصمت بين الحاضرين ونظروا إلى الأميرين البيرتو
وجيرمو اللذين أصابتهما صعقة بمجرد أن رأيا أخاهما، إذ ظنا أنه
قدمات، ولم يكونا يعرفان كيف هرب.

توجه الأمير أوسكار إلى واحد من كبار القصر القرييين منه،
وطلب منه أن يحضر له قدرًا من الذهب ممتلئًا بالماء، وكذلك
قفص العصفور الأخضر. راح النبيل ليعود بعد برهة بقدر الماء
وبخبر أن لا أحد يعرف مكان العصفور الأخضر. لكن، في نفس

اللحظة، فُتح باب وظهert الأميرة، كانت جميلة أكثر من العادة، وكانت مسرورة ومبتسمة، ويدها قفص الذهب بداخله العصفور الأخضر، وحينها استرد ريشه، كأنه سحر، بريقه ولمعانه.

فتح الأمير باب القفص وخرج العصفور مغردًا ودخل القدر، غطس ونفض جناحيه. حيثُذ سقطت ريشة التقطها الأمير، وصعد إلى العرش ومررها على عيني أبيه المطفأتين.

هل ترى شيئًا يا أبتى؟ سأل الأمير.

نعم يا ابني الحبيب، أرى نورًا صغيرًا.

فممر الريشة على عينيه مرة أخرى.

هل ترى شيئًا آخر يا أبتى؟

نعم يا ابني الحبيب، أميز كتلاً تتحرك.

عاد ومرر الريشة للمرة الثالثة، فصرخ الملك من السعادة القصوى: عيناه، المفتوحتان والمشعتان كشاب سليم، كانتا تريان بقوة كل ما يحيط بهما.

نزل الملك من العرش وعانق الأمير بقوة بين ذراعيه، بينما بكت الملكة والحضور من فرط السعادة والتأثر.

حكايات واساطير لاتينية |

أخوك خدعاني بطريقة بائسة، قال الملك لأوسكار. سيجازيك الله خير فعلتك، أما أنا فأسدد لك هذا المعروف. لكن قبل أي شيء، احك لنا يا بني عن مغامراتك.

والأمير، في وسط صمت هائل، حكى كل ما جرى له منذ خروجه من القصر، متجاهلاً فعل أخويه الإجرامي ضده، مشيراً إلى أن سقوطه في البئر كان محض شرود منه. غير أن العصفور الأخضر اعترف بالحقيقة كاملة.

والملك، غاضباً من سلوك ابنه الكبيرين المنحرف، أمر بتقييدهما وحبسهما إلى الأبد في زنزانة: لكن الملكة والأميرة والأمير أوسكار تدخلوا من أجلهما فعفا الملك عنهما، بشرط أن يخرجوا في الحال من أرضه.

وأمر الملك في نفس الجلسة بزواج الأمير أوسكار والأميرة. وبانتهاء الطقس، استأذن العروسان أن يختفيا ليوم حتى يقوموا بزيارة الملك أبي الأميرة. فوافق الملك، وأمر بأن يخرج الأمير بالجواد المسحور إلى ساحة القصر وأن يمتطيه والأميرة من ورائه، ومال إلى الجواد وقال في أذنه بصوت خفيض جداً: «طري يا جواد، مثل الريح»، فنهض الجواد برفعة وحلق في الهواء أمام نظرات الملك

والملكة المدهوشة، ونظرات سادة القصر وفتياته، ونظرات الشعب
بأكمله.

في اليوم التالي، عادا من الزيارة بعد توديع أبي الأميرة الذي
كان، حتى وقت قريب، يبكى ضياع ابنته ويتمنى لها حياة سعيدة
ومسرورة.

ثم تنازل الملك عن العرش للأمير أوسكار، الذي كان نموذجًا
للملوك وللأزواج وللآباء، وعاش سنوات طويلة، محاطًا بحب
الشعب وتقديره.

والجواد والعصفور الأخضر ظلًا متعة للجميع.

3 - الطاهور أو ابنة الشيطان

هذه قصة عجوزين، رجل وزوجته، كانا يعيشان في قرية بائسة، على مسافة فرسخ من المدينة.

لم يكن لديهما إلا ابن يسمى بدرو، حين كان في سن مناسبة، أرسلاه إلى المدرسة. لكنه كان ولدًا كسولًا، وكان يرفض الذهاب إلى المدرسة بذريعة أنها بعيدة جدًا. وحين كانا يجبرانه على الذهاب، كان يتسكع في الطريق مع أطفال آخرين من سنه، كسولين مثله.

مع ذلك، كان ثمة شيثان يحركانه: الشجار والعراك مع زملاء الفراغ، ولعب الورق، وكان يستمتع بالشيثين أيما استمتاع. وفي كلا الشيثين بلغ مهارة فائقة: كان الأولاد يخافون من قوة ذراعه وكانت قبضته تفرض احترامه على الجميع؛ وفي لعب الورق كان أستاذًا، فلم يفلت شخص من القرية وما حولها إلا وغلبه.

الحظ رافقه دائمًا، إلى حد أنه، وكان لا يزال شابًا صغيرًا، كان أحد أكثر أثرياء البلد.

حين صار بهذا الثراء، انتقل بأبويه إلى المدينة وأقام هناك متجرًا حتى يستطيعا، بدون عناء، عيش سنواتهم الأخيرة بسكينة ورفاهية. وفي المدينة لم يرغب أحد في اللعب معه. وكان ذلك يحبطه، لكن شغفه باللعب كان يسيطر عليه كليةً. فكّر حينئذ في الترحال إلى مكان آخر للبحث عن منافسين، وحين استعد للسفر، ظهر له الشيطان عند باب بيته، برفقة بغلة محملة بشوالين من العملات الذهبية.

جئت لألعب معك، قال الشيطان.

مرحبًا بك، أجاب بدرو، لقد ملأني الضجر. سنرى إن كنت شيطانًا كما يقولون.

فلنبدأ وسترى؛ لكن سنؤجل ذلك قليلًا حتى أنتهي من بعض مهمامي. لكن قبلها، انزل صور القديسين هذه المعلقة على الجدران. وأنزل بدرو صور القديسين، وفي الحال بدأ اللعب بحماس كبير.

وانتصر بدرو ببصمته، لأنه في دورين استطاع الظفر بشوالي الذهب والبغلة وكل شيء، وانتقل إلى ملكيته.

حكايات واسباطير لانيبية |

حين وجد الشيطان نفسه مفلسًا، اقترح على بدرو أن يلعبا على
، وحيهما. ووافق بدرو. في المرة الأولى لم يفز أحد، ولا في الثانية،
، ولا في الثالثة. حيثذ قال الشيطان:

فلنتعارك، ومن يوقع الآخر أرضًا ثلاث مرات، يكون هو الفائز
ويفخر بكل شيء.

اتفقنا.

وخرجا إلى صحن البيت ليتعاركا. تعريا من خصريهما إلى
أعلى وتعانقا ثم شرع كل منهما في العراك. كل واحد منهما كان
شديد القوة؛ ولم يشعر إلا بنخير أنفاسهما جزاء المجهود المبذول،
وكان العرق ينزل من جبهتيهما غزيرًا. استمر ذلك لوقت طويل،
لكن في النهاية استطاع بدرو أن يطرح الشيطان أرضًا. وبدأ العراك
من جديد، ومن جديد طرح بدرو الشيطان أرضًا. غير أن الشيطان
انتصر بعد ذلك على بدرو، ثلاث مرات متتابعة.

أنت ملكي، قال له، لكني لا أود أن أسيء استغلالك. أمامك
ثلاثة شهور لترتب أمورك وترحل إلى بيتي. وكما تعلم، فأنا أعيش
في مدينة جارابيتو... خذ هذا المنجل، سينفعك في الطريق.

ورتب بدرو تجارته في عدة أيام وقال لنفسه:

سواء الآن أو بعد ذلك، ما الفارق؟ ما ينبغي أن أفعله غدًا من الأفضل أن أفعله الآن. ووضع ستة بيزوات في حافظته، وحمل المنجل وانطلق بحثًا عن مدينة جارابيتو.

سار وسار لأيام كثيرة، حتى وصل ذات يوم إلى جبل وقابل ثعلبًا.

هل تعرف يا صديقي أين مدينة جارابيتو؟
لا أعرف، لكن ربما أمي تعرف.

راحا ليسألا أم الثعلب، لكنها كانت تجهل ذلك، ومع ذلك:

من يدري، ربما يعرف عرابنا الأسد، وهو مثناء ومغامر. هيا يا بني، سر مع هذا الفارس إلى حيث يقطن عرابي؛ ربما يعرف هو أين تقع هذه المدينة.

والثعلبة قتلت دجاجة، وطبختها وقدمتها لـ بدرو من أجل الطريق.

وخرج بدرو والثعلب ووصلا إلى بيت الأسد متأخرين جدًا. قدّم الثعلب بدرو، وبعد التحيات سأل بدرو الأسد إن كان قد سمع عن مدينة تسمى جارابيتو.

حكايات واساطير لاتينية |

لم أسمع باسم هذه المدينة قط: لكن لا بد أن عرابي ترارو⁽¹⁾ يعرفها.

ثم قتل الأسد خروفاً وشوى ضلعاً منه وقدمه لبدرو من أجل الطريق. ثم قال لشبل جديد:

اصطحب هذا الفارس إلى حيث يسكن عرابي ترارو.

ووصلوا إلى حيث يسكن عراب ترارو.

مساء الخير يا عراب ترارو، حياها بدرو.

مساء الخير يا سيد بدرو، رد ترارو.

جئت إليك بسؤال، وأعلم أن بوسعك أن تجيبني. أين أجد مدينة جاراييتو؟

لم أسمع قط عن تلك المدينة يا سيد بدرو، لكني أعرف أن عرابي خوتي⁽²⁾ لا بد أنه يعرفها.

وأرسل فرداً من الجوارح الجدد لاصطحب بدرو.

ووصلوا حيث يقيم خوتي.

(1) ترارو: اسم يشار به إلى طائر جارح.

(2) خوتي: طائر جارح.

مساء الخير، سيدي خوتي.

مساء الخير، يا سيد بدرو.

جئت إليك في طلب، هل تعرف في أي مكان أجد مدينة جارابيتو؟

لا أعرف، لكن واحدًا من أبنائي لا بد أنه يعرف. أنا أقضي حياتي محبوسًا بالبيت، وهم من يخرجون.

شد السيد خوتي جرسًا فرنّ، وبدأ يتوافد حشد من الطيور الجارحة، أبناء خوتي المعجوز.

هل سمعتم عن مدينة جارابيتو؟

ولم يكن أحد منهم قد سمع عنها من قبل، لكنهم قالوا له ربما أخونا كوتشوفيتو الذي لم يأت بعد يعرف ذلك، إنه أكثرنا تجوالًا.

فقرعوا الجرس أشد من قبل، وبعد برهة طويلة وصل ابن خوتي مترنحًا. كان ثملًا في أرض الله، فجاء وسقط، ثملًا إلى حد أنه لم يسيطر على نفسه. سأله خوتي الأب لماذا تأخر كثيرًا في المجيء، فأجاب بأنه كان في مدينة جارابيتو، يتحدث مع الشيطان.

وهل يمكن أن تصطحبني إلى هناك؟ سأله بدرو.

حكايات واساطير لاتينية |

ولم لا، أجاب كوتشوفيتو، أصطحبك حتى بعينين مغمضتين،
فأنا أعرف الطريق كما أعرف راحة يدي.

ثم اضطجعوا جميعًا وناموا، وبعد قليل كانوا جميعًا سعداء،
باستثناء بدرو المهموم، فلم يستطع أن يغمض له جفن طوال الليلة.
فالمسكين ليس أمامه إلا يوم واحد لإتمام ثلاثة أشهر بحسب
الاتفاق مع الشيطان.

ثم نهضوا جميعًا مع شقشقة الصبح، وشرعوا في السير.

هل معك فضة من أجل الطريق يا صديق؟ فأنا أحب أن أتجرع
شربًا من أن لآخر غير أن المال قد نفذ مني؛ وليس معي ولا نصف
ستافو حتى.

سلمه بدرو ستة بيزوات كان يمتلكها، فضحك الخوتي الصغير
بوجه راضٍ: فلم يمتلك من قبل كل هذا المال مرةً واحدة.

انظر يا صديق، يقول لبدرو، أنا ممتن لك جدًا، ولأبرهن لك
ذلك، خذ هذه الريشة (وشد واحدة من جناحه الأيمن وأعطها
له). خذها لك، ستفيدك في شيء. وأنا أصطحبك حتى جذع
شجرة المته، على ضفاف بحيرة. وفي الحادية عشرة ستصل ثلاث
بطات، هن بنات الشيطان، من تصل متأخرة منهن تسمى ماريكيثا،

لها صفائر من ذهب، ستقع مباشرة لأسفل. حينئذ قل لهذه الريشة: «الرب وسمكة واحدة تحت الماء»، وفي الحال تسقط الريشة وتحول إلى سمكة وتقرب من حيث تتعري ماريكيثا ذات الصفائر الذهبية. وحين تدخل ماريكيثا الماء، تغدو أنت رجلاً، كما أنت، خذ الصفائر التي خلقتها وراءها على الضفة بجانب ملابسها، واختبئ وراء شجرة المته. وحين تخرج هي من الماء، ولا تجد صفائرها الذهبية، ستقول: أين صفائري الذهبية؟ حينها اخرج وسلمها لها ثم انعم بالسكينة.

قاد كوتشوفيتو بدرو حتى شجرة البولودو، وتركه هناك. بعد قليل، في الثانية عشرة بالضبط، وصلت ثلاث بطات لتعوم. رآها من بعيد، وقال وهو يخرج الريشة: «الرب وسمكة تحت الماء»، فتحول إلى سمكة وراح يعوم واختبأ بين الأحجار، بينما كانت ماريكيثا تدخل لتعوم.

جلست ماريكيثا فوق الأحجار، تجردت من ملابسها وفي الحال خلعت الصفائر الذهبية، وضعتها فوق ملابسها وغاصت في الماء. وفي الحال خرج بدرو، أخذ الصفائر واختبأ وراء جذع شجرة البولودو وانتظر.

حكايات واساطير لاتينية |

وحين ارتدت ماريكيتا ملابسها، افتقدت ضفائرها فلم تجدها،
مساحت:

أين ضفائري الذهبية؟ من خبأها عني؟ من يعثر عليها سأحميه
من كل الشرور التي قد يواجهها.

حينئذ خرج بدرو من مخبأه وسأل:

ماذا تقولين يا آنسة؟

أقول إن من يعثر على ضفائري الذهبية سأحميه من كل الشرور
التي قد يواجهها.

أنا أواجه شرورًا جادة، وأمل أن تحميني.

وسلمها الضفائر:

ثق فيّ. هل يمكن أن أعرف ما وجهتك؟

ولم لا، أتوجه إلى مدينة جارابيتو، إلى بيت الشيطان، فأنا على
موعد معه اليوم.

الشيطان هو أبي، ولأخبرك أنك لن تكون سعيدًا برؤيته. مع
ذلك، حين يأمرك بفعل أي عمل، تذكرني وسأساعدك.

ثم تحولت ماريكيتا ذات الضفائر الذهبية إلى بطة وحلقت في العجو.

وشرع بدرو في السير صوب مدينة جارابيتو، بعد أن أشار له الخوتي الصغير قبل أن ينصرف، ولأن المنجل الذي سلمه له الشيطان منذ ثلاثة شهور يضايقه، رماه بعيداً وقال:

ما فائدة هذه القذارة؟ فيما فادتني من قبل! لم تفعل أكثر من إعاقتي.

وبعد سير قصير، وصل إلى المدينة. خرج الشيطان لمقابلته وبدلاً من تحيته سأله:

والمنجل، ماذا فعلت به؟

لقد تقدمني، ولم أستطع السيطرة عليه.

كيف تقدمك؟ لو أنك استغنيت عنه سيكلفك ذلك كثيراً. غداً، في الصباح، ستزرع هذا القمح فوق تلك الأحجار، وفي الثانية عشرة ستحضر لي خبزاً مصنوعاً من طحين القمح الذي حصده.

سأفعل يا سيدي.

ومبكراً جداً استيقظ بدرو في اليوم التالي، أخذ القمح الذي

حكايات وأساطير لاتينية

سَلَّمه من الشيطان في اليوم السابق، وحمل البلطة والفأس على كتفه وسار، راح ليزرع.

كانت الأحجار صلبة جدًّا، ومهما حاول الحفر فيها، لم يستطع تحقيق ذلك. ومتعبًا، ألقي بنفسه على الأرض ونام.

كانت الساعة أوشكت على الثانية عشرة حين جاءت ماريكيتا بصفاتها الذهبية، فأيقظته وقالت له:

ماذا عن العمل الذي أمرك بالقيام به؟ هل زرعت القمح؟ هل حصدته؟ هل طحنته؟ هل ستتهي من صنع الخبز! أما ما يخصني، فأنا أعددت الطعام.

العمل جعلني أنام، فنمتُ.

كل ذلك جيد، لكن أبي سيأتي إليك. وأنا لا أريد أن يضبطك هكذا.

وأضافت:

فليمنح الله قمحًا من أجل هذه الأحجار، فليزرعه فيها، فلينبت، فلينضج، فليُحصد، ولتأت ماكينة لتحشّه، ومطحنًا ليطحنه، وخبازًا ليصنع الخبز، وفرنا ليسويه.

وكانت كلما نطقت بتلك الكلمات، تحقق ما قالته، بحيث أنها حين انتهت، كان الخبز قد استوى. وضعت في السلة ومررتها إلى بدرو وهي تقول:

خذ هذا، احمله إلى أبي، لا بد أنه على المائدة الآن في انتظارك. وحين سلّم بدرو الخبز للشيطان، سأله الأخير:

كيف صنعت هذا الخبز؟

كما يُصنع الخبز. حضرتك أمرتني أن أصنعه وها قد صنعته. حين يريد الإنسان أن يفعل شيئًا، يفعله فحسب.

لو كان الأمر كذلك، قم غدًا بعمل آخر: فرّغ هذه البئر، بجذع شجرة البولد.

وأعطاه دلوًا.

سار بدرو إلى حيث تمكث ماريكيتا ذات الشعر الذهبي وسألها ماذا يفعل ليستخرج ماءً كثيرًا من البئر بدلو بائس، فمنحته ماريكيتا كيسًا من الدقيق وكلفته بأن يفرّغ الكيس في الدلو قبل أن يشرع في العمل.

في اليوم التالي، عند الفجر المبكر، نهض بدرو ليقوم بعمله؛

حكايات وأساطير لاتبينة

وفعل ما كلفته به ماريكيتا وبذلك غطى ثقب الدلو واستطاع سحب ماء البشر.

وفي الثانية عشرة بالضبط، جاء الشيطان ووجد البئر جافة.

ماذا فعلت لتجفف البئر؟ سأل الشيطان بدرو.

يا سيدي، جففت البئر كما يجفون الماء من كل الآبار. حضرتك أمرتني أن أفعل ذلك وها قد فعلت. حين يريد المرء أن يفعل شيئًا، يفعله فحسب.

إن كان الأمر كذلك، اصنع لي جسرًا يعبر البحر: اقطع الخشب، اشتغله، قيم الجسر، وانتِ منه تمامًا في الثانية عشرة نهارًا: اتفقنا، قال بدرو.

وتوجه إلى حيث تمكث ماريكيتا ذات الضفائر الذهبية لتخرجه من مأزقه.

غداً، حين تبدأ في العمل، تذكرني ولا تخف، أجابته ماريكيتا.

في اليوم التالي نهض بدرو عند الفجر، حمل فأسه وتوجه إلى الغابة القريبة ليقص الأشجار. قص بعض ألواح الخشب، ليست أكثر من عشرة، ثم شعر بالتعب.

لن أعمل أكثر من ذلك، حدّث نفسه، سأضطجع قليلاً، وأواصل عملي في وقت آخر.

وراح في النوم.

وفي الحادية عشرة والنصف، حين وصلت ماريكيتا ذات الضفائر الذهبية، أيقظته وقالت له:

أوشكت على الثانية عشرة ولم تبدأ في إقامة الجسر بعد. ولا حتى قطعت الخشب.

شعرت بالإنهاك فنمتُ.

حينئذ قالت ماريكيتا عند عودتها إلى الشاطئ:

فلتقم يا جسر ولتعبّر البحر.

فأقيم الجسر في الحال.

وجاء الشيطان، وعند رؤيته للجسر سأل بدرو:

كيف صنعت جسرًا بهذه السهولة؟

كما تُصنع كل الجسور يا سيدي. حضرتك أمرتني أن أنتهي منه في الثانية عشرة، ومن أجل ذلك اجتهدتُ. وكما تعرف حضرتك، فحين يضع الرجل في رأسه عمل شيء، يفعله على أتم حال.

حكايات واساطير لاتينية |

عظيم، أجاب الشيطان، وبما أن الأمر كذلك، سترعى غداً الثلاثة أرناب الموجودة بهذا الصندوق، وعلى رأس كل ساعة ستخرجها حتى ترقص.

اتفقتا، وافق بدرو، وراح ليقول ذلك لـ ماريكيثا ذات الضفائر الذهبية.

يريد أبي أن يضبطك، قالت له، لكن لا تخف: غداً، عندما تكون مع الأرناب تذكرني ليس أكثر من ذلك.

ستكونين في ذهني.

لا تنس ذلك، أكررك.

مع صياح الديكة، نهض بدرو في اليوم التالي، وكان «الشر» في انتظاره مع الأرناب؛ فتح له الصندوق وأطلعه كيف ترقص. وجد بدرو أنها ترقص بمهارة؛ وبالفعل كانت ترقص مثل راقصات خبيرات.

أمره الشيطان أن يحمل الصندوق إلى ضفاف البحر وقال له أن يعود في الثانية عشرة ليرى كيف تصرف الأرناب وكيف رعاها بدرو.

فعل بدرو ما أمره به الشيطان؛ لكنه بمجرد أن ترك الصندوق

على ضفة البحر، شعر بإنهاك وشرع في النوم. وحين أوشكت على الثانية عشرة استيقظ، وسمع الأرناب تبكي.

يا لك من مسكينة، قال، لا بد أنها تريد الرقص.

وفتح لها الصندوق. حينئذ شرعت الأرناب في الرقص وكان من السعادة رؤيتها؛ لكنها فجأة هربت منه. أحدها راح في عمق البحر، والآخر راح في اتجاه الصخور، والثالث هرب إلى المدينة. يا للمأزق الذي وجد نفسه فيه بدروا لقد اختفى الثالث من ناظره، وكذلك الإثنان الآخران، لقد تبخرت الأرناب من أمامه.

كانت أوشكت على الثانية عشرة حين جاءت ماريكيتا ذات الصفائر الذهبية.

لماذا لم تذكرني؟ سألته.

وأنا أرى الأرناب الملعونة التي هربت مني، نسيتك، أجابها بدرو.

فلتعد الأرناب في الحال إلى صندوقها! أمرت ماريكيتا.

فعدت الأرناب خاضعة ودخلت الصندوق.

ذهبت ماريكيتا ووصل الشيطان في الحال وسأل الأرناب

حكايات وأساطير لاتينية |

(التي كانت ثلاثة شياطين) إن كان بدرو قد جعلها ترقص. فأجابت جميعها بنعم.

ولماذا لم تهربي؟

هربنا، لكننا عدنا.

حينئذ قال الشيطان لـ بدرو:

غداً ستقوم بعمل آخر، وسيكون آخر ما أكلفك به.

وما هو؟

ستلمس على هذا الجبل، وتنزعه من مكانه، وتجهز الأرض، وتزرعها بالكروم، وفي الثانية عشرة ستحضر لي عنباً ناضجاً.

سأفعل ما تأمر به، أجاب بدرو.

وراح ليقابل ماريكيثا ذات الضفائر الذهبية حتى تساعده.

هذا العمل صعب قليلاً، قالت هي؛ لكن تذكرني في الوقت المناسب، ولا تنم مثل المرات السابقة.

وعدها بدرو بأن يرضيها، وراح لينام. ومع صياح الديك الأول، كان ناهضاً، يحمل فأساً على كتف وفأساً أكبر على كتف أخرى،

وتوجه إلى الجبل. بدأ عمله بهمة، ثم ما لبث أن شعر بالتعب بعد أن قطع أربعة أو خمسة حجارة، بدون قوة لمواصلة العمل. فتمدد على الأرض وراح في النوم.

كانت قد أوشكت على الثانية عشرة عندما وصلت ماريكيتا ذات الضفائر الذهبية ووجدته يشخر. حينئذ قبضت على قدمه، وسحبته وتركته بجانب شجرة بامبو، ثم قالت له إن هذا عقاب النائم الذي لا يتذكرها. ثم أمرت في الحال:

فليأت خمسين عاملاً لتلين الجبل وتفكيكه؛ ولتُحرث الأرض، وليُزرع الكروم؛ ولينبت الكروم؛ ولينمو العنب؛ ولينضج العنب؛ وليجمع بدرو الكروم في سلة.

وكلما تحدثت تحقق ما تقول، بكل سهولة وجودة إلى حد أن ماريكيتا لم تجد متسعاً من الوقت لتهرب وتختبئ من الشيطان حتى لا يراها.

وسلم بدرو سلة العنب إلى الشيطان وقال الشيطان: عظيم، لن أكلفك بمهمة أخرى.

وحين وصل الشيطان إلى بيته قال لزوجته:

حكايات واسباطير لاتينية

كيف يبدو لك، يا عجوزة، ما يحدث لي مع بدرو؟ لقد كلفته بأعمال كذا وكذا ووفى بها جميعًا.

ألا ترى أيها الشيطان الذكي أن ماريا من تساعده؟ أجابته الشيطانة.

هذا ما لا ينبغي أن يحدث يا ابنة، وماذا سنفعل معهما؟
غداً نحرقهما معًا.

سمعت ماريكيثا ذات الضفائر الذهبية هذا الحوار، وكانت مختبئة وراء باب، وبالليل راحت لتتحدث مع بدرو:

الآن أعرف أننا خسرنا، قالت له. وغداً يريدون أن يحرقونا معًا. ليس حقيقة أن الشيطان أبي، هو وزوجته وبناته يكرهونني، فحين كنت صغيرة رحمت وسرقت منهم المجد... علينا أن نرحل من هنا، لأننا لو بقينا سيحرقوننا... خذ هذا النبع وابصق فيه، وأنا سأبصق في نبع آخر... ثم رح لتبحث عن حصان فاتح اللون بجانب النبع، داخل المعلق، خذ الحصان الذي يسير فرسخًا في خطوة؛ لا تُحضر الآخر الموجود بالخارج، لأن هذا لا يسير أكثر من نصف فرسخ.

راح بدرو بحثاً عن الحصان الموجود بالداخل؛ لكنه أخطأ
وأحضر من كان خارج المعلف.

لماذا أحضرتَ هذا؟ ألم أقل لك احضر من بالداخل؟

أحضرت هذا لأنه كان الأقرب، حتى لا أتأخر.

ماذا سنفعل الآن! علينا أن نمتطيه ونرحل.

فامتطى كلاهما الحصان ورحلا.

كان الليل قد انتصف عندما نادى الشيطان بدرو وماريا، فأجابه
اللعاب الذي خلفاه في الينابيع.

ماذا تريد يا سيد؟

لا شيء، نم، نم لا شيء أكثر.

ثم عاد الشيطان في الثالثة فجراً ونادى:

يا بدرو، يا ماريا!

ماذا تريد يا سيد؟ أجاب اللعاب، ليس بصوت مرتفع مثل المرة
الأولى، لأنه كان على وشك الجفاف.

لا شيء، نم، نم لا شيء أكثر.

في الخامسة استيقظ الشيطان مجددًا:

يا بدرو، يا ماريًا!

ماذا تريد يا سيد؟ رد اللعاب بصوت ضعيف ومنطفيء، لأنه كان قد جف تقريبًا.

بعد نصف ساعة نهض الشيطان وقفز قفزة كبيرة ليحرق بدرو وماريكيتا؛ لكنه حين راح ليبحث عنهما في سريره لم يجدهما. لقد رحل الصعلوكان، قال للشيطانة، وسرقا الحصان الذي يسير نصف فرسخ، لكنني سأتبعهما بهذا الذي يسير فرسخًا في الخطوة، سألحق بهما وسيدفعون الثمن غاليًا.

حسنًا، أجابت الشيطانة، سأبقى هنا لأحرس البيت، وأنتظر هذه الليلة، واحضرهما.

امتطى الشيطان الحصان الذي يسير فرسخًا في الخطوة وكان على وشك الاقتراب من الهارين حين التفتت ماريكيتا إلى الوراء ورأته. حينئذ قالت:

يا حصاني كن بحيرة، ولأكن أنا بطة، وليكن بدرو زوجها.

ووصل الشيطان إلى البحيرة وأراد أن يعبرها، لكن الحصان

برك، فنجا الشيطان بالكاد. وتحتم عليه العودة إلى البيت.

وبدرو وماريكيتا؟ سألت الشيطانة.

عندما أوشكت على الإمساك بهما برك الحصان في بحيرة
بالطريق، وبينما كنت أحاول الخروج، تحولت البحيرة إلى دخان.

ولم تر شيئاً في البحيرة؟

كيف لا! بطة وذكرها.

يا لك من عجوز أحمق! إنهما هما، والبحيرة هي الحصان.
سأخرج غداً وسترى كيف سأقبض عليهما.

بمجرد أن تراجع الشيطان، عادت ماريكيتا وبدرو والحصان
إلى هيتهم الطبيعية وواصلوا الهرب.

في اليوم التالي امتطت الشيطانة الحصان الذي يسير فرسحاً في
الخطوة، لم يكن أمامها إلا عدة خطوات لتبلغهما. لكن ماريكيتا
انتبهت إليها وقالت:

اجعل بيننا وبين الشيطانة غابة، وجذوع شجر.

وفي الحال ظهرت غابة قطعت الطريق، كانت غابة ملتفة بها
جذوع شجر تحترق في كل الاتجاهات، بحيث لم تستطع الشيطانة

حكايات واساطير لاتينية |

العبور وتحتم عليها العودة إلى بيتها.

حين اطلع الشيطان على الأمر، قال لها:

آه يا حمقاء! ما رأيته لم يكن إلا سراب فردته ماريكيتا في طريقك. غدا سأروح بنفسى وسترين كيف سأقبض عليهما.

وفي اليوم التالي، خرج الشيطان مبكراً جداً، ومن بعيد استطاع رؤية ماريكيتا التي أمرت في الحال:

يا حصان، كن كنيسة، ويا بدرو، كن كاهناً يقيم القداس، ولأكن أنا الطفلة التي تساعد.

وصل الشيطان إلى الكنيسة، وبدون أن يلاحظ أنها كنيسة، قال لنفسه:

سأدخل هذا البيت لأسأل إن كان قد عبر من هنا من أبحث عنه. دخل في اللحظة التي فيها كان بدرو يرفع الخبز، وكان محاطاً بشعابين وحيات.

وصل إلى بيته وقال للشيطانة:

لم أستطع اللحاق بهما، ولا حتى لدي أخبار عنهما. وصلت حتى كنيسة كانوا يقيمون فيها القداس، فلم أستطع الدخول وعدت.

يا لك من عجوز أحمق! الكنيسة هي الحصان، ويدرو من كان يقيم القداس، وماريكيتا من كانت مساعدته. دعني أروح غدًا ولن يهربا مني.

وفي اليوم التالي خرجت الشيطانة، لكن ماريكيتا رأتها من بعيد، وقالت:

فليكن بحرًا بضفة مكسوة بالأحجار المبعثرة، وليغدو الحصان مركبًا ونحن بحارة.

وحدث ما أمرت به ماريكيتا.

ووصلت الشيطانة إلى الضفة، ورأتها يبحران فصرخت فيهما:

أنا أعرف أنكما أنتما، لا تخدعاني كما فعلتما مع زوجي العجوز الأحمق.

وأرادت أن تتقدم، لكن الحصان انزلق على الأحجار المبعثرة على الشاطئ وسقط بالشيطانة وكل شيء، وتهشمت تقريبًا.

لم يتبق للشيطانة من وسيلة إلا العودة إلى البيت، لكنها لعتهما قبل ذلك:

هيا يا ماريا، تسيرين الآن سعيدة جدًا لكن هذا الكلب الصعلوك

الذي يقودك سيهجر، وسيتزوج أخرى.

حين سمع البحارة لعنة الشيطانة، قالت ماريًا:

هل تسمع يا بدرو؟

نعم، سمعت، لكن ذلك لن يحدث، إنها تصطاد في الماء العكر.

ووصلا إلى الشاطئ ونزلا في ميناء جميل. ترك بدرو ماريكيتا في أحد البيوت بعد أن أوصى عليها وراح هو لبيتاع لها ملابس وأشياء أخرى ضرورية.

لكن بدرو، بمجرد أن وصل إلى المدينة، شعر بالانطلاق، وبدلاً من القيام بشراء ما يحتاج إليه، دخل بيت القمار وفاز، ثم راح ليتسلى مع أصدقاء جدد كان قد فاز عليهم، ولم يتذكر ماريكيتا ذات الضفائر الذهبية على الإطلاق.

حدث أنه بعد أيام قليلة تعرف إلى فتيات، واحدة منهن ملأت عينه، وبدون كلام كثير وحديث، طلب يدها للزواج. ووافقت العروسة، وحددوا الأسبوع التالي موعدًا للزفاف.

وكما هو معروف في العالم أجمع، انتقل خبير زواج بدرو الجديد كالنار في الهشيم، سرى وسرى، حتى وصل إلى ماريكيتا.

وأصبح يوم الزفاف، وكانوا سيحتفلون به بعد غداء فخم حضره
علية القوم بالمدينة، وكان عددهم يزيد على مئتي فرد، هكذا
استطاعت ماريكيتا أن تمر بينهم من دون أن تلفت نظر أحد إليها.

وكانوا جميعًا حول المائدة حين نهضت ماريكيتا واستأذنت
منهم لتؤدي عرضًا مسليًا للحظات، حينئذ طلبت منهم طنجرة
ملأى بالماء، فأحضرها لها، ووضعها على المائدة أمامها، فظهر
فيها بطة وذكرها وبدأ في العوم. وبعد عدة غطسات في الماء،
وقفت البطة أمام ذكرها وقالت:

هل تتذكر يا ذكري حين فقدت صفائري الذهبية ووعدتُ من
يعثر عليها أن أجنبه كل خطر؟

فغطس الذكر وأجاب:

هاهاها، لا أتذكر ذلك!

فغطسا مرة أخرى في الماء وعادت البطة لتسأل:

هل تتذكر يا ذكري، حين أمروك بزراعة القمح فوق الأحجار وأن
تحصد القمح وتصنع منه خبزًا وأن تقدمه لهم في الثانية عشرة، ومن
دون مساعدتي لكنّك انتهيت؟

حكايات وأساطير لاتينية

هاهاها، لا، لا أتذكر!

هل تتذكر يا ذكري عندما أمروك بتجفيف بئر بدلوا، وما كان
« سمعك أن تفعل لو لم أعطك حقية ملأى بالعجين لتسد ثقبه؟

هاهاها، لا، لا أتذكر!

آه يا ذكري النذل! هل تتذكر حين أمروك بأن تصنع جسرًا يعبر
البحر وأن عليك الانتهاء منه في الثانية عشرة من نفس اليوم؟

هاهاها، لا، لا أتذكر!

هل تتذكر يا ذكري حين أمروك برعاية الأرانب وأن تجعلها
نرفص ثلاث مرات قبل الثانية عشرة، وأنها هربت منك، واحد في
اتجاه البحر، وآخر إلى الصحور، وثالث إلى المدينة، وأنا جمعتها
لك؟

هاهاها، لا، لا أتذكر!

وهل تتذكر يا ذكري عندما أمروك أن تزرع الكروم وأن تلين
الجبل وتحمل العنب الناضج قبل أن تدق الثانية عشرة؟

هاهاها، لا، لا أتذكر!

هل تتذكر يا ذكري عندما كانوا سيحرقوننا نحن الإثنين وأنا

أمرتك أن تبحث عن حصان يسير فرسخًا في الخطوة وأنت
أحضرت الحصان الذي يسير نصف فرسخ فحسب؟

هاهاها، لا، لا أتذكر!

هل تتذكر يا ذكري عندما كنا في طريق الهروب ولاحقنا أبي
بالحصان الذي يسير فرسخًا في خطوة، وأنا جعلت الحصان الذي
نمتطيه يتحوّل إلى بحيرة ونحن إلى بطتين، وحين عجز أبي عن
التقدم تقهقهه إلى الورااء؟

هاهاها، لا، لا أتذكر!

هل تتذكر يا ذكري عندما خرجت أمي لتلاحقنا وعندما كانت
على بعد أشبار لتبلغنا جعلت بيني وبينها غابة وأسقطت الأشجار
لتقف بيننا حائلًا؟

هاهاها، لا، لا أتذكر!

هل تتذكر يا ذكري عندما، في اليوم التالي، كان أبي على وشك
أن يلحق بنا فحوّلت الحصان إلى كنيسة وحوّلتك إلى كاهن تقيم
القداس وأنا كنت أساعدك؟

هاهاها، لا، لا أتذكر!

حكايات وأساطير لاتينية |

هل تتذكر يا ذكري حين لاحقنا أمني ووضعت بينها وبيننا بحرًا
شاطئ مكتظ بالحجارة المتناثرة، وحين تحول حصاننا إلى مركب
نحولنا نحن إلى بحارة؟

هاهاها، قليلًا ما أتذكر ذلك!

يا لك من ذكر بط نذل! ألا تتذكر عندما نزلنا هنا وتركتني في
أول بيت صادفنا عند مدخل الميناء، ورحت أنت إلى المدينة لتبتاع
لبي ملابس وقلت لي إنك ستعود بعد ذلك ولم تعد مرة أخرى؟
وتركتني لتتزوج أخرى!

هاهاها، نعم أتذكر، أجابه ذكر البط.

وحينها تذكر بدرو كل ما حدث ونهض من كرسيه وقال:

كل ما قلته كان حقًا يا بطة. أنا ذكر البط وكنت نذلًا. البطة هي
ماريكيتا ذات الضفائر الذهبية، وقد حررتني من مخاطر كثيرة، وهي
من يجب أن تكون زوجتي.

وتزوجا وغديا عريسًا وعروسة. وأقيمت الاحتفالات الكبيرة
كما لم تقم من قبل قط، وكانت ملأى بالأفراح والسرور، وأنا،
حيث حضرت الزفاف، تمتعت كأني أربعة أفراد.

وتوتة توتة، خلصت حدوتة الحمار المقمل، وحملته الريح
لداخل البحر، ومر بحذاء ممزق ليحكى حكاية أخرى⁽¹⁾.

(1) هذه إحدى طرق إنهاء الحكايات والحواديت، تُسماوي في العامية «توتة توتة»، خلصت الحدوتة، حلوة وللا ملتوتة»، وتفتح أفقاً لانتقالها من فم إلى فم، لأنها في الأصل حكايات شفاهية. (م)

4 - قصر زهرة الزنبق

هذان عجوزان كانا يعيشان في حقل يمتلكان فيه قيراطًا من الأرض يزرعانه بعناية.

وكان لديهما حفيد يدعى مانويل، يتيم الأب والأم، وكانا يجدان به قبلةً لحنانيهما، فلم يكن لهما عائلة سواه، لذلك رياه بكثير من التدليل.

ذات صباح، أعطت الجدة لمانويل حزمة من البصل وقالت له: اذهب إلى القرية وبعها، وبالفضة التي تجمعها اشترِ كذا وكذا. فخرج مانويل بالبصل، وسار مسافة تقرب من بعض الكيلومترات، حين صادف في طريقه صبيةً كانوا يضربون كلبًا بالأسواط وبعنف. كان مانويل طيب القلب، فقال لهم:

لماذا تعذبون هذا الحيوان المسكين؟

وماذا يهمك؟ أجابه، هذا شغلنا ولا يعنينا.

اتركوه لي، وأنا في المقابل سأعطيكم حزمة البصل هذه.

حيثُذ وافق الصبية على عرض مانويل، فعاد إلى البيت بصحبة الكلب وحكى للجدة ما جرى.

غضبت العجوز قليلاً، ثم راحت إلى الحديقة وجمعت حزمة كبيرة من الخضروات، وقالت لمانويل:

اذهب إلى القرية وبع هذه الحزمة، ولا تفعل الحماقة التي فعلتها من قبل، ففيما نحتاج إلى كلاب أخرى مع ما لدينا؟

من يدري يا جددة، فربما يفيدنا هذا الكلب في شيء؟ ولو أنك رأيت العنف الذي به عذبوا هذا الحيوان، لشعرت مثلي بالحزن!

وخرج مانويل بحزمة الخضروات، وسار نفس الكيلومترات تقريباً، حين صادف نفس الصبية الذين كانوا يحملون الآن قطعاً مربوطاً ويضربونه بهراوة بما لديهم من قوة.

لماذا تضربون هذا الحيوان المسكين؟ ماذا فعل لكم؟ اتركوه لي، وأعطيك حزمة الخضروات هذه ويمكنك أن تبيعوها.

وقايضوه، ووصل مانويل إلى البيت بالقط بين ذراعيه. فقالت له الجددة غاضبة:

يا ولد، بالله عليك، ماذا تفعل؟ ليس لدينا ما نأكله وأنت تملأ لنا

حكايات واساطير لاتينية |

البيت بالحيوانات!

لكن يا جدة، كيف لا أتعاطف وهؤلاء الأشرار كانوا يقتلون هذا الحيوان الجميل؟

تسلحت العجوزة بالصبر، وراحت إلى الحديقة مجددًا وعادت بسلة ملأى بالبطاطس.

انظر يا مانويل، لا تفعل الحماقة التي فعلتها من قبل. إن لم تبع البطاطس وتحضر لنا ما قلته لك، سأخبر جدك وسيعاقبك.

وخرج مانويل بسلة البطاطس وحين سار عدة كيلومترات صادف نفس الصبية، وكانوا يجرجرون ثعبانًا ويضربونه بالهراوات. لماذا تضربون هذا الثعبان؟ أي سوء الحقه بكم؟ خذوا هذه البطاطس وسأخذه أنا معي.

سعيدًا جدًا، عاد مانويل إلى بيته مزهواً بالثعبان، لكنه، بمجرد ما عبر منطقة الصخور، هرب منه واختبأ تحت حجر.

ماذا سأفعل الآن؟ سأل الطفل نفسه، كيف سأصل إلى البيت بدون البطاطس وبدون شيء؟ ستضربني جدتي.

خطر له حينئذ أن يحرك صخرة، وكانت ثقيلة جدًا، واضطر أن

بيدل مجهودًا كبيرًا ليبدل مكانه. وحين حرّكها، كشف من تحتها فم بئر، ففكر مانويل أن ينزل حتى يقبض على الثعبان. ثم راح إلى غابة مجاورة، وأحضر جذع شجرة، وصنع وتدًا على فم البئر، وربط به جذع الشجرة وتزحلق عليه حتى العمق. في البداية لم يكن يرى شيئًا، لأن الظلام كان كالحا جدًا، لكنه حين اعتاد الرؤية، رأى ممرًا فسار فيه حتى وصل إلى باب، وهناك وقفته أميرة جميلة، وسألته:

ماذا تفعل هنا؟ هل أنت من هذه الحياة أم الحياة الأخرى؟

من هذه الحياة.

انصرف إذن، لأن هناك ثعبانًا يحرسني، هو أبي، ولو جاء وراك سيقتلك.

آه! إنه ثعباني، قايضته مع صبية مقابل سلة بطاطس، وأنقذته من الموت. وأنا بالتحديد أبحث عنه، لأنني حينما كنت أحمله إلى بيت جديّ هرب مني، واختبأ في هذه البئر. يتحتم عليّ أن أحمله إلى بيتي، حتى لا تعاقبني جدتي، أين هو؟

هنا في هذه الغرفة، مختبئ تحت سبعة مفاتيح.

اعطني المفاتيح إذن لأقبض عليه.

حكايات واساطير لاطليبية |

لا يا مانويل، دعه في سلام حتى يتحسن، لقد عذبه كثيرًا. يالك
من مسكين يا أبي! اتركه لي، ومقابل ذلك سأمنحك طائرًا سحريًا.

احتفظ مانويل بالطائر، وودّع الأميرة، ثم تسلق جذع الشجرة
حتى وصل إلى سطح الأرض.

وحين وصل إلى هناك فكّر:

من يدري، لربما خدعتني هذه الفتاة! سنرى.

وأخرج الطائر وقال له:

يا طائر يا معجزة، بالمعجزة التي منحها الله إياك، احضر لي هنا
طعامًا لم يأكله الملك رغم أنه ملك.

وفي الحال ظهرت أمامه مائدة مغطاة بأشهى الأطباق وبألذ
النيذ.

ما إن ذاق طبقًا وطبقًا آخر، حتى ركض إلى بيت جديه،
ووجدهما راقين على كومة من التبن، موتى من الجوع والبرد.
فأخرج الطائر وقال له:

أيها الطائر المعجزة، بالمعجزة التي منحها الله إياك، احضر لنا
طعامًا لم يأكله الملك رغم أنه ملك.

وفي الحال وضع أمامه مائدة مغطاة بكل شيء.

أكل الثلاثة بشهية كبيرة، ثم غطوا في النوم.

وقبل أن يشقشق الصبح، نهض مانويل بدون أن يحدث ضجيجًا، وراح إلى الحديقة وسحب الطائر، وأمره أن يوسع الأرض وأن يزرعها بكل نوع من أشجار الفواكه وأن يحرقها بكل نوع من البذور، وأن يصنع حظيرة كبيرة من الثيران والأبقار والماعز والحياد، وحظيرة للخنازير، وعشة للدجاج والديكة والديكة الرومي والبط والأوز. وكلما كان يطلب هذه الأشياء، كانت تظهر أمامه. طلب كذلك بيتًا جميلًا لكلبه وبيتًا آخر لقطته.

وبمجرد أن شقشق الصبح، استيقظ العجوزان مع صخب الحيوانات والطيور.

يا عجوز، قالت الجدة، ينقصنا أن تغيب الحيوانات عن جوارنا، وأن تأكل زرعنا. هيا نرتدي ملابسنا ولنر ما حدث.

ارتديا ملابسهما وراحا ليريا من أين يأتي الصخب، ومات من الرعب تقريبًا حين رأيا الحديقة وقد غدت متسعة ومزروعة عن آخرها، والحظيرة والزريبة وعشة الدجاج مسكونة بالحيوانات. لم يكن بوسع العجوزين المسكينين تفسير ما يشاهدانه. حيثذ قال

أهـ ما مانويل، وكان من ورائهما بدون أن يشعرا:

كل ذلك من أجلكما يا جدّي؛ لن تريا بعد ذلك أي احتياج.
ومانويل، الذي كان صبياً حتى ذلك الحين، استحال فجأة رجلاً،
ون أن يتبّه أحد إلى ذلك. وكان يرتدي ثياباً فخمة وأنيقة، وصار
محسناً مع الفقراء وكريماً مع الأصدقاء، واشتهر بثرائه الفاحش.
ان يخرج أحياناً للصيد، بصحبة كلبه وقطته، وأحياناً يذهب إلى
المدينة، حيث كان يقدره الجميع ويحبه.

وحدث ذات مرة أن أعلن الملك عن حفل راقص، سيختار
من بين الحضور إليه من يتزوج ابنته. ودعا الملوك والأمراء وكبار
رجال القصور المجاورين، ولأن الأميرة كانت شديدة الجمال
والذكاء، ولأنها كانت الوريثة الوحيدة للعرش، حضر عدد كبير من
الطامحين. فقال مانويل لنفسه:

أنا أيضاً سأحضر الحفل.

وليلة الحفل قال لطائره:

يا طائري المعجزة، شيد لي أمام قصر الملك قصرًا أفضل من
قصره، وأكثر ثراءً في أثائه، بمئات الخدم والحشم بثياب حاشية.

وفي اللحظة والتو ظهر القصر، «قصر زهرة الزنبق»، وكان لجماله وثرأه معماره لا مثيل له في العالم. ونام مانويل في القصر منذ تلك الليلة.

وفي اليوم التالي، غدا القصر الجديد محل إعجاب للجميع، ولم يكونوا يتحدثون عن شيء آخر أثناء الحفل لَمَا ظهر مانويل مرتديًا ثيابًا أفخم من أشد الأثرياء وأصحاب السلطة الحاضرين هناك، ومن ورائه مئة خادم محمّلين بالهدايا القيمة من أجل الملك ومن أجل ابنته. وكان الملك يقول في داخله:

هذا هو زوج ابنتي.

وبالفعل، في نفس تلك الليلة حدث الاتفاق، وبعد ثمانية أيام تزوج مانويل الأميرة.

غير أن هذا الزواج قد جرى بدون استشارة إرادة صاحبة الشأن، والتي كانت في غرام مع رجل أسود كان يعمل في قصر الملك، وظلت تقابله كل يوم كلما خرج مانويل للصيد بصحبة كلبه وقطته. وأشار الرجل الأسود على الأميرة أن تجر جر زوجها في الكلام لتعرف بأي وسيلة بات ثريًا حتى يمتلك قصر زهرة الزنبق، والأميرة، لأنها كانت ماهرة، تصنعت حبًا كبيرًا لمانويل لتنال هدفها، وبعد فترة

حكايات وأساطير لاتينية |

مليلة، بعد أن اطمأن لها، تجرأت ذات يوم وسأته. ولأن مانويل لم يكن يشعر بأي ارتياب، ولأنه كان يعشق زوجته عشق عبادة، حكى لها حكايته؛ وحينئذ قالت له:

انظر يا مانويل، لماذا لا تترك لي الطائر قبل أن تخرج؟ سأطلب منه أشياء جميلة، أشياء لا يفهمها الرجال.

سلمها مانويل الطائر، وأوصاها أن تعتني به، ثم خرج إلى الصيد، مسحبه كلبه وقطته.

وحين عاد فحسب، اكتشف خيانة زوجته.

وكان الملك ينتظره وهو يشيط غضبًا:

وبنتي؟ وقصر زهرة الزنبق؟

ولم يجد مانويل جوابًا. وماذا يمكن أن يقول للملك؟ من كان يمكن أن يختمن أين القصر؟ واقتصر على حكي الحوار الذي جرى ذلك الصباح مع الأميرة، وأنه قد سلم إليها الطائر. لو أن القصر قد اختفى، فذلك بذنب الأميرة وحدها.

آه! قال الملك وهو يتجول غاضبًا، يحدث هذا لأنني زوجت ابنتي لساحر.

والنفت إلى الحراس وأمر:

ضعوه في زنزانة.

وتوجه إلى مانويل:

أمامك مهلة ثلاثة أيام لتعيد قصر زهرة الزنبق كما كان، ولتعيد ابنتي، إن لم تفعل ستدفع رأسك، ولن ينفعك لا سحر ولا كل طيور العالم.

وها هو مانويل سجينًا، أسيرًا لأفكاره، مدركًا للكارثة التي حلت عليه بدون أن يعرف أي حل لها.

وحين لم يبق أحد، قال الكلب للقط:

يا أخي، علينا أن نحرر سيدنا، كما قد حررنا هو من قبل.

حيثُ تسلق القط جدران السجن وتسلل من نافذة صغيرة، وبقفزة واحدة بات بجانب مانويل.

يا سيدي، ماذا يمكن أن أفعل لأحررك من سجنك؟

ينبغي البحث عن قصر زهرة الزنبق، وأن نسترد الطائر من الأميرة.

وأين القصر؟

هذا ما ينبغي أن تبحثا عنه أولاً، وفي أسرع وقت ممكن، لأنه لم يبق إلا ثلاثة أيام لإنقاذ حياتي.

خرج القط وحكى للكلب حواراه مع مانويل.

سنحرت الأرض، يا رفيقي، حتى نجد القصر الملعون.

وخرجنا ليحرثنا الأرض.

تجولنا طوال النهار حتى غربت الشمس، وتجولنا وتجولنا، حتى وصلا إلى ثكنة عسكرية كان فيها العساكر مثل الفئران. لم يستطع القط أن يسيطر على نفسه، فراح وقتل بعضها؛ لكن الفئران كانت كثيرة، فنفضته. ولم يكن الكلب مستريحاً مع القط، فقال له:

لا تتصرف هكذا مرة أخرى، لأنه ربما يحدث لنا كارثة ونحن أمام قصر زهرة الزنبق.

فوعده القط ألا يفعل ذلك ثانية.

وواصل السير، وسارا وسارا، وحين أوشكت على الظلام، وصلا إلى ثكنة كل عساكرها قطعاً. سأل الكلب قائدهم:

يا سيدي، هل تعرف أين قصر زهرة الزنبق؟

جَمَعَ القائد الكتيبة وسألهم، فلم يعرف أحد منهم.

والكلب في ذلك، كان القط الصديق يسير بجواره، ومن ورائه
قط روماني كبير مسلح بشعر مقشعر. حيثذ ركض الكلب ليدافع
عن رفيقه، وحين رآه القط الروماني فكر أنهما اثنان، فتقهقه
بنعومة.

أيها القط الشيطان، قال له الكلب، ألم تعدني أنك لن تصنع شراً
آخر؟ كيف تريد أن نحرر سيدنا؟

حكى له القط أنه كان سيقبل قطعة جميلة جداً قد رآها، معتقداً
أنها عذباء، وحين اقترب ليعانقها، ظهر له هذا القط الروماني وكان
زوجها، «ولو لم أبتعد في الحال لكان قتلني، قتلني. آه يا أخي، أنا
نياو نياو من الخوف».

ووعده أن يتصرّف بحسن فيما بعد.

وواصل طريقهما، ووصلا إلى مدينة بها ثكنة عسكرية، وكان
القائد يراجع قائمة الجنود. وكان الجنود جميعهم قرود.

يا سيدي، سأله الكلب، هل يمكن أن تقول لنا سيادتك أين قصر
زهرة الزنبق؟

حكايات واساطير لاتينية |

سأل القائد جنوده، ولا واحد فيهم عرف.

القرد مارتين ليس في القائمة، قال القائد؛ إنه قرد جوال وربما يعرف أين هذا القصر. لماذا لا تنتظرانه؟

سنتظر، قال الكلب والقط.

ثم جاء القرد مارتين بعد قليل، وسأله القائد:

هل تعرف يا قردي أين قصر زهرة الزنبق؟

من هناك جئت في الحال، قال القرد مارتين، وأمارات ذلك أنني رأيت في الشرفة الأميرة والعبد الأسود يتعانقان.

هل يمكن أن تقودنا إلى هناك أيها القرد الجميل؟ سأل الكلب.

نعم بالطبع، أجب مارتين، إن أذن لي قائدي.

ورأى القائد أن الكلب والقط شخصان مؤدبان فأذن للقرد مارتين أن يقودهما. وكان الطريق طويلاً جداً، وتحتم عليهم عبور النهر.

أثناء ذلك، كان يومان قد مرا منذ وقع مانويل سجيناً، ولا يتبقى من حياته إلا يوم واحد حين وصلوا إلى القصر. كان الليل قد توغل، والكلب سأل القرد:

هل تعرف أيها القرد الجميل أين تحتفظ الأميرة بالطائر حين تنام؟

تحتفظ به في فمها.

تسلق القط السور، وما إن أصبح بداخل القصر حتى فتح الباب بكل حيطة، بدون أدنى ضجيج، ودخل الكلب والقرد صامتين، والثلاثة تسللوا إلى غرفة نوم الأميرة، وكان بابها مواربًا وحده. اضطجع القرد بجانب العبد حتى يتيمة إن استيقظ، وبقي الكلب منتظرًا ليخطف الطائر ويفر به، أما القط، وقد تسلق السرير، فأدخل طرف ذيله في أنف الأميرة. وبسبب دغدغتها، عطست الأميرة بقوة فطردت الطائر بعيدًا، وفي اللحظة قبض عليه الكلب ببوزه، وفر به بسرعة بصحبة القرد والقط.

حين كانوا يعبرون النهر، أُصيب الكلب بشد عضلي، ففتح فمه لينبج من الألم، فهرب منه الطائر. فقضوا ساعات الليل يبحثون عنه في النهر، بدون أي أثر.

وصلوا إلى الضفة عند الفجر، فرأوا صياد سمك يسحب صيده بالشبكة، فاشترى منه سمكة ليأكلوا. حين فتحوها، وجدوا الطائر في بطنها. لم يستطع لا الكلب ولا القط أن يأكلا من الفرحة،

شكرا القرد مارتين وودعاه وانصرفا.

وعلى مسافة صغيرة من قِبلتهم، قال الكلب:

أيها الطائر المعجزة، بالمعجزة التي منحها الله إياك، قُدنا إلى
مكان صاحبك.

وفي الحال وجدا نفسيهما في الزنزانة، بجانب مانويل.

امتلاً السجين بالسرور حين رأى الحيوانين وعرف أنهما أحضرا
الطائر، وقضي وقتاً مسلياً وهو يسمع مغامراتهما.

وقبل أن تغرب الشمس، طلب مانويل من الطائر أن يحضر له
الملك، ودخل الملك الزنزانة بعد قليل.

أريد أن تتأكد سموك بعينيك ذاتهما أن ابنتك هي المذنبة في كل
ما جرى.

وحينئذ، وبصوت خفيض جداً، ربما هو التفكير ذاته حتى لا
يسمعه الملك، قال:

يا طائر، اجعل الملك يرى ابنته وهي تعانق العبد.

واضطر الملك إلى أن يستسلم أمام البرهان.

وقال مانويل مرةً أخرى:

يا طائر، احضر الأميرة وعبدها هنا، واخفي القصر.

وفي الحال انتقلت الأميرة والعبد إلى جانب الملك، وكانا لا يزالان يتبادلان القُبْل ويتعانقان بجنون.

ها هي ابنتك الشريرة، ابقى معها، فأنا لا أريدها من أجل شيء...
يا طائر، انقلني أنا وكلبي وقطي إلى مكان الثعبان الذي أنقذته من الموت وإلى ابنته الأميرة.

وأنتهى مانويل كلامه، ووجد نفسه في الحال مع حيواناته في الكهف، بجانب الأميرة الأخرى التي قالت له:

آه يا صعلوك! كان يجب أن تتألم بين ذراعي الأميرة الأخرى الخائنة، التي كانت تكرهك، حتى تتذكرني، وتذكر أنني كنت أحبك حقيقةً... عد إليّ الطائر.

فسلمها مانويل الطائر وهو يشعر بالخزي، فقالت الأميرة:

أيها الطائر المعجزة، بالمعجزة التي منحها الله إياك، اقضِ على السحر الذي يحيط بهذه المغارة.

وحيثُ استحالَت المغارة قصرًا، أجمل من قصر زهرة الزنبق؛

حكايات وأساطير لاتينية |

، استحالت الغابات حوله بلدًا شديد الاتساع ومعمورًا؛ وغدا
الأمبان هو الملك الذي يحكم. وتزوج مانويل من الأميرة، وأقيمت
الأفراح وذُبحت الأبقار والخرفان من أجل أهل المملكة. وعاش
العريسان في تبات ونبات، وماتا بعد أن بلغا من العمر الشيخوخة.

5 - الخفيف والثقيل

اعلموا أن هذه حكاية عجوزين فقيرين جدًا، لديهما ابنان، ولد وبنت. الابن يسمى خوان، والبنت تسمى كارمليتا.

كان العجوز بستانيًا، وكان يعمل في بساتين الملك، أمّا راتبه الشهري فكان شوالًا من الطحين. عمل خلال ثلاثة شهور، وعند تمامها صرفوه إلى بيته، أذنوا له بذلك وبوعده بالعودة في اليوم التالي.

وحين شعر العجوز بأنه فقير جدًا، راح يبكي. كانت زوجته تنتظره بالطعام، لكن ولا واحد فيهما ذاقه، لأنهما كانا حزينين، فناما مع طفليهما في سرير وحيد يمتلكانه.

مبكرًا في الصباح التالي، استيقظ الطفلان وأكلا الحساء الذي تركه الأبوان ليلاً. وكانت الساعة الثانية عشرة ظهرًا حين جاء الملك من قصره وسأل عن سبب غياب العجوز، فأجابته الطفلان بأنه نائم لا يزال.

دخل عليه الملك غاضبًا جدًا وضربه بالسوط، فلم يتحرك

حكايات واساطير لاتينية |

العجوز. فلمسه، وحيثذ انتبه إلى أن العجوزين مitan. حيثذ
مملهما وراح يدفنهما عند سفح الجبل وأراد أن يصطحب الطفلان
إلى قصره، لكنهما لم يقبلا، وبقيا يرعيان بيتهما.

لم يكن الطفلان يملكان ولا حتى قوت يومهما، وخلال ثلاث
سنوات كانا يتغذيان على أعشاب الأرض.

وذات يوم بقيت الطفلة في البيت وخرج خوان ليبحث عن
شئ، فصادف في الطريق عجوزاً يسير مع كلبين ويحمل بندقية
على كتفه. وقّف العجوز خوان وسأله إلى أين يذهب، فأجاب
خوان بأدب:

أبحث عن عشب يا سيدي لأكل أنا وأختي، فليس لدينا شيء
آخر لناكله.

حيثذ قال العجوز:

خذ هذه البندقية أفضل لك، وعبئها وفرغها، وخذ هذين الكلبين
معك، سينفعانك في جمع العصافير التي تصطادها: أحدهما يدعى
الخفيف، والثاني يدعى الثقيل. لكنك ستعيد إليّ الكلبين والبندقية
حين أطلبهما منك، لأنني أعيرهما لك ليس أكثر من ذلك.

ورحل العجوز، وتوجه خوان إلى بيته سعيدًا جدًا لترى أخته مغامرته السعيدة.

وقبل أن يصل إلى بيته بقليل، رأى سربًا من الحمام. صوب ناحيته، ونهض الكلبان في الحال على القوائم الخلفية. أطلق طلقة، وركض الكلبان بخفة حتى أنهما سبقا الطلقة. حمامات كثيرة ماتت من الطلقات كما ماتت من الكليين. أخذ خوان الحمامات المتساقطة، وراح يصفر ويصفر، وواصل مسيرته.

حين بلغ البيت، كانت كارميليتا تنتظره على الباب، وحكت له أنها عثرت على ملح وأشياء أخرى، وأنها ستطبخ حساء من الماء مع العشب.

وأنا أيضًا عثرت على شيء نضع عليه الملح، أجابها خوان، وسلم إليها الحمام.

دخلا البيت وصنعا طبقًا شهيا، وبينما كانا يسويان الطعام، حكى خوان لأخته مغامرته مع العجوز.

وبالتالي ستكون البندقية وكذلك الكلبان ملكًا لنا ولا نعرف حتى متى! يا للخير! هكذا نستطيع أن نظل نأكل طيورًا، صاحت كارميليتا ملأى بالسعادة؛ والعشب قد شبعنا منه.

حكايات وأساطير لاتينية |

كان الطفلان يخرجان إلى الصيد سويًا في معظم الأحيان، غير أنه ذات يوم لم يعثرا على طيور فباتا حزينين. ولحسن الحظ، كانا ملحا لحم طيور فائضا، فسد جوعهما.

وذات يوم قال خوان:

سأخرج، فمن يدري، ربما في الأيام التي لم أخرج فيها للصيد
١١. جاءت طيور؟

حمل البندقية وخرج بصحبة الكلبين.

كان قد ابتعد مسافة كبيرة عن البيت حينما وقف خفيف وثقيل
على قوائمهما الخلفية، كما فعلا حين كان يستعد خوان للتصويب.
ماذا حدث؟ فكر، سأحمسهما. وحمسهما.

وانطلق الكلبان ركضا في طريق قديمة مهجورة، واتبعها
خوان، لكنهما كانا سريعين حد أنهما اختفيا عن ناظره.

ومن مسافة بعيدة سمع نباحا، فتوجه خوان إليهما بسرعة، حينها
رأى خفيف مع ثقيل وملقيا على الأرض عملاق ضخم، كان يحمل
في يده سيفًا ينزف بدم الكلبين.

حين رأى العملاق خوان قال له:

آه يا خوان، لِمَ كليك وسأمنحك سيفي وقصري.

أمر خوان خفيف وثقيل بأن ينسجبا، غير أنهما لم يستجيبا له. كان ضروريًا أن يغضب منهما حتى يكفا عن عض العملاق ويتجنباه.

حيثئذ نهض العملاق جريحا جدًا وتوجه إلى خوان ليسلمه القصر الذي كان يعيش فيه.

كل شيء لك، قال له وهو يطلعه على الثراء اللانهائي الذي يضم بداخله غرفًا متعددة لقصر زاهٍ وكبير. كل شيء لك باستثناء هذا الصندوق الأخضر المكون في غرفة بنفس اللون. ضع مفتاحًا في الباب ولا تفتحه إطلاقًا، ضع في اعتبارك أن المفتاح والباب والغرفة والصندوق لا وجود لأي منها.

وسلمه مفاتيح الصندوق والباب، وكانت أيضًا خضراء، فأضافها خوان إلى المفاتيح الأخرى التي تلقاها من قبل من العملاق.

وعاد خوان مسرورًا إلى بيته، وأشار لكارميليتا بما جرى له. وذهب كلاهما معًا إلى القصر، وبمجرد وصولهما سلم خوان المفاتيح لأخته، مفتاحًا لكل باب، لكنه فصل مفتاح الغرفة والصندوق الأخضرين وكلفها بأن تحتفظ بها بعيدًا وجيدًا وآلا

..سنخدمها قط.

كان خوان يخرج كل يوم للصيد مع كليليه، وكانت كارميلينا تظل في القصر لترتيب الغرف وإعداد الطعام، بدون أن يخطر لها زيارة الغرف الأخرى.

وذات يوم أنهت أعمالها مبكرًا، وفكرت أن تتعرف على القصر تاملًا، فزارت الغرف واحدة وراء أخرى، وأعجبت بالثراء والأشياء القيمة بداخلها. وحين بلغت باب الغرفة الخضراء، الغرفة الوحيدة التي تبقت، قالت لنفسها:

لماذا حرّموا عليّ فتح هذا الباب؟

سأرى ما وراءه، فأنا بمفردي وأخي لن يعرف شيئًا.

ودخلت ولم تر إلا الصندوق الأخضر في وسط الغرفة، فوق منضدة خضراء أيضًا. تسمرت وهي تنظر إليه وترددت للحظة هل تفتحه أم لا، لكن الفضول انتصر، فأدخلت المفتاح في القفل. وبمجرد أن لفتته، انفتح الغطاء وحده وخرج العملاق بقفزة واحدة. نقهقهت الفتاة للوراء عند رؤيته، فقال لها العملاق:

ألم أمر أخاكِ بالألا يفتح هذه الغرفة؟ لماذا عصيته؟ والآن،

ماذا سنفعل؟ ستكونين في الحال زوجتي، ولن أستطيع العودة إلى الصندوق، وأخوك، هذا الولد الجميل، سيقتلنا بهذين الكلبين. كيف يمكن أن نتحرر منه؟

ما من طريقة للتحرر منه، أجابت كارميليتا.

انظري، قال العملاق، في إحدى الحقائق بالمطبخ، هناك بعض المساحيق، اسحبها برفق ولا تلمسيها بيديك لأنها تؤذيك. وحين يعود هو من الصيد، تصنعي أنك تخرجين لمقابلته، لكن تقدميه ورشي المسحوق في طريقه بحيث يطأه.

وهذا ما فعلته الفتاة. راحت لتطلع إلى الشارع ورأت أخاها يهبط من تل، فيما كان يصفر. فخرجت لمقابلته وهي تتظاهر بسعادة غامرة، ولأن الدرب كان ضيقاً استغلت الفرصة لتقدم عليه وترش المسحوق قليلاً قليلاً أمامه.

وكان الكلبان يتوسطان بين كارميليتا وخوان، وكانا يتمرغان في المسحوق الذي تلقيه الفتاة، وخيراً ما فعلا لأنهما بذلك نظفا الدرب.

حكايات واساطير لاتينية

ومرة واحدة نظرت كارمن⁽¹⁾ إلى الورا، وحين رأت الكلبين،
مرغان ضربتهما، وقالت لهما إنهما جروان، وأنهما يلطخان
دمهما، ورآها خوان وقال:

لماذا تضربينهما؟ لا أهمية لذلك، عندما نصل إلى البيت
سأغسلهما أنا.

ووصلا إلى البيت، وكالعادة قدّمت كارمن الطعام لأخيها
لخفيف وثقيل.

وفي اليوم التالي خرج خوان مجدداً إلى الصيد، وتوجهت أخته
إلى الغرفة الخضراء لتتحدث مع العملاق، وحكت له أن الكلبين
قد نظّفا الطريق لأخيها، وبالتالي وصل إلى البيت سالمًا غانمًا.

خذي هذه النشارة المشتقة من نفس المسحوق، والقيها في
الحساء، قال لها العملاق.

وهذا ما فعلت. حين رآته قادمًا، ركضت لتعده له الطعام، وقبل
أن تقدم له طبق الحساء ألقت به نشارة المسحوق.

دخل خوان المطبخ وتبعه الكلبان، جلسا على قوائمهما الخلفية

(1) كارمن هو اسم الفتاة وتدلّ لها كارمينا

وظلا ينظران إليه بإصرار، متبعين كل حركاته. وحين وضع خوان المعلقة في الطبق، قفز الكلبان على المائدة ودلقا الحساء. فاضطرت كارمن لتقديم حساء بدون مسحوق.

في اليوم التالي خرج خوان مجددًا، وتوجهت كارمن إلى الغرفة الخضراء لترى العملاق، وحكت له ما قد فعله الكلبان.

انظري، قال لها العملاق، تصنعي أنك مريضة، وحين يأتي خوان قولي له إن أبويه جاءك في الحلم وقال لك إن لم تأكلي البرتقال بأعلى شجرة البرتقال، ستموتين، وإنه لكي يتمكن من الحصول عليه، عليه أن يربط الكلبين في هذه الغرفة بحبل، وأعطاهما حبلاً لربطهما.

وجاء خوان، ولأنه لم يجد أحدًا توجه إلى غرفة كارمن ووجدها في سريرها، كانت تبكي وتشكو من الألم. ماذا بك؟ سألها.

آه يا أخي! أشعر بالتعب الشديد، تؤلمني عظامي ولا أستطيع فعل شيء. صباحًا، بعد أن انصرفت أنت، صحت مفزوعة: كنت أحلم بأبوي يقولان لي إن لم تأكلي برتقالة من أعلى شجرة البرتقال الموجود هنا ونراه من النافذة، سأموت اليوم؛ لكنك لن تستطيعي

حكايات وأساطير لاتينية |

انسلق لحصدها ما لم تربطي الكلبين خفيف وثقيل بحبل في
الغرفة الخضراء، وحين صحت كنت على السرير.

نادى خوان لكلبيه وأدخلهما الغرفة الخضراء وربطهما هناك
بموة بحبل أعطته له أخته، وترك الباب مفتوحًا وخرج وتسلق شجرة
البرتقال. لكنه حين كان في منتصف الشجرة، شعر بأنه يصعد فوق
سلاسل تربطه بقوة بالجذع.

وكارمن، التي كانت تتابعه بعينها، حين رأته عاجزًا عن الحركة،
ركضت لتنذر العملاق المختبي في الحديقة، مسلحًا بسوط كبير،
مركض مهرولاً إلى مكان خوان، وبأعلى صوته صرخ:

الآن ستدفع الثمن! الآن لن تهرب مني!

رأى خوان بعينه لحظته الأخيرة، لكنه لم يخف، ونادى لكلبيه:
يا خفيف، يا ثقيل.

لكن الحبال المربوطين بها استحالت أغلاًلاً أيضاً، مع ذلك
بدلاً جهداً حتى تحررا من قيودهما وركضا لمهاجمة العملاق.

استقبلهما الوحش بضربات السوط، لكنهما، بمرونة مذهلة،
نفدا بجسديهما من الضربات الموجهة لهما. كان العملاق يوجه

لهما ضربات مفزعة، واحدة وراء أخرى، لكنها كانت بلا جدوى، فالسوط كان ينزل والكلبان بعيدان، فكان يضرب الأرض.

حتى جاءت لحظة شعر فيها العملاق بالاستسلام، وكان يرفع السوط بلا قوة، وفي النهاية تراجع؛ حينئذ قفز خفيف وقبض على رقبته، والتهم ثقيل واحدة من سمانيته، فسقط، وفي لحظة ظفرا به، وقتلاه.

وفي الحال ركضا إلى شجرة البرتقال، وكانت الأغلال تقيد خوان بقوة، وتحتم على الحيوانين الوفيين العمل منذ الثانية عشرة مساء إلى الثانية عشرة صباحًا لتحرير سيدهما.

أمسك خوان بالبندقية، وتوجه إلى كارمن وقال لها:

الوداع يا أختي المتعبة، لن نلتقي مرة أخرى.

رجته كارمن أن يغفر لها، وتوسلت إليه ألا ينصرف، لكن خوان صفر للكلبين وخرج من القصر، تاركها وحيدة.

واصل خوان طريقه عشوائيًا، وكان يسير حزينًا لأنه لم يتخيل أن أخته ستضعه في موقف مثل هذا حيث يدفع الثمن غاليًا.

وسار أيامًا طويلة بلا قبلة محددة، يخطو في الدرب الممهّد أمام

حكايات واساطير لاتينية |

«ميه، حتى بلغ مدخل غابة، وهناك صادف شابة صغيرة وشديدة
الاحمال، كانت جالسة إلى الأرض، وتبكي بمرارة وتمشط شعرها،
«انت دموعها المتساقطة، وكان قملها المتساقط، من الذهب.

سألها خوان لماذا تبكي، فأجابته الصبية بدون أن تكف عن
الكاء:

بماذا يفيد لو حكيت لك أحزاني، إن لم تمتلك الدواء؟

وكيف تعرفين أنني لا أملك الدواء؟ رد خوان، لا تظني لأنني
أنا أني بالتالي لا نفع مني. قصي عليّ سبب دموعك، فربما
أستطيع أن أسليك.

ستعرف، أيها الغريب، أن ثعباناً فظيماً يأتي كل أسبوع لياكل طفلة
من المدينة المجاورة، عاصمة مملكة أبي. في هذه المدينة، لا أحد
إلا ويرتدي الحداد، لأن في كل عائلة ضحية واحدة على الأقل.
وأبي، حتى يتجنب قضاء الثعبان على فتيات المملكة، وبنصيحة من
الحيوان المؤذي نفسه، اضطر لتسليمه ثلاث من بناته، رغم ما شعر
به من ألم جراء استسلامه. لقد وعد أبي أن نتزوج بمن يحررنا من
الموت، لكن إلى الآن لم يتقدم أحد ليخوض المغامرة. لقد ماتت
اختاي الكبيرتان، والآن يأتي دوري. في لحظة ما، سيصل إلى هذا

المكان الحيوان الوحشي، وستصل لحظتي الأخيرة. أيها الشاب، ابتعد، لأن الحيوان ظمأً للدم البشري، وإن وجدك، سيمص دمك.

كانت الساعة الحادية عشرة صباحًا، وفي الثانية عشرة كان موعد وصول الثعبان. طلب خوان من الأميرة ألا تبكي وطمأنها بأنه سيحررها من كل خطر. وترجاها، بينما تقترب الساعة المحتومة، أن تسمح له بأن يضع رأسه على حجرها، لأنه كان يشعر بالإرهاك. وافقت الأميرة، وتمددت على الأرض، فسند رأسه في حجر الشابة، وبدأت في تقلبته حتى نام. فرأى في المنام خفيف وثقيل بصحبة الأميرة.

تبقت دقائق على الثانية عشرة، وحين شعرت الأميرة بهزة هزت الجبال، كان خوان نائمًا، وكانت تملس على شعره، بدون أن تتجرا على إيقاظه.

وبعد ثانية رن صدى الزلزال. نهض خفيف وثقيل، وكان خوان لا يزال نائمًا، وشرعت الأميرة في البكاء من جديد. فسقطت واحدة من دموعها على وجه خوان، فاستيقظ في الحال، كأن الدمعة بعثته. في تلك اللحظة بالتحديد كان الثعبان قد اقترب جدًا وكانت الأرض تنزلزل للمرة الثالثة. فقفز خوان كأنه مسكون بماكينه خفية، وصرخ

في كلييه: «ها!»، وصوبَ بندقيته صوب الثعبان، فأصابه، فسقط الثعبان برؤوسه السبعة حين عبرت به الرصاصة. كان الحيوان لا زال حيًا، لكن خفيف وثقيل، بأنيابهما الشرسة، قضيا عليه.

حينئذ اقترب خوان من الثعبان، قص له لسانه واحتفظ به في محافظته، ثم ودّع الأميرة، وراح إلى بيوت مهجورة، ومن هناك كان «أقرب كل شيء».

وحدث أن الملك كان قد أرسل عبدًا ليقطع الحطب، فتوجه هذا بالصدفة إلى الغابة التي بها الأميرة، وعندما اقترب منها اصطدم بالثعبان، وظنه نائمًا، فقال:

هل أقتل الثعبان وأعود به إلى القصر لأكل الخبز الأبيض؟

ورفع الفأس، ونزل بها على رقبة الثعبان مرة وراء أخرى، حتى فصل رؤوسه عن جسده. وفي الحال قبض عليها ووضعها في جرابه مع جسد الحيوان، وحين وصل إلى القصر قال للملك:

يا سيدي، لقد قتلت الثعبان، العبد قتله وقطع رأسه، رأسه قطعها العبد؛ قطعها من هنا. العبد قتل الثعبان بالفأس.

خرج الملك والحاشية ليتأكدوا إن كان حقًا ما يقوله العبد،

وتأكدوا من الفعل، ثم رحلوا ليحضروا الأميرة، فوجدوها خرساء.
كان على الملك أن ينفذ وعده، لأن وعد الحر دين عليه، وكلمة
الملك لا يصح أن يحنث فيها.

وبينما كانوا يعدون الزفاف، أمر الملك بأن يحمل ثلاثة جنودًا
العبد إلى النهر وأن يحموه ببوتاس وأن يدعكوه بليفة حتى يصير
أبيض؛ لكن كل ذلك ذهب سدى، لأنه ظل أسود كما كان.

كانت الأميرة لا تزال خرساء، وكان في ذلك عقبة كبيرة أمام
إتمام الزيجة، لكن، بما أنهم في تلك الأزمنة كانوا يستخدمون مائدة
كبيرة قبل الاحتفال، أعدوا المائدة، وجلس إليها الملك والعريسان
ورجال القصر ونساؤه.

أما خوان، الذي كان مطلعًا على ما يحدث في القصر، فأمر ثقيل
أن يخطف من أمام العبد الطبق الذي قدموه إليه، وأن يحضره إليه.
وثقيل أطاعه: دخل القصر، وقفز وتسلق المائدة وخطف طبق العبد
بيوزه، وهرب ركضًا، مخلفًا وراءه الجميع مرعوبين من جرأته.

ووصل ثقيل بالطبق، وتركه عند قدمي خوان، فأمر خوان خفيف
حينها أن يحضر له الكأس التي يشرب منها العبد. وفي الحال،
ركض خفيف إلى القصر، وتسلل بين أقدام الحراس الذين يطوقون

حكايات وأساطير لاتينية |

الأبواب والصبايا اللاتي يخدمن المائدة، وفي لمح البصر تسلق المائدة، وخطف الكأس من يد العبد وشفتيه، وهرب ركضاً.

لقد أصاب الدهول الجميع، وأمر الملك حراسه بتتبع الكلب، وإحضاره، إذ أراد معاقبته على جرأته؛ لكن خفيف، مراوفاً من هنا إلى هناك، تبخّر من أمامهم، فاضطروا للعودة بدونه.

وبينما كان الحراس عائدين، بخجل وبرأس مطرق، أمر خوان نفييل أن يعود إلى القصر، وأن يخطف من العبد طبق الفاكهة أمامه، وأن يحضره. فأطاع ثقيل في الحال؛ لكنه أثناء هربه ركض الحراس خلفه وكانوا مستعدين، وتمكنوا من رؤيته يدخل البيت الذي بمكث فيه خوان.

حينئذ راحوا ليلغوا الملك، والملك أمر بإعداد فرقة من 25 رجلاً تحت قيادة ضابط، وراحوا ليعثوا عن خوان وكلبيه، وحملهم جميعاً إلى السجن.

خرجت الفرقة، وحين وصلت إلى البيت، أمر الضابط باسم الملك بالقبض على خوان الذي استسلم مع كلبيه، لكنه قال إنه لن يرحل من مكانه لا هو ولا كلباه حتى يرسل له الملك ثلاث عربات، واحدة له، وواحدة لـ خفيف، وثالثة لـ ثقيل. ظن الضابط أن في ذلك

مزحة، فقال له هيا بنا؛ ولأن خوان أجاب بأنه لن يتحرك من مكانه، لم تأت العربات، ضرب الضابط خفيف بالسوط، وكان قريبًا منه، لكن الحيوان تجنب الضربة وقفز على رقبته وعضه. حينئذ تحرك الجنود ضد خوان وثقل، فأطلق خوان طلقات من البندقية أردت 24 واحدًا منهم، ولم تُبقِ إلا واحدًا. فقال له خوان:

أذهب إلى حيث الملك، وارو عليه ما رأيته، وقل له إن لم يرسل الثلاث عربات سأقضي على جيشه بأكمله؛ وليحمد الرب أني لم أطلب منه أن يأتي هو بنفسه ليبحث عني.

أرسل الملك العربات الثلاثة، ونقلوا فيها خوان والكليين إلى القصر.

كان الملك والحاشية لا يزالون على المائدة، وكانت الأميرة خرساء جالسة بجانب العبد الذي يرتدي زي جنرال. وسأل الملك خوان لماذا قتل جنوده، وخوان جاوبه بكل تقدير:

أرجو سموك المقدس أن تغفر لي ما جرى، فجنودك أنفسهم هم من أجبروني على ذلك لقلّة احترامهم وتجاوزهم. وكنت أتصور أني أستحق تقديرًا أكبر من جانبهم، ومن جانب كل الشعب ومن جانب سموك، بعد أن حررت الأميرة من موت أكيد، وحررت

حكايات واساطير لاتينية |

١٠. ملكة من العار الذي يلحق بها، وقتلت الثعبان.
والعبد، شائطاً من الغضب، نهض بقوة من مقعده وبدون أن
... تاذن الملك، صرخ:
لم تفعل ذلك يا سيدي، أنا من قتلت الثعبان، أنا من ضربته على
... منه وقطعتها، وفصلت رؤوسه عنها.
يا سيدي، لو أن هذا العبد العاجز من قتل الثعبان، فليقل لنا أين
السنه التي كانت في رأس الحيوان.
الألسنة في فم الحيوان، صاح العبد.
حينها أمر الملك بإحضار رؤوس الثعبان السبعة ورأى في كل
واحدة منها أنها خالية من اللسان.
ها هي الألسنة يا سيدي، وأخرجها من جرابه. أنا من قطعها
في حضور الأميرة، واحداً وراء آخر، بعد أن قطعت الرؤوس السبع
واحداً وراء آخر، كما ترى.
تحققوا حيثذ من الرؤوس ورأوا أنها سبعة بالفعل وأنها مقطوعة
برصاصة.
لكن العبد لم يتراجع شعرة، وصاح:

هذا الرجل يكذب، أنا من قتلت الشعبان.

فترجى خوان الملك، حتى ينهي الحوار، أن يسأل الأميرة عن
من كان منقذها.

فقال له الملك:

الأميرة أصابها الخرس من الرعب.

فأجاب خوان:

كما كانت مدانة لي بحياتها، هي مدانة لي باستخدام الكلمات
كذلك.

فتوجه إليها وسألها:

أيتها الأميرة الجميلة، باسم الله، قل لي أمام أبيك القلق وأمام
هذه الحاشية من النبلاء، من أنقذ حياتك بقتل الشعبان ذي الرؤوس
السيح؟

أنت، أجابت الأميرة.

وماذا فعل العبد إذن؟

بفأسه قطع رؤوس الشعبان على مهل بعد أن كان قد مات على

حكايات واساطير لاتينية |

الأرض بفضل شجاعتك، ونقله من مكانه وهو يضم جسده وألقاه
على الطريق.

والملك، سعيدًا برؤية ابنته وقد استردت الكلام، ومعرفة بأن
موان هو من قتل الثعبان، وبسرور لأن الظروف جاءت على هواه،
سحب العبد من مكانه وأمر خوان بأن يجلس بجانب الأميرة وأن
يطل الحفلة قائمة بسرور وحماس.

وبعد الحلوى، زوج القس خوان للأميرة التي كانت تشعر
بسعادة جمّة مع تغيير عريسها.

ومر عام من السعادة المتواصلة على العريسين الشابين، وشعر
ارنواء ورضاً مع مولد طفلهما الجميل.

وكان خوان يقسم وقته بين زوجته وابنه، وكان يحيطهما بحبه
وحنانه، حتى أنه قد نسي أمر البندقية والكلبين.

وذات يوم جاءت امرأة في ملابس الحداد إلى القصر طلبًا
لسكن. فرفضوها، لكن الملك أعد لها سكنًا في غرف الخدم. وفي
ساعة الغداء، حين كانوا جميعًا على المائدة، تسللت هذه المرأة
إلى غرفة نوم الأميرة، ودست شيئًا في سرير خوان، وانسحبت في
الحال.

كان خوان متعبًا قليلاً وراح لينام مبكرًا. وبعد برهة، حين دخلت الأميرة غرفة النوم، وجدته راقداً على ظهره، بذراعين مفتوحتين وشفنتين زرقاوين. نادته فلم يجب. هزت جيبنه، يديه، كل جسده، فكان جسده باردًا. فأطلقت الأميرة صرخة، فجاء الملك والخدم، وتحققوا من أن خوان قد مات.

وفي وسط حزن عارم، إذ كان خوان محبوبًا لصفاته الطيبة، كَفَنُوهُ ووضعوه في النعش. في نفس اللحظة دخل خفيف وثقيل راكضين، وبقفزة واحدة تسلقا النعش، وبأسنانهما جردا سيدهما من الكفن وثيابه الأخرى. وفي الحال يقلبانه، ويسحبان من رثته نابًا ضخماً، وآخر من خصره، كل منهما عبر بقلبه ومعدته. هذان نابا العملاق الذي قتله خفيف وثقيل، وضعهما في السرير أخت خوان، التي كانت المرأة التي طلبت السكن في القصر.

وفي الحال، وعقب سحب الناين، ينهض خوان كأنه يستيقظ، ويصيح:

يا له من حلم ثقيل!

وربت على كلبيه اللذين لم يرهما منذ فترة طويلة.

وفي اليوم الثالث شعر خوان برغبة عارمة في الخروج إلى

مريد، فحمل البندقية على كتفه، وكانت قد صدأت من قلة الاستخدام، وصفر لكلبيه، وبعد أن قتل زوجته وابنه، رحل.

سار خوان ساعة تقريباً، وفي النهاية بلغ غابة تقع على مسافة من المدينة، وفجأة تصادف وجهًا لوجه مع نفس العجوز الذي سلّمه البندقية والكلبين منذ سنوات مضت.

قال لـ خوان:

جئت لأطالبك بالبندقية والكلبين: خفيف وثقيل، لقد جاءت لحظة الاستعادة.

ورد خوان:

رد الدين فرض، ما من طريق آخر، وأعطاه البندقية.

والكلبان؟ هل تسلمهما لي؟

اتركهما لي، أجب خوان. لقد اعتادا أن يكونا معي؛ وأنا سأعتني بهما؛ أظن أنهما يحبان البقاء معي.

لا يا خوان، لا تخطئ، حتى لو كانا يحبانك كثيرًا، فهما يحباني أنا أكثر. جرّب، اجلس هناك، بجانب هذه الشجرة، وأنا سأبقى هنا، والكلبان يبقيان على نفس المسافة منا، وهما يتظران نحوك.

ناديهما، وسرى إن كانا سيروحان لك.

صفرّ لهما خوان، ناداهما باسميهما، لكنهما لم يستجيبا. خفيف
وثقيل لم يتحركا؛ بقيا كأصمين.

الآن سترى- قال العجوز، وصفرّ، والحيوانان، جذلين، تحركا
مثل شعاع حتى استقرا بجانبه.

حينئذ بكى خوان وتوسل إلى العجوز:
خذني معك، أريد أن أرحل معكم.
اتفقنا، أجاهه.

وفرش على الأرض غطاءً له ثلاث رؤوس، ووضع البندقية في
واحد منها، وخفيف وثقيل كل منهما في جانب، وجلس هو وخوان
في المنتصف منها. أما نقاط البندقية والكلبين فقد تحولت إلى ثلاثة
ملائكة، كل منهما قبض على طرف من الغطاء وارتفع مع خوان
والعجوز وطاروا جميعاً في الهواء.

مروا من الجحيم، فأشار العجوز إلى امرأة كانت تصرخ في
وسط النار، فسأل خوان:

هل تعرف هذه المرأة؟

نعم، أعرفها، إنها أختي، فلنخرجها من هناك.
والعجوز لم يكن يرغب في إخراجها من هناك، لكن خوان
رجاه:

فلنخرجها لا شيء أكثر من ذلك، فالألم الذي تعانيه أختي ألم
لي.

فأخرجها وحملها معها.

وبعد قليل مرا بالمطهر، ورأيا في وسط اللهب رجلاً عجوزاً
وامرأة عجوزة. فسأل العجوز خوان:

هل تعرفهما؟

آه نعم، أعرفهما، إنهما أبواي! اخرجهما من هنا، ولنحملهما
معنا!

لم يكن العجوز يرغب في أن يخرجهما، لكن خوان تراجاه:
اخرجهما ولن أطلب منك شيئاً آخر، فالألم الذي يعانين منه
أعاني منه أيضاً.

فأخرجهما منها وحملها معه، وبعد قليل دخلوا الجنة، حين
كان الجميع سعداء ومسرورين.

وتوتة توتة، خلصت الحدوتة، وحملتها الرياح، واستقرت أمام
باب دير، ونحن بقينا بالخارج، والرهبان ظلوا بالداخل.⁽¹⁾

(1) طريقة لإنهاء الحكاية تتبع القافية، في الأصل يقال هكذا:
se acabò el cuento, y se lo llevò el viento, y se colò por la puerta
de un convento, y nosotros nos quedamos fuera, y los frailes
.siguieron adentro

6 - الأب السيئ

هذه حكاية رجل كان لديه ثلاثة أبناء، بتان وولد، لكنه كان يظهر تفضيله لابنته الكبرى، وكان يسميها دائماً ملكة البيت فلا يجب أن نعمل ولا تفعل شيئاً، لا من أجله ولا من أجل أخويها الأصغر منها. وذات يوم أحد، ذبح الرجل معزة، وبعد أن علقها، راح إلى القديس مع أبنيه الصغيرين، تاركاً ابنته الكبرى كحارس للبيت. حين عاد من القديس، وجد اللحم وقد أكله الكلاب، فسأل ابنته ماذا حدث، فحكّت له أن بعض الكلاب قد جاءت وأكلت المعزة، ولأنه قد منعها من فعل أي شيء، لم تهاجمها وتركتها تأكل اللحم. لقد فعلت ذلك حتى تبرهن لأبيها أنه يجب أن يسمح لها بالقيام بالواجبات المنزلية.

غضب الرجل لما حدث، وشاط أكثر حين قالوا له إن القرية لا مكان بها لشراء اللحم.

حين رأت البنت أباهم غاضباً، فكرت:

ماذا أقدم لأبي من طعام؟

حلت المعضلة بقطعة لحم من ساقها، وطبخت عليها. حين تذوقها الأب، راقته له، وطلب منها أن تقدم له نفس الطعام في المساء.

وفي اليوم التالي، ولعدم وجود اللحم بالقرية، قطعت الصبية قطعة أخرى من ساقها الأخرى، وقدمتها لأبيها مطبوخة.

وسأل الرجل الفتاة أين وجدت هذه اللحم اللذيذة، فأجابته بأنها قطعتها من ساقها، والآن لم يبق لديها لحم آخر.

حينئذ أخبرها بأنه سيقتل أحد ابنه الصغيرين حتى يحصل على طعام.

فقالت الابنة الكبرى لأخويها، وكانت رقيقة القلب وتحبهما جدًا، أن يرحلا، لأن أباهم يريد أن يذبحهما ليأكلهما، وأعطتهما خبزًا محمصًا للطريق.

ركض الطفلان، وبعد سير طويل قابلا امرأة عجوزة، فنصحتهما بالآ يشربا ماءً حتى يعبرا ثلاث بحيرات، لأنهما لو شربا من البحيرة الأولى سيتحولان لكليين، ومن الثانية سيتحولان لخروفين، ومن الثالثة لمعزتين.

حكايات وأساطير لاتينية

واصلا سيرهما، ووصلا إلى بحيرة بمياه شفافة تغوي بالشرب.
«مع الحر والتعب، كان الولد يشعر بالظماً.
يا أختي، فمي جاف، سأشرب من هذا الماء.
كيف ستشرب من هذا الماء؟ أجابته البنت، هل تريد أن تتحول
إلى كلب؟ هيا نمشي من هنا.
وسحبته من يده، وجرته وراءها.
بعد قليل، وصلا إلى البحيرة الثانية، وإن كان ماء الأولى شفافاً،
فماء الثانية كان مرآة. وكان الولد يبكي.
يا أختي، أنا لا أحتمل؛ ساموت من الظماً.
وبجهد عنيف ومُلح، بدون أن تستطيع الأخت القدرة عليه،
هرب منها، ونزل الماء حتى بطنه، وشرع في الشرب.
و بمجرد أن ابتلت حنجرتة بالماء الأول، تحول إلى خروف.
والحزن أصاب البنت وواصلت طريقها وخلفها الخروف
الصغير.
هي أيضاً كانت تشعر بالظماً الشديد، لكنها لم ترغب في الشرب
حتى تعبر الثلاث بحيرات.

وبعد أن سارا لعدة ساعات، قابلا سيدة أخرى عجوز، فسألت الطفلة إلى أين تذهب. والطفلة، بدموع في عينيها، حكّت لها كل ما جرى، وقالت لها إنها لا تعرف إلى أين تذهب.

حينئذ قالت لها العجوز أن يبقيا معها، وإنه لن ينقصهما شيء. وافقت الطفلة، وهناك بقيت مع خروفها، وعملت في مساعدة العجوز الطيبة في أعمال البيت.

ونمت الطفلة في جسدها وجمالها، وكان جمالها كبيرًا إلى حد أن ذاعت شهرتها في كل مكان وبلغت أذان الملك الذي أراد أن يقنع نفسه بالواقع.

وذات يوم خرج الملك بصحبة رجال القصر، وتوجّه إلى بيت السيدة العجوز. في الدهليز المؤدي إلى الشارع، كانت إلينا (وهذا اسم الفتاة) جالسة على مقعد وبجانبها سلة مختاطة، وتخيّط بهمة. كانت شاردة جدًّا في عملها، فلم تشعر بمجيء الملك وحاشيته.

لم يفعل الملك إلا أن رآها، فوقع في غرامها وتاه، وطلب من العجوز أن يتزوجها، فقالت العجوز:

لو وافقت إلينا، ليس لدي مانع.

حكايات واساطير لاتينية |

ووافقت إلينا، بشرط أن يوافق الملك على أن تحمل معها الحروف الصغير، وأن يعتنوا به أشد العناية، وقالت للملك إن الحروف كان أخاها، وحكت له كل ما جرى.

ومرت أشهر من السعادة على العريسين، وكانا يتبادلان الحب نفوة، غير أنهم ذات يوم أعلنوا الحرب على الملك، واضطر للخروج على رأس جيشه.

وقبل أن يخرج، أوصى رئيس حرس القصر برعاية إلينا، وكلفه بالاسم لا يسمح لأحد بالدخول إليها أثناء غيابه. وكان الملك يعرف أن لزوجته عدوات كثيرات حاقدات عليها لحظها، كن يكرهنها حد الموت رغم أفعالها الطيبة، وكان يخشى أن تتألم بأي طريقة.

وذات يوم جاءت أربع سيدات أنيقات جدًا إلى باب القصر، وطلبن من رئيس الحرس أن يقودهن لمقابلة الملكة لأن لديهن أخبارًا شديدة الأهمية عن الملك. لكن رئيس الحرس اعتذر لهن بذريعة أنه غير مسموح لأحد دخول القصر، لكن بما أنها أخبار هامة للملكة، فلا مانع من أن يتركوا له الرسالة التي يوددن إرسالها. وهن قلن حسنًا، وطلبن منه، بما أنه غير مسموح لهن الدخول، أن يترجى الملكة بأسمائهن أن تخرج لهن لدقيقة واحدة لتسمع إليهن،

وبهذه الطريقة لن يعصي أحد أوامر الملك.

حمل رئيس الحرس الرسالة للملكة، ولأن إلينا كانت شديدة الطيبة، لم ترغب في كسر خاطر السيدات، فخرجت إلى الدهليز لتستمع إليهن. فقالت النسوة إن ما يوددن حكيه طويل وإنهن يحتجن أن تكون بمفردها؛ ثم لماذا لا تصحبهن إلى الشاطئ وهناك يتحدثن بلا رقيب.

وقبلت الملكة، وخرجن جميعاً ومن ورائهم الخروف الذي لم يكن يترك أخته.

في الطريق بدأن يسردن على إلينا حكاية مشوقة للغاية، وهكذا ابتعدن عن القصر بدون أن تشعر، وخرجن في النهاية من المدينة، سيراً على ضفاف البحر.

وصعدن، وحين غدون في قمة مرتفع، دفعن الملكة فاخفتت عن العيون.

لكن في تلك اللحظة، كان ثمة حوت عند سفح الصخرة، وكان مفتوح الفم يتنفس الهواء، فوقعت الملكة داخل فمه دون أن يصبها أي سوء. فابتلع الحوت الملكة وغاب في عمق المحيط.

حكايات وأساطير لاتينية |

الخروف وحده استطاع أن يرى ما حدث حين دفن الملكة، اعتقد أنها غرقت فعاد إلى القصر غارقاً في حزنه.

ورئيس الحرس، حين رأى أن الملكة لم تعد، وقلقاً من أن يكون كروها قد وقع لها، جهّز نفسه وخرج للبحث عنها برفقة مجموعة من الحراس، وحين عاد الملك، ظافراً في الحرب إلى حد أن رفع أعداؤه الراية البيضاء، تقدم قواته ليلتجئ زوجته بنفسه بالخبر السعيد. سأل عنها رئيس الحرس، فلم يجد هذا مفراً من أن يحكي له ما جرى حتى خروج الملكة، فلا شيء آخر يعرفه، وعودة الخروف وحيداً وحزيناً.

حينئذ أمر الملك بإحضار الخروف. وحين وصل، ربت عليه وطلب منه أن يقودهم إلى حيث راحت أخته ويمامى.

فقادهم الخروف إلى الصخرة وتوقف هناك، ومأماً.

لكن ذلك لم يكن كافياً، إذ لم يكن في محيطهم أي أثر للملكة. حينئذ سحب الملك سيفه ومشاه على رقبة الحيوان، فأزال جزءاً من فروته، كأنه سيذبحه، فتكلم المسكين من الخوف وقال:

يا أختي يا إلينا

ها هم سيقتلونني.

وردت عليه إلينا:

أنا في بطن الحوت.

كيف يمكن أن أحررك؟

حينئذ أمر الملك بتجفيف البحر، وصيد الحوت، وأمر بفتح
بطنه وأخرج الملكة منه، حرة وسليمة، وجميلة كما كانت من قبل.
ولكي تضحك الدنيا أكثر، انفك سحر أخي الملكة في نفس
اللحظة، وظهر وقد غدا شابًا جميلًا ومبتهجًا.

وحكت الملكة للملك وأمر الملك في الحال بالبحث عن
النسوة الأربعة. وحين عثروا عليهن، ربطوا كل واحدة منهن في ذيل
بغلة، وضربوا البغلة كي تركض بأقصى سرعة، فتمزقت النسوة.
وعاش الملك والملكة لسنوات طويلة، في سعادة غامرة،
وأنجبا البنات والبنين.

7 - رسالة من أجل السيدة الطيبة

علينا أن نعرف أن زوجين فقيرين جدًا كانا يعيشان مع أبنائهما الثلاثة في قرية. الابنان الأكبر كانا مشاكسين ولا يستطيعان الحياة في سلام، وكان اسم الأول بدرو، والثاني خوان. أما الثالث المطيع فكان يسمى مانويل، وكان في الثامنة أو العاشرة، وكان الوحيد الذي يستفيد من البيت، وكان قوي الشخصية وقوي الإرادة وذو عادات طيبة. والعجوزان كانا قليلًا ما يتفقان، ولم تكن حياتهما مثالية.

كان العمل في القرية قليلًا، وهكذا طلب بدرو من أبويه الإذن ليخرج ويتجول في العالم وكسب رزقه. ولما أذنا له، خرج وتجول في الأرض، وبعد أيام كثيرة من السير من أعلى الأرض لأسفلها بدون أن يعثر على شيء، وصل في صباح باكر إلى قصر جميل مكتوب أعلى بابه، الموصد في تلك اللحظة، لافتة تقول: «مطلوب رجل لمهمة».

انتظر بدرو حتى يفتحوا الباب، وقال لرئيس الحرس:

- هل يمكن أن تقودني إلى صاحب القصر؟ لأنني أبحث عن

عمل.

فقاذه رئيس الحرس إلى صاحب القصر، وكان ملكًا، فسأله
الملك:

ماذا تريد؟

رأيت يا سيدي لافتة في أعلى الباب، وأنا عاطل، وأريد أن أعمل
لدى سموك.

بكل سرور، أنا بالفعل أحتاج إلى ولد من أجل مهمة، وأدفع
مقابل هذا العمل حفنة من الفضة في الذهاب والإياب، أو أدفع
الموت إن لم ينفذ العمل، فلتختار.

أنا أعمل من أجل حفنة الفضة يا سيدي، فما زال لدي وقت
لأصل إلى الموت.

عظيم، لكن، هل أنت شجاع؟ لأن الرحلة لها مخاطرها، وإن
جئت بدون أن تسلم الخطاب الذي تحمله، سأمرر السيف من
رقبتك.

اتفقنا يا سيدي.

فأمر الملك رئيس الحرس:

قُد بَدرو إلى اصطبل الخيل، وليختر حصانًا يمتطيه ليسلم هذا

الخطاب، وأنت اعطه التعليمات الضرورية.

وراحا إلى الاصطبل، وكان هناك ثلاثة خيول: الأسود، الأصهب والأبيض. اختار بدرو الأسود، تحسسه وامتطاه، واحتفظ في جيب قميصه بالرسالة التي تسلمها من رئيس الحرس، وجَهَّز نفسه للرحيل حين أوقفه رئيس الحرس وقال له:

اسمع: الحصان يعرف إلى أين يذهب، لا تشد اللجام لأي سبب، لأنه سيقبلك من فوقه في الحال، وحينئذ سيجلدك الملك على ظهرك بدون أي شفقة.

آه، لا تخف! أنا رجل شجاع وسأقوم بالمهمة بدون أدنى خوف من شيء.

وضرب الحصان بسوط وانطلق بكل سرعة. قضى بدرو أيامًا كثيرة بدون أن يقابل أحدًا ولا شيئًا يلفت انتباهه، حتى ظهر له في الطريق نهر من الدم. ومرعوبًا، تقهقهه للوراء بالفطرة وشد اللجام ليمنع الحصان من دخول النهر. فانتفض الحصان حينئذ وقلَّبه في نفس اللحظة، وبرغم مجهودات بدرو ليوصل الطريق، هرب الحصان بكل قوة حتى بلغ قصر الملك.

حين رآه الملك يدخل قال له:

لم تنفذ التعليمات التي أعطيتها لك. عد لي الرسالة وادخل.
وبكل خجل وبدون أن يتجرأ على تبرير أي شيء، سلّم بدرو
الرسالة، وسلّم نفسه لرئيس الحرس وتوجّه إلى الداخل. وهناك
كان عشاوي في انتظاره، وبأستاذية لا تضاهى عراه من خصره
لأعلى، وفي لحظة علّقه وجلده من أعلى رقبته وحتى أسفل ظهره.
لم يشك بدرو، مع ذلك كان الألم شديدًا، ثم خرج مطرّقًا من
القصر واتخذ طريق العودة إلى البيت.

عندما رآه أبواه وأخواه سألوه:

كيف سارت الدنيا معك؟

بأسوأ حال، كل ما حصلت عليه أن جلدوني من رقبتي وحتى
أسفل ظهري.

وحكى لهم ما قد حدث.

حينئذ استأذن خوان، الابن الثاني، من أبويه، ليجتاز المغامرة،
وأكد أنه لا يخاف بمقدار فجلة من أنهار الدم المنتشرة في العالم
ولا من شياطين الجحيم التي تعبر الطريق.

منحه الأبوان الإذن إخراجًا، ورحل خوان. وبعد أيام قليلة

حكايات واساطير لاتبليية |

«صل إلى قصر الملك. كان الباب موصدًا لأن الصباح لا يزال مبكرًا، وكانت اللافنة لا تزال في مكانها فوق الباب. انتظر خوان حتى فتحوا، وأدخله رئيس الحرس إلى حضرة الملك.

وتكررت نفس المشاهد السابقة بين الملك وبدرو وبين بدرو ورئيس الحرس، حتى اختار الحصان. واختار الصبي الحصان الأصهب، وبمجرد أن امتطاه وتلقى التعليمات، انطلق في مسيرته :اضيًا.

سار الحصان في نفس الطريق الذي سار فيه بدرو حتى بلغ نهر الدم. ولأن خوان كان يعرف ما حدث، ورغم أن منظر النهر كان مرعبًا، إلا أنه قاوم وترك الحصان يعبر. وبعد ساعات قطع طريقه عائق آخر: كان يجري بالقرب منه، وبصخب كبير، نهر مكون من مادة عفنة كانت رائحتها تنتشر فتكتم الأنفاس. وخوان لم يحتمل، فقال لنفسه:

لو عبرت النهر سأموت مختنقًا؛ أفضل أن يجلدوني على ظهري وأواصل الحياة.

وشد اللجام وقلبه الحصان الأصهب وركض متوجهًا إلى اصطبل القصر.

بعد ثماني أيام أو عشرة وصل خوان إلى بيته بجيوب فارغة، كما خرج منه، وبجلد على الظهر وإن كان أقل، وحزينًا ومهانًا حكى لأهله إخفاقه في المغامرة.

لو أنني عبرت نهر العفن بدون موت، ربما قابلت أخطارًا جديدة تنتظرنني، لأنه على ما يبدو كلما تقدمت خطوة زادت درجة الخطورة.

غير أن هذه الفكرة لم تترك أثرًا على مانويل، إذ كان قد قرر أن يجرب حظه؛ ورغم ترجيات أبويه العجوزين بألا يفعل، وبرغم توسلات أخويه بألا يترك البيت، ترجاهم وزاد في رجائه أن يسمحوا له بما أراد. ولأنه كان حذرًا، احتفظ في جيبه بقليل من القطن، وبعد أن تلقى موافقة أبويه، رحل وهو مليئًا بالثقة من نجاحه في مهمته.

وصل إلى قصر الملك، وفي حضوره قال:

يا سيدي، أعتقد أنني محظوظ أكثر من أخوي وأن بوسعي أن أسلم رسالة سموكم إلى الشخص الموجهة إليه، وبالتالي سيكون ظهري حرًا من العلامات. لا أريد كمكافأة عن عملي صرة من الدنانير كما اختار أخواي، إنما أطلب تأمين نجاتي؛ فليات الموت عندما يأتي، وما المال؟ يمكنني أن أربحه بانتهاء مهمتي، فلا زلت

: ابا ولا ينقصني القوة للعمل.

عظيم، يا بني. ارى بسرور أنك أكثر حيطة من أخويك.

وامتطى مانويل الحصان الأبيض ورحل مثل زفير.

وحين اقترب من نهر الدم، أغمض عينيه وقال:

باسم الله.

وعبر الحصان النهر في الحال، بدون أن ير مانويل ذلك. وبعد

ساعات بدأ يشعر برائحة نهر العفن، وحينها أخرج من جيبه القطنة

دما توقع وسد منخاريه. سدهما كما سد جفنيه من قبل، وقال:

باسم الله.

وبعد لحظة كان الحصان على الجانب الآخر من النهر العفن.

أي مخاطر جديدة تنتظره الآن؟ هذا ما كان يفكر فيه مانويل،

وكان يحتمس نفسه بأنها مخاطر أكبر من التي عبرها وكان يجهز

نفسه لتحملها، أيا كانت صعوبتها، بكل ما فيه من قوة.

واصل الحصان طريقه، وفجأة رأى مانويل على مسافة بعيدة

ثورين ضخمين يقطعان الطريق ويتعاركان بوحشية، يتناطحان

ويطلقان النيران من فميهما وأنفيهما.

يا إلهي! المرور صعب جدًا، لكن الحصان سيعرف المرور بدون أن يتبته الثوران لمورونا. وباسم الله نعبر، وواصل السير بسكينة.

عند وصول الحصان بالقرب من الثورين، توقف عن العراك، وتمكّن الشاب من العبور بهدوء.

واصل الحصان الركض بدون راحة، وأثناء ذلك كان مانويل يفكر كيف أنه هو والحصان، وبعد أيام طويلة من المسيرة، لم يشعر بالإنهاك ولم يجربا الاحتياج إلى طعام. لكنه قال لنفسه:

ماذا سأربح لو أرهقت رأسي في التفكير في هذه الأشياء إن كنت أسير حتى الآن بقوة رغم غياب الطعام والنوم؟

واصل مانويل مسيرته لعدة أيام أخرى كثيرة، أو هذا على الأقل ما بدا له، حتى تصادف مروره بجانب ربوتين تقعان على جانبي الطريق، وكانتا تتصادمان بقوة. قال مانويل:

باسم الله.

وترك الحصان ليوصل مسيرته. والحصان عبر بكل سرعة حين فتحت الربوتان فتحة، بدون أن تلمسها.

حكايات واساطير لاتينية |

وتعاقبت الأيام، يوماً وراء آخر، والحصان يواصل طريقه بلا توقف. ثم عبرا حقلاً صغيراً مزروعاً بالحجارة والحصى، ومع ذلك لم يجدا فيه أي نوع من العشب، والحيوانات الكثيرة التي نانت تمرع هناك كانت تلمع من السمانة.

بعد قليل عبرا حقلاً كبيراً آخر وكان مزروعاً بأفضل الأعلاف، وكانت تنمو برقة وحيوية، ومع ذلك، كانت الحيوانات هناك تبدو شديدة النحافة إلى حد أن عظامها كانت بارزة من جلدها.

وبعد السير لمدة أخرى بدت لمانويل قصيرة، دخل الحصان في حديقة جميلة ببساتين شاسعة ومروج مكسوة بالحشائش، وكان يسكنها أزواج من الشباب، وكانت الصبايا تغني وترقص بسرور تحت ظلال أشجار وارفة، وأخريات يأكلن ويشربن ويحدثن ضجة وضوضاء. وحين شاهدن مانويل نادينه، ودعونه إلى النزول ومشاركتهن في متعهن وسرورهن، لكنه لم يكتف بالرفض فحسب، بل إنه ولا حتى تجاوب مع إحياء اتهن، وواصل طريقه.

بعد قليل خرج من هذه الحديقة، ودخل في طريق ضيق ووعر، مكسو بالأشواك والعليقات طويلة الشوك، وكانت تضايق الحصان في سيره وتنهش لحمه. لكن مانويل ظل يقول:

باسم الله.

وواصل طريقه الوعر. وكانت أشجار العليق والأشواك تتضاءل كلما تقدم، حتى اختفت كليةً وتحول الطريق إلى متزه بأشجار هائلة وجميلة، ومن كل جانب أزهار عطرية وحدائق غاية في الجمال، ولم يخُلُ الطريق من طيور جميلة، بريش جذاب وملون ويشدو يصدح في كل ركن، فُتَمَتَعَ السمع والبصر. وفي نهاية الطريق، وفي وسط حديقة مكسوة أشجارها بالزهور والفواكه اللذيذة، كان ثمة مزرعة نظيفة جدًا، عامرة جدًا، وكان ثمة سيدة عجوزة جدًا، محاطة بحمامم ودجاجات، تجلس على العتبة، على مصطبة من الخشب، تقرأ كتابًا بكل تركيز. إلى هذه المرأة وجّه الملك الرسالة، فسلمها لها مانويل بكل احترام، بدون أن يترجل من الحصان، وقال لها إنه ينتظر الجواب. قرأت العجوزة الرسالة وقالت لمانويل:

إنها من ابني؛ غداً سأسلمك الجواب. أثناء ذلك، ترجل من حصانك لتتناول طعامك وتستريح.

فأطاعها مانويل، وبعد تناول كوب من اللبن، نام في سرير أشارت إليه العجوزة.

حين ودّعها في اليوم التالي، سلّمته السيدة جوابًا للملك، وكلفته

حكايات واساطير لاتينية

، أن يترك الحصان يسير على هواه، بدون أن يشد لجامه لأي سبب،
، إن لم يفعل، حتى لو لم تقع له أي كارثة، سيتأخر في الوصول.

وفي رحلة العودة، لم يتعرض مانويل لأي مخاطر، ولا حتى
عبر بالأماكن التي عبر بها من قبل، ووصل إلى قصر الملك سالمًا.
استقبله الملك بترحيب كبير، وطلب منه الرسالة، وقرأها بعلامات
راضية كبيرة، وسأله كيف كانت رحلته، فأجاب مانويل بأنها كانت
شيقة. فقال له الملك:

احكِ لي ما رأيته. ما من شيء غريب لفت انتباهك؟
نعم، يا سيدي. رأيت أشياء كثيرة غريبة: عبرتُ أولاً نهرًا من
الدم، وكنت أتمنى لو أعرف ما معنى ذلك.

هذا هو الدم الذي نزفه المسيح ولا يزال ينزفه من أجل البشر.

والنهر العفن الذي عبرته بعد ذلك؟

إنه خطايا البشر وشروورهم.

ثم رأيت بعد ذلك ثورين يتناطحان بعنف، وبعد ذلك بكثير،
رأيت ربوتين تتصادمان فيما بينهما.

الثوران هما أخواك، والربوتان هما أبواك اللذان ماتا منذ

سنوات، وهما هناك يدفعان ثمن خطاياهما؛ لأن عليك أن تعرف
أن اليوم تتم عامك المئة منذ خرجت من بيتك.

حزن مانويل حين عرف خبر موت أبويه، وشرد. فسأله الملك
من جديد:

ماذا رأيت أيضًا؟

رأيت حقلاً، ورغم أنه كان جافاً كلياً، إلا أن حيواناته كانت
سمينة وتسر الناظرين.

هؤلاء هم الفقراء، فرغم الفقر والفاقة التي يعيشونها، هم
الأسعد والأرضى.

ثم مررت بحقل مزروع، غير أن حيواناته كانت تبدو مريضة
ونحيفة.

إنهم الأثرياء، يأكلهم الحسد والطموح، فيسرق منهم السكينة
والحلم والصحة.

ثم عبرت حديقة كانت مלאى بالشباب من ولاد وفتيات، دعنتي
الفتيات لمشاركتهن الحفلة، لكنني لم أعرهن اهتماماً.

فعلت خيراً، لأن ذلك كان الجحيم، ولو كنت ترجلت من

١٠ سك لكان حملك الشياطين.

وحين خرجت من هناك، دخلت في طريق ضيق وخانق، مكسو
الأشواك وأشجار الصبار التي تأكل ساقِي؛ لكنني لحسن الحظ
١١ وصلت في النهاية إلى حديقة غناء، وهناك كانت امرأة عجوزة
١٢، جلس، سلّمتها الرسالة.

الطريق هو الصراط المؤدي إلى السماء، والسيدة العجوزة هي
أبي.

حينئذ ركع مانويل بين يديه، وصاح:

إذن أنت الملك المعجزة، إن كنت كذلك، انقذ أبوي وأخوتي،
فلن أعيش مطمئنًا وأنا أعرف أنهما يتعذبان.

سينال النجاة حين تموت أنت، لكنك ستعيش خمسين عامًا
أخرى، ويحيطك كل نوع من الراحة إذ سأمنحك هذا القصر بما
١٣ ما فيه من ثراء.

يا سيدي، إن كان أهلي لن يروا النجاة إلا بموتي، فأنا لا أريد
١٤ قصرًا ولا ثراءً، فليأت الموت، لأعيش معهم في السماء.

حينئذ مد الملك يده إلى مانويل، فسقط ميتًا. وروحه، التي

غدت حمامة، طارت إلى الجنة، وفي طريقه اجتمع مع أرواح أبويه وأخويه.

8 - أبناء الأرملة السبعة

حتى نعرف ونحكي، ثمة أكاذيب ستمر. لا بد للحكايات من بداية، وهذه هي نهاية البداية.

هذا ملك كان لديه ابنة وحيدة، وكانت جميلة جداً، وكانت عيناه لا تفارقانها.

كان الملك، المثقل بالسنوات الطويلة، يخاف أن يموت بدون أن ينجب ولداً، فاقترح على ابنته أن تتزوج، حتى يضمن من يرثه في العرش. والأميرة وافقت على رغبات أبيها، لكنها ترجته أن يسمح لها بأن تختار زوج المستقبل. والملك، حين وجد طلبها عادلاً، أرسل مبعوثين لبلدان قريبة ليعلموا أن ابنة الملك تريد أن تتزوج وتعرض على الخُطَّاب أن يحضروا إلى ساحة القصر بعد ستة أشهر لتختار الأميرة من بينهم من تستريح له.

وقبل أيام من انتهاء مدة الستة أشهر، كان لافتاً منظر الطرق التي تؤدي إلى عاصمة المملكة: طرق ملأى بالملوك والأمراء برفقة حاشيتهم وخدمهم، يرتدون ملابس الأثرياء والبدل الأنيقة، ويمتطون الخيول الجميلة والمزينة. وكانت التيجان والخوذات

والأسلحة وزينات الذهب والفضة، تلمع كلها تحت الشمس وتبهر أعين المعجبين الذين يتأملون المشهد الجديد. كانت الأذان تسر لسماع الموسيقى المنبعثة من آلاف الآلات، وعزف الفرق المصاحبة للزوار. ولم يغب عن المشهد أشخاص من مواكب متعددة يلقون بحففات العملات إلى الفضوليين، فكانوا يتلقونها بصيحات وبهجات.

وانتهت مدة الستة أشهر المحددة، وبحسب التعليمات المسبقة، كان يجب أن يصطف تحت شرفات الأميرة كل الخطّاب، أحدهم بجوار الآخر، وكان عليها أن تعلن عن اختيارها بالقاء برتقالة ذهبية إلى مختارها.

حين حانت لحظة هذا الطقس، مر ملوك ومر أمراء، وكان يبدو أن الأميرة لن تستطيع التركيز في أحد حين رفعت يدها وألقت بالبرتقالة الذهبية، وتلقاها أمير جميل بين أمراء آخرين جميلين، أمير كان ضائعاً بين الصفوف الأخيرة.

لقد تلقوا اختيار الأميرة بكثير من البهجة والصياح، ووصفوا اختيارها بأنه أكثر من صائب؛ ولأنهم كانوا قد أعدوا من قبل كل التجهيزات من أجل العُرس، توجه الأمير والأميرة، وأباؤهما

والحاضرون، إلى المعبد، حيث كان المطران والأساقفة في انتظارهم لإتمام زواج العروسين، لكن قبل الوصول إلى الباب، منح ملك مسلم بصحبة خمسين جنديًا طريقًا بين الحشود، وقتل الأمير واستحوذ على الأميرة وهرب، ومن هول المفاجأة من الهجوم لم يتبّه أحد لما حدث ولا استطاع أحد ملاحقته.

ثم تراجع الصخب الذي تملك الحاضرين وعاد الهدوء، وبدؤوا نساء لون من أين جاء الملك المسلم وإلى أين راح مع أسيرته، حتى بركضوا ويقبضوا عليه ويعاقبوه على ما اقترف. لكنهم تاهوا جميعًا في تخميناتهم، لأن لا أحد منهم شاهده من قبل ولا أحد يتذكره.

فلترك الملك لحظةً مع حاشيته وضيوفه المستسلمين لليأس، ولنرحل لثرى، أثناء ذلك، الأميرة المنكوبة.

لقد كان الملك المسلم أحد عشاقها المكلومين، وأحد حُطّابها المتجاهلين، وحين شعر بالغصة لأنها لم تختره، ابتعد عن الصف واصطحب كتيبه المكونة من رجال أقوياء ومتحمسين، وراح ليخطف الأميرة قبل أن تتزوج، ما أدى، كما نعلم، لسعادة مطلقة له، إذ حملها إلى قصره وحبسها هناك، وأحاطها بكل نوع من الرفاهية، بالثياب الغالية، بالمجوهرات، بكل الأشياء الفخمة، أحاطها بكل

ما ترغبه امرأة، إلا الأميرة، إذ كانت تتوق لرؤية أبيها، وكانت تبكي عريسها، وكانت تنتهد من أجل العودة إلى وطنها.

كل يوم، كان الملك المسلم يمر ليرى الأميرة التي كانت ترفض ممتعضة كلماته وهداياها؛ وكان الملك المسلم يفكر أن الزمن ينتصر على كل شيء، وكان يواصل في أمله وتطلعه بدون أن يكف عن زيارة ضحيته.

وجاء يوم بدا فيه أن الحظ قد زار الملك المسلم، إذ الوحش الذي صارت إليه الأميرة الخاضعة لسلطته، بدأ يتراجع رويدًا رويدًا ويهدأ غضبها، ثم لانت، وفي النهاية فتحت وجهها لتستمع إلى كلمات ناعمة يتفوه بها من كان حتى ذلك الحين عدوها.

وذات مرة، كانت الأميرة مضطجعة على أريكة، تحلم بسعادتها المغدورة، فدخل عليها الملك المسلم وألقى إليها زهوره. والأميرة، التي كانت منذ أيام تفكر في خطة للهروب بأمال كبيرة، أخذته من رأسه، وسندته إلى حجرها، وبدأت تملس على شعره الطويل. تحدثا لبرهة طويلة بلطف، وفجأة قالت الأميرة:

أشعر بالضجر من هذا السجن: أريد أن أخرج، أن أنتزعه في الحدائق التي أراها من سجنني، أن أروح لزيارة أبي الذي يبكي

بابي. كم سأكون سعيدة لو استطعت أن أفعل كل ذلك! كم نعشق الحرية حين نفتقدها.

وحينئذ أجابها الملك المسلم:

يمكنك أن تنزهني وقتما تشائين بحدائق هذا القصر، هي حدائق ناسعة، تجولي فيها كل يوم لو أردت، تجولي واقظفي الزهور، اعطني بها، افعلي كل ما يروق لك: لكن أن تذهبي إلى قصر أبيك، مان يحدث أبدًا ما دمت حيًا؛ لا أحد يمكن أن يخرجك من هنا إلا أبناء الأرملة النسيج، وهؤلاء، كيف يمكنك أن تريهم؟ رحيلك عني يعني موتي، وأنا أريد أن أعيش. من اليوم أنت حرة تمامًا، لكن داخل هذا القصر.

واستمرت الأميرة تملّس على شعر عدوها اللدود، بدون أن تظهر أي غضب، ولا حتى أقل درجة من الضيق، حتى نام الملك. وفي اليوم التالي، تنزهت الأميرة بحرية بحدائق القصر، وكانت أعجوبة مبهرة، لكن ذلك لم يكن كافيًا.

وذات مرة استراحت الأميرة من جولتها بالغابة الرقيقة حيث آلاف الطيور كانت تغني، وواحد منها، كان يبدو رئيسًا للجميع، أسكت زملاءه وقال للأميرة:

يا أميرة، أيتها الأميرة الجميلة، أي رسالة تودين إرسالها لأبيك الملك؟ بعدها سنرتحل إلى حدائق قصره.

أيها الطائر المبهر، يا طائر رقيق، قل لأبي إني حزينة وأموت لرؤياه، لكن لا أحد يستطيع إخراجي من هنا إلا أبناء الأرملة السبعة. وخرجت الطيور صوب قصر الملك المحاصر، أبي الأميرة.

شاحبًا ومريضًا، كان الملك يتنزه في حدائق قصره، متمنيًا لقاء ابنته، ابنة كان يبدو أنها تبعد يومًا وراء يوم، وفجأة بدأ يتبه لشدة الطيور الناعم المنبعث من ألف طائر تغطي فروع الأشجار وتنهض ليس بعيدًا عنه. اقترب منها، وفي الحال توجه الطائر الذي أسكت بقية الطيور من قبل إلى العجوز المكلم، وقال له:

يا ملك، أيها الملك الطيب، فلتسر أساريرك، فأننا أجلب لك خبرًا سعيدًا عن ابنتك: تقول لك إنها حزينة وتموت من الاشتياق إليك، لكن لا أحد يمكنه أن يخرجها من حيث هي إلا بمساعدة أبناء الأرملة السبع.

وشرع في الطيران، واختفى السرب في الفضاء.

شعر الملك بسعادة لا حدود لها عندما علم أن ابنته لا تزال

حية، لكن سريعًا ما انتابته نغصة عند التفكير. ابنته لا تزال حية، نعم، لكن أين سيجد أبناء الأرملة السبع هؤلاء، وهم الوحيدون الفادرون على إنقاذها؟ وفي الحال عاد إلى القصر ودعا وزراءه وكبار رجال القصر لدراسة الحالة. لم يكن أحد قد سمع من قبل عن الأبناء السبع، لكنهم جميعًا كانوا متفقين في أن البحث عنهم ضرورة، فوعد الملك بالثروات والتكريمات لمن يستطيع منهم العثور عليهم.

وفي اليوم التالي، في الصباح الباكر، خرجت مجموعات عديدة من الكبار والنبلاء بصحبة رجال من القرية، وساروا في كل الاتجاهات، لكنهم عادوا جميعًا بعد أسبوع بعلامات التعب على وجوههم، ويدون أن يجلبوا أقل خبر عما كانوا يبحثون عنه. لكن في نفس وقت خروج هذه المجموعات، اختار طفل فقير ویتيم، كان يعيش ويتعلم بفضل إحسان الأميرة التي ترعاه منذ وفاة أمه، أن يسير في درب وعر. كانت الأم تعمل كخادمة للأميرة، ثم تركته وحيدًا بدون غطاء في العالم. وهذا الطفل، بعد سبعة أيام من السير بدون مصادفة أحد في طريقه، فكّر في أن يعود، حينها وصل إلى بيت معزول في الجبل، على بابة كان ثمة سيدة عجوزة تسبح على مسبحتها.

يا سيدتي، هل يمكن أن تعطيني سكنًا هذه الليلة؟ فمئذ سبعة أيام خرجت من بيتي ولم أنم في سرير، وأشعر بالحاجة إلى الراحة. يا ولدي، بيتي تحت أمر كل الأطفال الطيبين، بوسعك أن تبقى هنا كل الأيام التي تحب. هل يمكن أن تخبرني من ألقى بك في هذه الأرض المهجورة، التي لا يمر منها ولا العصافير؟

نعم يا سيدتي. أسير بحثًا عن أبناء الأرملة السبع، هم الوحيدون الذين بوسعهم إنقاذ ابنة ملكنا، حاميتي، من يد الملك المسلم الذي خطفها في يوم عرسها.

إذن يا ولدي، أنا هذه الأرملة، والأبناء السبع هم أبنائي. اجلس للحظة، سيصلون بعد قليل وسأطلب منهم أن يرافقوك. إنهم أبناء طيبون ومطيعون، وسيفعلون ما أطلبه منهم.

وأثناء وصول الأبناء السبع، قدمت السيدة العجوزة طعامًا للطفل اليتيم، وكان ميتًا من الجوع إذ لم يكن قد أكل شيئًا طوال اليوم.

وحين انتهى من الطعام، هرب إلى سمعيهما صخب اقتراب الأولاد، فقالت العجوزة: «إنهم أبنائي»، وبالفعل، بعد لحظات دخل سبعة شبان مرحون وأصحاء، لم يكن يبدو على هيئاتهم أي

حكايات وأساطير لاتينية |

شيء غريب. كل منهم، عند دخوله البيت، كان يحيي أمه ويضع على جبينها قبلة ناعمة.

عرّفت العجوز أبناءها إلى الطفل اليتيم.

هذا ابني الأكبر، بقفزة واحدة يمكنه عبور البحر وهو يحمل سبعة رجال على كتفيه؛ وهذا الثاني، بوسعه أن ينتزع الخاتم من الإصبع مهما كان ضيقًا، وبدون أن يشعر به من يرتديه؛ وهذا الثالث، بحجر واحد يرميه يقتل كل من يراه؛ أما الرابع، فيكفيه أن بضرب الأرض بقدمٍ حتى تظهر قلعة تصل أسوارها حتى السماء إن أراد؛ والخامس بوسعه أن يعيد جسد رجل ممزق إلى طبيعته، حتى لو كانت عظامه متناثرة في كل الأركان؛ والسادس، عرّاف؛ وأخيرًا السابع، بروحه يبعث الموتى.

كان الطفل يرغب في الرحيل معهم في الحال لإنقاذ الأميرة، غير أن العجوزة قالت له إن الأفضل أن يستريح تلك الليلة وفي اليوم التالي، عند الصباح الباكر، يمكنهم الخروج.

وفي الصباح التالي رحلوا جميعًا قبل طلوع الشمس، والأبناء السبع اتفقوا فيما بينهم على تعيين الطفل اليتيم قائدًا لهم، وأعلنوا أنهم سيطيعونه في كل ما يأمر.

وشرعوا في السير، وبعد ساعات قليلة وصلوا إلى ضفاف البحر، حينئذ قال لهم الطفل:

أين الولد العراف ليقول لنا في أي مكان نجد الأميرة؟

ها أنا ذا، يا قائد، أجابه الولد مشيرًا إلى نفسه. ويمكن أن أقول لك إن الأميرة تتحدث في هذه اللحظة مع الملك المسلم، وإن رأسه متكئ على حجر الأميرة، وهي تملس على شعره. أما القصر حيث يوجدون فيقع في مواجهةتنا، على الجانب الآخر من البحر، على بعد فرسخ من الشاطئ.

فليات الولد الذي يعبر البحر بقفزة وفوق كتفيه سبعة رجال ليحملنا ويعبر بنا إلى الجانب الآخر.

تحت أمرك يا قائد، قال الولد الأكبر.

وحمل الطفل وإخوته الستة على كتفيه، وقفز قفزة قوية في البحر، وتأخر نصف ساعة تقريبًا حتى وصل إلى الضفة الأخرى بما يحمله؛ ثم كان العراف دليلهم فاقربوا من قصر الملك المسلم.

فليقل لنا العراف، في أي ساعة يمكن أن يدخل من يسحب الخواتم بدون أن يشعر به أحد، حتى يخطف لنا الأميرة؟

في نفس هذه اللحظة يمكن أن يدخل، أجا به الابن السادس، لأن الملك المسلم قد نام بعمق الآن، ولن يستيقظ بسهولة. ضروري أن ربه الأميرة إلى أنه أحد أبناء الأرملة السابعة، وأن إخوته الستة، مع انها المتبنى، في انتظارها بالخارج.

حينئذ تسر سب الأخ الثاني بحيلة إلى القصر، وحين وصل حتى الأميرة قال لها إن الطفل اليتيم وهو وإخوته الستة، الذين كانوا أبناء الأرملة السبع، قد جاؤوا ليحرروها من يد الملك المسلم، ورفع رأس الملك برقة وطلب من الأميرة أن تنهض وتحضر وسادات لوضع رأس الملك النائم عليها. وخرجا في صمت ليلتقيا بالآخرين المنتظرين.

و حين استيقظ الملك المسلم، كان أبناء الأرملة السبع والأميرة والطفل اليتيم قد عبروا البحر في قفزين على كتف الأخ الأكبر، غير أن الملك المسلم، الذي كان قافزًا عظيمًا كذلك وبوسعه أن يعبر البحر وعلى كتفه سبعة، قد قفز سريعًا ليلحق بالأميرة التي هربت، فبدأ في نقل الجنود واحدًا وراء الآخر من جانب البحر لجانب آخر، وحين جمع العدد اللازم انطلق في مطاردة الهاربين. وحدث أنه بينما كان هؤلاء يسرون مسرورين، قال لهم العراف

إن الملك المسلم يأتي من ورائهم، ويقوات مسلحة. حينئذ سأل
الطفل اليتيم:

أين هذا الولد الذي بوسعه تشييد حصون من الأرض؟ فليشبا.
لنا حصناً في الحال.

أنا هنا يا قائد، وتحت أمرك، فضرب الأرض بقدم يمني، فقام
في الحال حصن بأسوار تبلغ السحاب، واختبأ فيه هو والأميرة
ورفاقهما.

حينئذ كلف العراف الأميرة ألا تطل من الشرفات، لأن الملك
المسلم قد يخطفها مجدداً لو رأى أي جزء من جسدها.

وبدأ الملك المسلم يشعر بالأسى، وكان يردد كلمات شديدة
الرقّة يطلب فيها من الأميرة العفو، ويترجأها لتطل ليتأملها للمرة
الأخيرة، وأن يلمس ولو حتى يداً واحدة من يديها، وأن ذلك
سيسعه. والأميرة، وقد حركت مشاعرها رجاءاته، أخرجت
يداً وحركتها كأنها تودعه، وحينئذ قفز الملك المسلم قفزة عالية
واستحوز على يدها وسحب الأميرة وهرب بها على ظهره، ومن
ورائه جنوده.

لكن الطفل الذي كان متيقظاً، صرخ في الحال:

حكايات واسباطير لاتينية |

أين الولد الذي يقتل بحجر واحد كل من يرى، ألا يقضي على هؤلاء الأوغاد؟

فسمعه رامي الأحجار وألقى بحجر على الحشود التي كانت نهرب، وقتل الجميع: الملك، الأميرة، الجنود المسلمين، ودمر كل شيء حتى غدا الحقل مزروعًا باللحم البشري، بالعظام والأمعاء، واختلطوا جميعًا، بدون أن يمكن تمييز إلى من ينتمي هذا العضو.

ماذا سنفعل يا عراف؟ قال اليتيم. كيف يمكن أن يميز الباعث عظم الأميرة ولحمها؟

حينئذ بدأ العراف والباعث في عملهما، وبكلمة «يا إلهي» أعيد جسد الأميرة كما كان.

وبعد أن كسى بطبقة جسد راعيته العاري، أمر الطفل:

فليقم الولد الأصغر من أبناء الأرملة بواجبه.

واقترب الولد المقصود من جثة الأميرة ونفخ في فمها، فقامت الميتة سليمة وجميلة كما كانت قبل أن تتعرض للخطف من جانب عريسها.

وفي الحال، وبقفزتين، نقل الولد الأكبر رفاقه إلى ساحة قصر

أبي الأميرة.

في تلك اللحظة، كان الفجر يشقشق، ولم تكن ثمة روح في شوارع المدينة. اقترب الطفل اليتيم من بوابة القصر الكبيرة ونادى، وطلب من رئيس الحرس أن يبلغ الملك أنه هنا مع الأميرة ومع أبناء الأرملة السبع.

سمح لهم الملك بالدخول فوراً لغرفة نومه، وفي وسط السعادة التي انهمرت عليه، عانق ابنته بكل رقة، وربت عليها، وكان يردد أسماء تدليلها.

لكن، ما من سعادة كاملة في هذه الحياة. عندما كان السرور يكسو الوجوه جميعها، اغتم وجه الأميرة فجأة وانفجرت المسكينة في البكاء.

ماذا بك يا ابنتي الحبيبة؟ ألا تشعرين بالسعادة لأنك بجانب أبيك وقد تحررت من الوحش الذي خطفك؟

ينقصني شيء يا أبي العزيز، حتى تكتمل سعادتي. لو أن معنا الآن عريسي الذي قتله بخسة الملك المسلم، بأي سعادة كنت سأشعر؟

وما فائدة الولد الذي يبعث الموتى إن لم يسعد أميرتنا؟

قال الطفل اليتيم، وتحرك مع باعث الأرواح إلى المكان المدفون فيه الأمير الميت، وأخرجوا الجثة من التابوت، ولم تفح منه رائحة ورود، إنما ديدان، فاضطجع الابن الأصغر من السبعة ذكور بجانبه، وبدأ ينفخ في الجثة، ورويدًا رويدًا بدأ الأمير في النهوض، حتى عاد كما كان لحظة ما قتله الملك المسلم.

ولم يتأخروا في العودة إلى القصر، وعليكم أن تتخللوا كيف استقبلوه.

أمر الملك بإقامة الاحتفالات بإطلاق الأجراس في الهواء وأن تجول الفرق الموسيقية بأرجاء المدينة، وأن يغنوا أكثر الأغاني بهجة. وامتلات الشوارع بالناس، ومن الصخب الذي كان يحدث، فقد الهواء نفسه السمع من كثرة الصياح.

لقد احتفلوا بالأحداث السعيدة وبزواج الأمير والأميرة، ولم يكن ينقص إلا مكافأة الطفل اليتيم على حسن صنيعه، وكذلك أبناء الأرملة السبع، لكنهم جميعًا أبوا أي نوع من المكافأة: اليتيم قال إن مكافأته تلقاها برؤية راعيته سعيدة؛ وبناء الأرملة السبع قالوا إنهم راضون بطاعة أمهم، فقد تحركت عاطفتها وأشفتت على الطفل

اليتيم، فأمرتنا أن نرافقه.

لكن الملك لم يهدأ بكلماتهم هذه، وفي وسط الحفلات الجديدة، أمر بأن يكون اليتيم رئيسًا للقصر، وأغدق عليه بالثروات، وعين الأبناء السبع رؤساء لجيشه، وكان في ذلك فائدة للمملكة، لما نعرفه عن قوتهم الخارقة، وبالتالي لم يستطع أحد إعلان الحرب ضدهم. أما العجوز، أم الأبناء السبع، فقد قادوها إلى القصر، وقضت بقية حياتها هناك، محاطة بالتقدير والحب من الجميع.

وبذلك انتهت الحكاية، وحملتها الرياح إلى ممرات دير، وسمعها الرهبان، وشعروا بسعادة جمّة.

9 - الأمير البيغاء

لنعرف حتى نحكي، ونحكي حتى نتعلم، وكان يا ما كان، كان في زمان، خشب سان خوان، وفأس خواكين الولهان، وأرض من جنات وجنان. ثم بدأت حكاية نرويها عليكم.

كان هناك رجل أرمل، لديه ابنة شديدة الجمال تُسمى ماريكيتا، وكان يحبها حبًا جمًّا، ويدللها بكل عبارات التذليل، ويرضيها في كل شيء. لكن ماريكيتا كانت تشعر بأنها وحيدة، وكانت تتوق إلى أن يكون لها أخوات تلعب معهن وتتسلى حين يخرج أبوها إلى عمله.

طيب، في البيت المجاور كان هناك أرملة لديها ثلاث بنات شابات، أكبر من ماريكيتا، ودميمات للغاية؛ وكانت هذه الأرملة كلما رأت ماريكيتا، تهاديهما بالحلوى، وبكل نوع من البمبوني؛ وكانت بناتها تفعل نفس الشيء بكل حب وحنان، ويقلن لها:

قولي لأبيك أن يتزوج أمنا، لنعيش كلنا معًا ونقضي معًا اليوم كله.

قالوا لها ذلك كثيرًا، وعطفوا عليها كثيرًا. حتى صدقت ماريكيئا أنها ستكون الطفلة الأسعد في الأرض لو أن هذا الزواج تحقق، وبدأت تلح على أبيها وترجاه في كل الأوقات أن يتزوج الجارة، حتى استسلم الأب لرجاءات ابنته، لا لشيء إلا ليرضيها، وأنتم الزيجة.

لكن بمجرد أن تم الزواج، كل شيء تغير كلياً: بدلاً من الحنان والحلوى والبمبوني، لم تتلق ماريكيئا المسكينة من زوجة أبيها وبناتها إلا سوء المعاملة والزعيق والضرب.

كانت المسكينة هي السبب فيما تلقاه، لذلك كانت تحتل في صمت ولم تكن تخبر أباهما بشيء؛ وكان من الممكن أن تواصل في صمتها محتملة آلامها إلى ما شاء الله، لولا أن شيئاً ما قد حدث. ذات مرة كان صاحب البيت غائباً، فجرتها بنات الأرملة من ضفاتها، فما كان منها إلا أن صرخت واستنجدت بزوجة أبيها، بهذه المرأة الصعلوكة التي بدلاً من ردع بناتها لسوء سلوكهم، سحبت عصا وضربت الطفلة ثلاث أو أربع ضربات، وهي تقول لها:

اصرخي مرة أخرى، يا وقحة، لتكفي عن أفعالك التي يعاقبك عليها بناتي!

حكايات واساطير لاتينية |

لكن الحقيقة كانت أن الفتيات الثلاثة كن يكرهن ماريكيتا، وكن بحقدن عليها لأنها كانت جميلة وكن قبيحات، لأنها كانت الوريثة الوحيدة لأبيها وهن كن فقيرات، ومن أجل ذلك نفسه لم تستطع السيدة العجوز أن تعطف عليها.

وحين عاد الرجل، حكى له ماريكيتا ما حدث لها، وحيات الآلام التي كانت تعانيها حتى تلك اللحظة؛ لم تثقل على أبيها، طلبت منه فحسب أن يسمح لها بالذهاب بمفردها إلى بيت تركته أمها عند موتها. ووافق الرجل، إذ لم يكن يرى طريقة أخرى لإعادة الهدوء إلى العائلة.

وبعد أيام طويلة من العناء، جاءت أيام أخرى من السكينة لـ ماريكيتا. كانت حياتها تنوع بين الواجبات المنزلية والاعتناء بالحديقة وبعض الأشجار التي كانت تتظلل تحت أغصانها وترتاح. وذات ظهيرة، بينما كانت تكنس الممر، سمعت من يقول لها:

يا ماريكيتا، هل أساعدك على الكنس؟

وخائفة نظرت حولها، غير أنها لم تر أحداً. ومن جديد سمعت من يقول:

لا تخفي يا ماريكيتا، أنا من أكلمك من بين أغصان شجرة الكريبتوكاريا.

نظرت إلى أعلى الشجرة ورأت ببغاء مكسواً بريش لامع من أجمل الألوان.

آه يا ببغاء يا جميل، من يستحقك!

هل ترغيبين أن أهبط لك؟ أجبها الببغاء.

نعم، انزل وابق معي. ستكون ريفي. أنا وحيدة للغاية. كم سأرعاك! كم سأمنحك طعاماً شهياً! لوزاً وشوكولاتة وخبزاً بالبنيذ وحلوى.

لا أستطيع الآن، أجبها الببغاء، عليّ أن أرحل، لكنني سأعود بالليل. اتركي لي النافذة مفتوحة، وقدراً مليئاً بالماء، وقبضة يد، ومشطاً ومرآة. ثم طار.

وحين حل الظلام، فتحت ماريكيتا نافذة، ووضعت فيها الأشياء التي كلفها الببغاء، وجلست في انتظاره يملؤها الصبر. وحين جاءت الثانية عشرة صباحاً، انتهت للضحجيج الذي يحدثه جناحا الببغاء، وكان يقترب. رأته يدخل رأسه في الماء، ويستحم بسعادة،

أم خرج من القدر وجفف نفسه؛ وفي الحال مشط ريشه ونظر في العرأة، وفي النهاية قفز قفزة، وسقط راکعًا على قدميه، واستحال أميرًا جميلًا ربما قد حلمت به.

لن نقول شيئًا عما قالوه، لكنه نعم، في الصباح التالي عند وديعها، وعدّها بالعودة كل ليلة ورفقتها حتى شقشقة الصبح. وأعطاهما سلة مملّأ بالنقود. ثم غطس في القدر مرة أخرى واستحال ببعاء، وطار واختفى في الفضاء.

وفى البعاء بوعدّه وكرّر زيارته ليلة وراء ليلة.

وكانت ماريكيتا تشعر بالسعادة تملؤها؛ الأمير كان يعبدها. والأمير كان مكسوفًا بسترات من الحرير وكان مزينًا بزينات ثمينة في أذنيه ورقبته وذراعيه.

وفي مرة، مرت ببيتها واحدة من أخواتها غير الشقيقات، رأتها من النافذة وراحت لتحكّي لأمها وأختها كيف وجدت ماريكيتا بتياب فخمة ومزينة بأشياء ثمينة.

شخص ما يعطيها مالًا، قالت العجوزة، لأنها لا تملك لتشتري أشياء بهذه القيمة؛ والأفضل أن تذهبي أنت لتريها وتبقي لتنامي معها هناك، أضافت وهي توجه كلامها لابنتها الكبرى، وأن تلاحظي ما

يحدث ثم تعودين لتحكي ما رأيتِ بعينيكِ.

وفي اليوم التالي، راحت البنت الكبرى لزيارة ماريكيثا، وحكت لها ألف أكذوبة: أنهن أسفات للغاية لأنها رحلت عن البيت، أنهن يشتقن إليها، أنها لم تكن متعبة، أن أمها وأختها يموتن من اللهفة للقائهما، وأنها جاءتها اليوم لتبقى معها طوال اليوم والليل. وماريكيثا، طيبة كعادتها، شكرتها وعاملتها بعطف؛ لكنها كانت تخشى إن بقيت معها إلى الليل أن تشعر بقدوم الأمير وتسمع ما يقولانه، لذلك قدّمت لها أثناء الغداء نبيذًا كل برهة وبرهة، والفتاة كانت محبةً للشرب، فشربت كوبًا وراء كوب؛ ومن كثرة الشرب، ومن قبل أن تنهض من المنضدة، كان رأسها قد ثقل تمامًا، ولومرت فوقها عربة ما شعرت بها. هكذا أنامت ماريكيثا في غرفة ملاصقة لغرفتها وجلست تنتظر الأمير في طمأنينة.

في اليوم التالي استيقظت الضيفة، ليست مبكرة جدًا، بعد أن قضت الليلة غارقة في النوم، بدون أن تنتبه لما جرى بالقرب منها. وعندما عادت إلى بيتها، حكّت لأمها وأختها كم كان فخماً بيت ماريكيثا وكم كانت كريمة معها، ما أشعل حسد النسوة الشريرات. غضبت الأم من ابنتها لأنها لم تر الأمر الهام، فأمرت الابنة الوسطى

ان تذهب هي، بدلاً منها، لتقضي الليلة مع ابنة زوجها، وأوصتها ألا نام وأن تراقب كل شيء. لكن حدث للوسطى ما حدث للكبرى، نملت وعادت إلى بيتها لا تعرف أكثر مما كانت تعرفه قبل الخروج. لكن الصغرى، وكانت أكثرهن دمامة، وأكثرهن حقدًا، وأكثرهن كرمًا لماريكيتا، قالت لأمها:

أنا سأذهب الآن، وسأتحقق من كل شيء.

وهكذا رحلت، وبالفعل تصنعت الشرب، فلم تنم، وقضت الليلة ساهرة، ومن عين الباب الذي يصل غرفتها بغرفة ماريكيتا رأت البيغاء، رآته يستحم في القدر ويستحيل أميرًا شديد الجمال، وفي النهاية يجلس بجانب ماريكيتا، ويتحدث معها بحب ويربت عليها. أكلها الغيظ حينئذ حتى أنها لم تلتفت إلى ساعة شقشقة الصبح لتعود إلى بيتها. لقد ظلت الليلة بطولها ملتصقة بعين الباب، بدون أن يرمش لها جفن، بدون أن تتحرك، رغم ما في الوضع من ألم، هكذا اطلعت على كل شيء حتى جاءت اللحظة التي أشرق فيها النهار وسلّم الأمير لحبيته صرة من النقود، وودعها بقبلة حانية، ودخل في القدر مجددًا ثم حلّق في السماء وقد استحال بيغاءً.

بعد برهة، ودة دعته الحفوة أختها غير الشقيقة، وأكدت لها أنها قضت يوماً وليلةً بين، وأنها ستكرر زيارتها لو لم تكن ثقيلة. وماريكيتا قالت، لها بلبس، يروق لها رفقتها، ولتأت دائماً وتماماً تريد، ولتأكد أنها مربية في أي وقت. وخرجت الفتاة مبتسمة من بيت ماريكيتا، لكنها إن ابتعدت عن نظرها ما يكفي، شرعت في الركض حتى وصلت إلى بيتها في ثوانٍ قليلة، لتغدو بركناً.

لن تعرفي يا أمي بالله بأم عيني! هاتان الحمقاتان قضيتا الليلة نائميتين ولم يريانا شيئاً! لم أنم ورأيت كل شيء، كل شيء! كانت تتحدث بسمه وحكت ما رآته.

وما إن انتهت من هذا حتى قالت أمها:

آه، هذا إذن ما حدث! نتكلم هذه الخنزيرة عما يجري لها مع أميرها الشهير. سيج نفسي، وسترى ما هو الخير مني! وبالفعل، قبيل أذان الثانية عشرة صباحاً وصلت العجوزة، متوارية في الظل، إلانة التي يدخل منها الأمير، وبدون أن تحدث أقل ضجيج، نعت في القدر ثلاث سكاكين مفتوحة ومسنونة، وكان، نصله أعلى، ثم راحت لتختبئ في مكان بعيد.

حكايات واساطير لاتينية |

في الثانية عشرة صباحًا وصل البيغاء، وكالعادة نزل القدر، لكن حسده جُرح هذه المرة من أنصال السكاكين. والألم الذي جرّبه دفعه ليطلق صرخة حادة، وحين رأى ماريكيتا تأتي مهرولة لترى ما جرى، قال لها بنبرة موجوعة:

ماذا فعلت لك يا سخيفة حتى تعامليني هكذا؟ هل تقابلين حبي بهذه الطريقة؟ اليوم بالتحديد انفك سحري، وبفعلك هذا فقدتني، ربما للأبد. لكنك لو ندمتِ ذات يوم على فعلتك، وأردتِ أن بحثي عني، ينبغي أن تتعلي حذاءً من حديد وتذيه حتى تصلي إليّ.

وحلّق في الفضاء بينما انطلقت الطفلة في البكاء، فلم يترك لها فرصة لتدافع عن نفسها بكلمة، ولم تفهم ما يقوله حتى رأت السكاكين في الماء الذي تلوّث بدم الأمير، وانتهت إلى ما حدث.

كانت السيدة العجوز ترى كل شيء وتسمع كل شيء من مكانها المختبئ حيث توارت، وكانت مبتهجة لنجاح خطتها، وهكذا عادت إلى بيتها لتحكي لبناتها.

واحتفلت الثلاث فتيات بما جرى؛ غير أن أكثرهن سعادة في مصيبة ماريكيتا كانت البنت الصغرى.

بكت ماريكيثا بمرارة لفترة طويلة، لكنها فكرت أن الأفضل من البكاء هو الخروج للبحث عن زوجها. وسريعاً ما أمرت بصنع حذاء من الحديد، انتعلته بمجرد ما تسلّمته، وانطلقت إلى مصيرها بدون حقيبة إلا مخلة تضم ثياباً بيضاء، وخيطاً وإبرة، ومقصاً وزجاجة ماء. وبالمخلة على كتفها سارت لزمّن طويل، بالسهول والتلال، بدون أن ترتاح ولا تقف، فعانت من البؤس والتعب، حتى جاء يوم تملكها الإرهاق، فوصلت إلى جبل بالقرب من بحيرة، فتمددت لترتاح على الأرض. وحين فردت ساقها لتشعر بالراحة، يا للسعادة! لاحظت أن حذاءها الحديدي قد ذاب نعله أما مقدمته فيظل من الفردتين أصابعها. فكرت أن العلامة واضحة، قريباً ستلتقي بمحبوبها.

وبدأ الليل يحل. وماريكيثا، المستسلمة للتعب، كانت تحاول أن تغط في النوم بجفون مغمضة، لكنها لم تستطع النوم، لأن ضجيج رفرقة قوية كان يتردد بجوارها، ففتحت عينيها وانتبهت. في نفس اللحظة شعرت برفرفة أخرى، وسمعت هذا الحوار:

كيف حالك؟ وأنتِ يا ابنتي، هل على ما يرام؟

على أحسن حال يا راعيتي. نحن هنا كما ترينا، وصلنا في الحال

من بيتنا، وتركنا هناك زوجي العجوز الأحمق والبتين الكبرى والوسطى، لا قيمة لهما مثله. الوحيدة التي تستحق احترامي هي ابنتي الصغرى، لذلك أرافقها في كل مكان، منذ باتت ساحرة مثلنا. وأي أخبار لديك عن الأمير البيغاء؟ هل سيموت قريباً؟

أريد لو أنسفه بيدي، قالت الابنة الصغرى.

لن يعيش طويلاً، يومين أو ثلاثة ويموت. لقد فسد دمه بالجرح الذي حدث له من القدر حيث وضعت له السكاكين، والحكماء عجزوا عن شفائه، وكيف يمكن أن يشفوه! لكن فلتحدث بصوت خفيض، ولنختبئ جيداً، فالحيطان لها آذان، والأشجار لها عيون. لكن احذرن، فالأمير يمكن أن يشفى في حالة واحدة وخلال ثلاثة أيام، ذلك لو أخذ أحد منكن ريشة من جناحكن الأيمن كل يوم ومررها على جراح الأمير بعد أن يغمسها في دمكن. لكن ليفعلوا ذلك يجب أن يقتلوكن.

ومن سيرف ذلك يا راعية روحى! لن يسمح الشيطان بأن يعرف أحد ذلك.

هيا لننام، أنا أقع من النعاس لأنني استيقظت مبكراً جداً.

ونحن نفس الشيء يا راعيتنا. هيا لننام، وغداً نكمل حوارنا.

وانصرفن في سير مثل سير البط، بين شجيرات مصفوفة على ضفاف البحيرة.

من كان يتحدث ثلاث ساحرات: زوجة أبي ماريكيتا، وابنتها الصغرى، وراعتها، وكن يجتمعن مساء كل سبت هناك، ويتحولن إلى بطات، ويطلعن بعضهن بعضًا على أخبار الأسبوع.

انتظرت ماريكيتا ما يقرب من ساعة، ثم خرجت من مخبئها مسلحةً بالمقص، وكان كبيرًا جدًا ومسنونًا جدًا، وتوجهت إلى حيث كانت البطات. كل واحدة من الثلاثة كانت على مسافة من الأخرى. أول من عثرت عليها ماريكيتا كانت زوجة أبيها، فأخذتها من الخلف وقطعت رقبتها بضربة مقص واحدة، وصبت قليلًا من دمها في الزجاجاة التي كانت تحملها معها، وشدت ريشة من ذراعها اليمنى وراحت لتبحث عن بطة أخرى، سريعًا ما وجدتها فكانت أختها غير الشقيقة، وفعلت معها ما فعلته مع زوجة أبيها، وفي النهاية فعلت نفس الشيء مع الراعية. ثم عرجت سريعًا إلى المدينة. وحين وصلت، استبدلت ثيابها بثياب رجل كانت قد صادفته في الطريق فدفعت له مقابل ذلك كل ما تملكه من مال، هكذا دخلت المدينة متخفية.

وبعد سير قصير، التقت امرأة عجوزة كانت تسير في حزن شديد، فأوقفتها وسألتها:

ماذا بك يا سيدة، أراك شديدة الحزن؟

ماذا يجب أن يحدث يا بني؟ أجابتها العجوزة، الأمير ابن الملك سيدنا يحتضر، والحكماء يقولون إنه من الصعب أن يمر اليوم، سلام.

آه يا أمي! أنا حكيم ولو أنني استطعت دخول القصر، سأشفي المريض في ثلاثة أيام.

حقًا يا بني؟ سأصحبك إلى القصر، فأنا ربيبُ الأمير على صدري ويوسعي الدخول وقتما أحب.

وتوجهها معًا إلى القصر.

تحدثت العجوزة أولاً مع الملك، فأمر بالسماح بدخول الشاب الحكيم إلى حجرة الأمير، وطلب الحكيم أن يبقى مع الأمير على انفراد.

حين بقيت ماريكيتا بمفردها معه، انفجرت في البكاء بمرارة: كان الأمير مغمض العينين، كان فاقداً للوعي تنز جروحه آلاماً لا

تحتمل. وهكذا، وهي باكية، قبضت على واحدة من الريش الذي قطفته من أجنحة البطات، وغمسته بالدم الذي تحمله في زجاجة، ومررتها بركة على جراح الأمير.

في صباح اليوم التالي، راح الملك ليطمئن على ابنه.

كيف حاله؟ سأل الحكيم المتخفي.

أفضل كثيرًا يا سيدي. اقترب منه وانظر: لقد اختفى الدود وكوّنت الجروح قشرة.

وكانت الحالة بالفعل كذلك.

وطلب الحكيم أن يتركوه وحيدًا حتى اليوم التالي، فانصرف الملك في غاية السرور وبأمل أن ابنه سيعيش.

عندما خرج الملك، غمست ماريكيتا ريشة أخرى بدم الساحرات ومررتها على جروح الشاب، فكان على وشك أن يسترد وعيه. وكانت القشور قد نضجت وراحت تتساقط رويدًا رويدًا.

في اليوم التالي، راح الملك مجددًا ليطمئن على ابنه، فوجده تحسن كثيرًا، كان يتكلم. وطبيعيًا خرج أكثر سرورًا من المرة السابقة.

حكايات واساطير لاتينية |

وفي الحال، عقب خروجه، مررت ماريكيتا الريشة الثالثة المغموسة في بقية الدم على جسد الأمير كاملاً، وفي الحال استعاد صحته كاملةً وطلب ثيابًا ونهض. حيثذ كشفت ماريكيتا نفسها، وفي وسط سعادة الأمير، حكمت له كل ما حدث منذ إصابته، وكيف أنها، من خلال حوار الساحرات، عرفت أن زوجة أبيها من وضعت السكاكين في الطنجرة.

حين أنهت ماريكيتا حكايتها، دخل الملك، ولا يحتاج إلى حكي كيف كانت سعادته عندما رأى ابنه وقد صار صحيحًا معافيًا. وحكى الأمير لأبيه كل ما يعرفه عن ماريكيتا وترجاه أن يسمح له بالزواج منها لأنهما يتبادلان الحب برقة ولأنه مدان بحياته لها. فوافق الملك بترحيب، وأقيم حفل الزفاف بعد أيام قليلة، وسط حماس كل سكان المملكة.

هذه حكاية يمكن لي أن أوكدتها، لأنني حضرت العرس وأكلت وشربت كثيرًا، حتى انفجرت بطني.

وبهذا انتهت الحكاية وحملها الريح إلى داخل البحر.

10 - أميرة الصورة

هذه حكاية أمير كان يسير متجولاً بأرض مملكة أبيه ليتعرف على احتياجاتها ويتدرب على حكمها حتى إذا ما جاءت اللحظة، ولم تكن اللحظة بعيدة خاصةً أن حالة الملك الصحية متدهورة، تمكن من الحكم.

ذات يوم، عند الخروج من إحدى الغابات، تصادف وجهها لوجه مع بائع متجول، فطلب منه مترجياً أن يبتاع منه بعض الأشياء التي يبيعها، ورغم أن الأمير لم يكن يحتاج إلى شيء إلا أنه فتح صناديق البضاعة ليرى شيئاً ربما يهمه. حين رفع عدة صناديق تحتوي خواتم وأمشاطاً وزازير وحلياً آخر، صادف علبة بها صور، ففتحتها بفضول. كانت صور شابات شدييدات الجمال؛ لكن البائع رفع سعر واحدة عن الباقيات لأنها أشدهن جمالاً. كانت فاتنة، إلى حد أن الأمير تسمر في مكانه وهو يتأملها، وفي الحال نبض قلبه وشعر بالوله. دفع عشرين بيزو للبائع في مقابل الصورة وسأله إن كان يعرف اسم فتاة الصورة وأين تعيش؛ ولأن البائع لم يعطه أي جواب شافٍ، عاد الأمير حزيناً ومكلوماً إلى القصر.

كان هذا الأمير خجولاً بشدة، وكان محافظاً، وبالتالي لم يخبر
أباه بمشاعره الجديدة. لكنه أثناء ذلك كان يزداد نحافة أمام الأعمى،
وخداه، اللذان كانا من قبل ناعمين ومبتسمين، أصبحا غامقين
ومتغضنين. الملك انتبه إلى ذلك، وعرضه على أفضل الحكماء،
لكن ولا واحد فيهم أصاب في معرفة أسباب المرض.

وكل يوم، كان الملك يترجى الأمير ليخبره بما يشعر، بماذا يريد،
بعد رجاءات كثيرة انتصر على تحفظ الشاب الذي اعترف لأبيه أنه
عاشق بجنون لفتاة لا يعرفها، ولا يعرف ما اسمها، ولا حتى يعرف
أين تعيش؛ وبعد أن حكى له حكاياته مع البائع المتجول، أكد له أنه
لن تعرف الراحة طريقها إلى روحه حتى يتزوج بها.

طلب الملك من الأمير الصورة ليرسل رسله إلى كل مكان بحثاً
عن الصبية؛ لكن الأمير قال له إنه لا يستبدل هذا الكنز الثمين بأي
شيء في هذا العالم، وإنه هو نفسه سيخرج بحثاً عن الصبية، إن أذن
له الملك.

ورغم إرادته، وأمام حالة الأمير السيئة، إذ بدا على وشك
الموت، أذن له الملك بالخروج بحثاً عن معشوقته، ورغم أن
الملك نصحه بأن يخرج في صحبة رجال كثيرين من الكبار، إلا

أن الأمير أصر على الخروج وحيداً ولم يقبل إلا نقوداً عرضها ١٤٠ ،
أبوه، وكان مبلغاً كبيراً يكفيه .

خرج الأمير عند الفجر، بدون أن يودّع أحداً وبدون أن يراه
أحد. امتطى حصانه المفضل وسار من طرق كان يجهلها حتى ذلك.
الحين، ثم عبر مروجاً وغابات لم يكن يعرف عنها شيئاً، وفي نهائ
أيام كثيرة وصل إلى مدينة كبيرة وجميلة، فشيد فيها نزلاً جيد البناء.
رائعاً. كان من حق أي أحد أن يدخل المنزل، بدون النظر إلى جنسه
أو عمره أو وضعه، وكان يمكن البياض فيه يوماً وليلةً بدون مقابل.
متلقياً كل الخدمات الممكنة، الشرط الوحيد كان الاعتراف،
قبل الرحيل، أنهم يعرفون فتاة الصورة أم لا حين يعرض الصورة،
عليهم، مع وعد بأن من يدل على مسكنها الصحيح سيتلقى نقوداً
كثيرة. لكن خلال شهر كامل، بدا للأمير قرناً، ولا واحد من الآلاف
الذين مرور بالزبل أعطى أي إشارة على تعرفه على فتاة الصورة.

ومكولوماً، هاجر الأمير إلى مدينة أخرى، مدينة شديد الجمال
ومعمورة لأخرها، وبينما كان يتجول في الشوارع متأملاً، يفكر في
الطرق التي يمكنه اتباعها لتحقيق أهدافه، اقتربت منه سيدة عجوزة،
وقالت له بصوت شديد النعومة والحنان:

حكايات واساطير لاتبليية

با سيدي، أنت غريب ولا تعرف المدينة؛ لو أردت أن تعرفها،
اسم يمكن أن يعرفك على آثارها وأهم ما فيها من مزارات. لكن
، دو لي أنك لا تبحث عن ذلك، وأنه بعيدًا عن إشباع الفضول،
١٠ نحتاج إليه هو السلوى، إذ أن وجهك يكشف حزنًا عميقًا. أنا
مجازة ما يكفي وأعرف الدنيا جيدًا، وربما لو أطلعتني على نواياك،
استطيع أن أخفف عنك همومك.

كانت العجوزة تتحدث بطريقة عذبة، ففتح لها الشاب قلبه،
، انتهى يكشف الصورة لها. وما إن رأتها حتى صاحت العجوز:

لكن هذه الصورة صورة ابنتي، الأميرة، لقد ربيتها منذ مولدها.
لكن انظر، سيكون من الصعب جدًا التحدث معها، لأنهم يحرسونها
ليلاً ونهارًا، ولا تخرج من القصر إلا ثلاثة أيام كل عام، ودائمًا ما
تسير محاطة بصيبتين من القصر. وبالصدفة، ستخرج غدًا. قف
في الطريق الذي تمر منه، وحاول أن تلتفت انتباهها بأي طريقة،
وتحدث معها بدون أن يلاحظ ذلك رفيقتها.

وبعد أن أشارت له إلى الطريق الذي تمر منه الأميرة، انصرفت
العجوزة، على وعد بلقائه في اليوم التالي، في نفس المكان ونفس
الساعة.

حينئذ انطلق الشاب إلى أفضل محل للمجوهرات بالمدينة، واشترى بسعر مرتفع ثلاث كرات من الذهب، واحدة مرصعة بالياقوت، وثانية باللؤلؤ، والثالثة بالألماس.

وفي اليوم التالي، في ساعة خروج الأميرة المنتظرة، كان الأمير في المكان المحدد يلعب بكرة الذهب المرصعة بالياقوت، وحين رأت الأميرة هذا الشيء الثمين، قالت لرفيقتها:

سأطلب من هذا الشاب أن يبيع لي هذه الكرة التي يلعب بها. وتقدمت إليه، وطلبت منه أن يبيعها لها.

هذه ليست للبيع يا سيدتي، قال لها، إنما أهديكِ بها، حتى عندما تلعبين بها، تتذكرين خادمك.

شكرته الأميرة على الهدية، وعادت إلى رفيقتها، وواصلت طريقها.

وفي المساء، راحت العجوزة في زيارة الأميرة كما العادة، فحكّت لها هذه ما جرى لها مع الشاب:

كان شديد الطيبة، كثير الكرم ومجاملًا! أدفع ما يطلبون مني وأعرف كيف يفكر في!

والعجوزة لم تحك شيئاً للأميرة، لكنها وعدتها بالبحث عن الشاب والحديث معه وجرجرته، ثم انصرفت. وبالفعل، راحت لتقابل الأمير لتطلعه على حوارها مع الأميرة، وبهذا الحديث ازداد مشقه للأميرة أكثر من ذي قبل.

وفي اليوم التالي، وكان اليوم الثاني لخروج الأميرة، وقبل أن يبلغ المكان حيث ينتظرها الشاب في طريقها، رنت إليه ورأته يلعب الكرة أخرى من الذهب، مرصعة باللؤلؤ:

أتقدمكما أنا، قالت الأميرة لرفيقتيها، سأرى إن كان هذا الشاب يبيع لي هذه الكرة التي يلعب بها ليكتمل زوج الكرة لدي.

وتركت حارستيها واقتربت من الأمير، ترجته أن يبيع لها الكرة، لكن الشاب، كما في المرة السابقة، لم يرغب في البيع، وترجأها أن تلتقاها منه كذكرى من أحد أكثر المغرمين بها.

هذه المرة تأملت الأميرة الشاب، وإن كانت بالأمس قد انتهت إلى طيبته المفرطة، فالآن تجد فيه شاباً ساحراً، وهذا ما ستقوله للعجوزة حين تذهب في زيارتها عند المساء، مضيئةً لها، كأنه سرها الكبير، أنها قد غدت مغرمة بجنون بهذا الشاب.

في اليوم الثالث تكرر المشهد: هادى الأمير الأميرة بالكرة

الذهبية، والكلمات التي تبادلها أكدت لكل منهما عشق الآخر.
لن تخرج الأميرة مرة أخرى إلى الشارع حتى يمر عام آخر،
لكنهما كانا يتبادلان الأخبار عن طريق السيدة العجوزة. وحدث
ذات يوم أن الأميرة وقفت في شرفة تطل على شارع منعزل، وكان
الأمير ينتظرها هناك فوق حصانه ليهربا، إذ رفض الملك أن يتزوج
الأمير ابنته.

وبفارغ الصبر، وصل الأمير إلى مواعده مبكرًا، وبينما كان ينتظر
الساعة الموعودة، ترجل من الحصان وجلس في الأرض متكئنًا
بظهره إلى الحائط. حينها تملك منه نعاس لا يقهر، وبعد ثوانٍ
كان قد غط في نوم عميق. حدث أنه في تلك الساعة مر جندي
يرتدي ملابس مدنية، كان قادمًا من بيت القمار وقد فقد كل ما
يملك، وحين رأى الحصان تملكته رغبة في سرقة لبيعه، لكنه رأى
صاحب الحيوان، وكان نائمًا، فخشي أن يوقظه ويفاجئه، فجزّب
أن يوقظه هو ليرى إن كان في نوم عميق، حينها هزه بقوة وقال له:
ماذا تفعل هنا يا رجل؟ استيقظ، ربما يصادرون حصانك.

لكن الشاب، كعاشق أصيل، كان قد قضى الليالي السابقة في
سهد، والآن ينام مثل السنجاب. هكذا امتطى الجندي الحصان

و حين همّ بالحركة، جاءه صوت من أعلى يقول له:

هل ترحل وحدك بدون رفقتي؟

فأجاب الجندي:

انزلي هيا، أنا في انتظارك.

فنزلت الأميرة على الفور، وامتنطت خلفه الحصان.

ومرت ساعات يسيران فيها بلا كلمة، حتى وصلا في النهاية إلى

بيت كان في وسط الحقل، فقال لها الجندي:

سننزل هنا يا بنية، نطلب سكنى وننام، لأنني أشعر بالنعاس.

فانتبهت الصبية من الصوت إلى أنه ليس معشوقها من رافقتها،

فأجابته:

لا، لن ننزل هنا الآن؛ سنواصل حتى بلوغ الغابة، وهناك نختبي،

حتى لا يلحق بنا خدام أبي، فلا بد أنهم سيلاحقونا الآن، ولو

بلغونا، لقتلونا.

وجد الجندي ما تقوله الأميرة منطقيًا، فواصل الركض فوق

الحصان حتى بلغا الغابة ونزلا.

كان نهارًا. والأميرة سلّمت للجندي عملة من عشرة بيزو،
وقالت له:

رح إلى القرية واحضر لي فنجان حساء، لأنني أموت من التعب،
ولتأت سريعًا بدون انتظار الباقي. لكن اترك هنا القبعة والبطانية
والسترة؛ حتى لا يلفت ذلك انتباه من يلاحقوننا أنك من خطفتني،
ولا تتأخر.

ترك الجندي ملابسه وراح سيرًا على قدميه إلى القرية لينفذ
أوامر الأميرة؛ وبمجرد ما خرج من الغابة، نهضت الأميرة وارتدت
سترته وقبعته والتفت في بطانيته، وقفزت إلى الحصان ورحلت
في الاتجاه المعاكس. وحين عاد الجندي ولم يجد الصبية، اشتاط
غضبًا، وألقى الحساء بعيدًا، ولعن حظه، ثم قرر ملاحقتها سيرًا.

لنعد إلى الشاب الذي استيقظ في وضح النهار. ماذا فعل حين
وجد نفسه في نفس مكانه لكن بدون حصانه، متذكرًا السبب الذي
لأجله كان هناك؟ لم يفسر لنفسه ما قد جرى، لكنه عاد إلى سكنه
حزينًا ومتحسرًا على نفسه من الكارثة. وفي المساء، خرج ليتجول
بالشوارع، وبالصدفة قابل السيدة العجوزة التي أعطته ظهرها حين
رأته، إذ كانت تظن أن الشاب قد ارتحل بعيدًا مع الأميرة. حكى لها

حكايات واساطير لاتينية

الشاب ما جرى، حكى أنه قد نام وأنهم سرقوا حصانه، وحكت له العجوز أن القصر مضطرب وبه هرج ومرج، لأن الأميرة اختفت وقد عشروا على سلم وحبل معلق بإحدى نوافذ غرفة نومها، وأن الملك قد توعد بقطع رأس من يحرسون الأميرة.

ودّع الأمير السيدة العجوز، واشترى حصاناً آخر، ثم خرج إلى المغامرة.

أثناء ذلك، كانت الشابة قد وصلت إلى مدينة كبيرة، عاصمة مملكة جارة لمملكة أبيها. كانت حيطتها الأولى أن ترتدي ملابس رجال وأن تتخفى بأفضل طريقة ممكنة، بحيث لا يعرف أحد أنها امرأة، ثم خرجت لتتجول في الشوارع. وفي أحد الميادين حيث تجمعت مجموعة من الناس، سمعت من يقول إن أمين سر الملك قد مات وإنهم لا يجدون شاباً صالحاً ليحل محله، وحينئذ توجهت، بدون لحظة تفكير، إلى القصر لتعرض خدماتها. ارتاح الملك كثيراً لشكل الشاب، لمهارته وأدبه، إذ كان ذكياً وجميلاً، وفي الحال عينه أميناً للسر، وخصص له، بالإضافة، راتباً كبيراً وغرفة وطعاماً بالقصر. امتن الشاب للملك وعطاياه، وترجاه أن يحتفظ بحصانه في الاصطبل الملكي لأنه لا يريد التخلي عنه، إذ

أنه تذكّار من صديق يحبه كثيرًا.

لقد شعر الملك، وكان عجوزًا ووحيدًا، بالعطف على الشاب أمين السر، ولاعتقاده في ذكائه، تبنّاه كابن له. وصار، حقيقةً، ذراع اليمنى، ولم يعد يفعل شيئًا في المملكة إلا باستشارته.

ومرت شهور ومن ورائها شهور، لم تتجاوز الستة حين وصل الأمير الشاب إلى نفس المدينة، وكذلك وصل الجندي، كل منهما من طريق مختلف، وكلاهما، بدون أن يعرف أحدهما الآخر، تقدما إلى القصر لطلب وظيفة رئيس الحراس. فحصل كلاهما عليها.

كان رئيس الحراس وكل العاملين في القصر يأكلون في نفس المائدة، في المطبخ الذي كان رحبًا، وبينما كانوا يأكلون، كان الحراس يسردون حكايات وقصص، أو حتى مغامراتهم الشخصية. وحين جاء الدور على الجندي حكى كل صولاته وجولاته، حتى انتهى بحكاية خطف الحصان والصبية، وكان يستحق النظر كيف كان الملعون حانقًا على امرأة قد خدعته، امرأة كانت في سلطته وكان بوسعها أن يفعل معها كل ما يريد، لكنه ولا حتى لمس شعرة منها.

وبينما كان الجندي السابق يحكي مغامراته الأخيرة، نظر الأمير

حكايات واساطير لاتينية |

بعين إلى فأس كانت بالقرب منه، وما أن انتهى من حكايته حتى
فض الأمير بكلتا يديه على الفأس ورفعها، ثم ضرب بها بكل قوة
رأس من تسبب في تعاسته، وقتله في الحال. حكى الأمير حينئذ
سبب ما فعله، ليبرر أمام زملاء العمل فعلته، وفي الحال طلب
رئيس الحرس أن يقودوه إلى حضرة الملك ليحاكمه.

لو حكمتم عليّ بالموت، سأموت مطمئنًا وراضيًا لأنني أعلم أن
هذا البائس لم يريح من جريمته، كان يردد ذلك وهو في الطريق.

وحين وصل إلى مكان الملك، مروا على الاصطبلات، وفي
الحال عرف حصانه من بين كل الخيول التي كانت هناك، والحيوان
النبيل تعرف عليه كذلك، حد أنه سهل من السرور عندما رأى
صاحبه القديم.

وبمجرد ما دخل المتهم إلى حضرة الملك، كان أمين السر
موجودًا، وتعرف في الحال على معشوقه، لكنه تصنع تجاهله، وهو
نفسه استجوب مع الملك:

لماذا قتلت هذا الرجل المسكين؟

لأعاقبه على فعلة الشر التي فعلها، لقد جعلني أكثر أهل الأرض
تعاسةً.

أمه أمين السر أن يحكي حكايته، ليعرف إن كان قتلاً بوجه حرم، أم أنه اغتيال بلا سبب، وفي الحال حكى الأمير الحكاية كلها، منّا. قابل البائع المتجول حتى قتل الجندي السابق، بدون أن يتجاهل أي تفصيلاً. وعندما انتهى، سأته الأميرة، أي أمين السر المتخفي، إن كان بوسعه أن يبرهن بأي طريقة على ما يقوله، والأمير، بعد أن استعرض الصورة التي يحملها معه دائماً، قال:

عندما أحضروني إلى هنا، مررنا من أمام اصطبلات الخيول ورأيت من بين خيول الملك حصاني، لا أعرف كيف وصل إلى هنا. هل لو أعطى الحصان علامة على معرفته بي يعد ذلك برهاناً على ما حكيت؟

والملك وأمين السر أشارا بالتأكيد، فانتقلوا جميعاً إلى الاصطبلات ليشاهدوا الدليل. لكن قبل أن يصلوا بقليل، بدأ الأمير ينادي لحصانه:

يا أسود! يا أسود! وسمعوا في الحال صهيل فرحة ورأوا الحصان يقفز من فوق الحواجز التي تفصله وراءها، ووصل ركضاً حيث صاحبه ينتظره فتعانقا.

كان البرهان قاطعاً، فأمر الملك أن يبقيا بمفردهما مع الأمير،

حكايات واساطير لاتينية |

وأمين السر، وعادوا إلى قاعة القصر. طلب أمين السر بعدها الإذن ليغيب لدقائق، بمرورها عاد بدون أقنعة مرتديًا ملابس امرأة، بأفضل فستان ممكن ومزينًا بجواهر ثمينة. تعرف عليها الأمير في الحال ونزل عند قدميها، حينئذ مالت الأميرة عليه ورفعته، وقدمته للملك.

وفي اليوم التالي أقاموا زفاف العروسين، والملك تبى الأمير نابن له، وتنازل له عن العرش ليعيش بقية عمره في هدوء وسكينة في رعاية ابنه وتدليلهما، حتى رعاياه عاشوا في سعادة ويسر تحت حكم الشابين.

11 - ثلاث ثمرات جريب فروت في العالم

لنعرف ولنحكى، لن تغيب الأكاذيب.

هذه حكاية أمير كان يرغب في الزواج، لكنه لم يعثر على المرأة التي ترضيه لا في مملكته ولا في الممالك المجاورة.

حينئذ امتطى حصانه، وعاد إلى عاصمة المملكة، بروح ممزقة وغارقاً في أفكاره، فقابل في طريقه امرأة عجوزة قطعت عليه الطريق وطلبت صدقة. فمنحها الأمير عملة ذهبية وكان يستعد لمواصلة رحلته بدون الإنصات لشكر المتسولة، لكنه وقف وسمع ما تقوله العجوزة:

أنا أعرف سر حزن أميرى وهمه، وبوسعى أن أعيد إليه سعاته وبهجته، لأنى أعرف دواء سوته.

هيا يا عجوزة يا طيبة، قولى لى سبب حزنى!

الأمير حزين لأنه لم يعثر على المرأة التي ترضيه كزوجة.

هذه هي الحقيقة. وكيف يمكن أن أتحرر من هذا الحزن الذي يسكننى؟

اذهب وابحث عن ثلاث ثمرات جريب فروت في العالم.

حين أنهت العجوزة كلماتها، اتخذ الحصان السرعة طريقاً له، إلى حد أن الفارس، رغم كل جهد مبذول، لم يستطع كبحه، فسار وابتعد من قبل أن يشبع الأمير رغبته في الحديث مع السيدة المتسولة، ولا أن يعرف أين ومتى يمكن أن يعثر على ثمرات الجريب فروت الثلاثة.

وبعد فترة طويلة، وجد الحصان نفسه مع فارسه عند مدخل المدينة، والحصان الذي أوقف الطريق كان يسير بخطى معتدلة.

نام الأمير بقلق، وكان يصحو كل دقيقة وهو يفكر في ثمرات الجريب فروت الثلاثة. وفي اليوم التالي، لم تبتعد هذه الفكرة عن خياله؛ كان يبدو أنها التصقت برأسه.

سيصيبك الجنون جرّاء ذلك، قال لنفسه، لا بد أن أخرج للبحث عن الثلاث ثمرات في أسرع وقت.

وأمر أن يجهزوا له ما يحتاج إليه من أجل هذه الرحلة.

وسار لأيام طويلة إلى المغامرة، واتبع خطوات الحصان وهواه، عبر حقولاً وجبالاً، سهولاً وتلالاً، ولم يعطه أحد أي خبر عما

يبحث عنه، حتى عندما أوشك على نفاذ النقود والزاد، في النهاية، صادف امرأة عجوزة وطلبت منه صدقة.

تفضلني يا سيدة، هذا كل ما تبقى معي، لكن قولي لي قبل ذلك أين يمكن أن أعرثر على ثمرات الجريب فروت الثلاثة.

الثلاث ثمرات، يا سيدي، معلقة بشجرة جريب فروت في وسط هذه الغابة.

جزيل الشكر، يا سيدتي الطيبة.

وسلم الأمير النقود المتبقية معه للسيدة.

وبعد دقائق معدودة كان في حوزته الثمرات الثلاثة، فشرع بالسرور يقتحم كل كيانه.

ولأنه فكّر أن الحصان سيعود من نفس الطريق الذي جاء منه، أطلق اللجام، وشرّد مع سعادته بامتلاك الثمرات، فلم ينتبه ماذا يعبر، والله يعلم كم ساعة ظل على تلك الحال، إلى حد أنه وجد نفسه في صحراء رحبة، لا نهاية لها على مدى البصر. حينئذ بدأ يشعر بالعطش، لكنه لم يكن يلمح ماءً بأي ركن. وكان القیظ والعطش يتزايد، وكيف يمكن أن يروي عطشه؟ ربما بأكل ثمرة

حكايات واساطير لاتينية |

حريب فروت، لكنه لم يعان كل ما عاناه ليأكل في النهاية واحدة منها، إنه يريد أن يصل بها كاملةً إلى قصره.

واصل طريقه، والعطش واصل ضغطه، واصل ضغطه إلى حد أنه، رغمًا عنه، قَسَمَ ثمرة. لكن الثمرة التي قسمها خرجت منها أميرة. يا إلهي! يا لها من أميرة! لم يكن قد رأى مثلها في الجمال من قبل... هذه يمكن أن تكون زوجته! وتناسى عطشه، واستعد ليعلن للجميلة عن صباوته، لكنها قالت له، بدون أن تسمح له بمواصلة حديثه:

يا أمير، أنا عطشى، اعطني قليلًا من الماء.

يا جميلة، أجب الأمير، من أين آتي بالماء إن لم يكن هناك ماء في أي مكان؟

عدني إذن إلى ثمرة الجريب فروت، قالت هي.

وعادت إلى ثمرة الجريب فروت التي أغلقت نفسها ما إن دخلت الأميرة، ثم قفزت من يد الأمير وظلت تتدحرج حتى اختفت عن الأنظار.

على بعد محدود كان ثمة جدول، ومن هناك شرب الأمير

وحصانه. والأمير كان يشد شعره بيديه ويقول:

لماذا لم أنتظر للحظة قبل أن أقسم الثمرة؟ حينها كنت أنا والأميرة سنشرب ونطفى ظمأنا. لكنني لو كنت عثرت على الجدول قبل ذلك، هل كنت سأحتاج إلى فلق الثمرة نصفين؟ بالطبع لا، وفي هذه الحالة ما كنت لأعرف بوجود الأميرة. سأرضى، وما من طريق آخر، بالثمرتين المتبقيتين، ونواصل طريقنا.

وسار يوماً ويوماً آخر، بدون أن يتجاوز الصحراء، ومن جديد بدأ يقتحمه الظمأ. وواصل السير البطيء مع حصانه بحثاً عن جدول آخر، لكنه لم يجد شيئاً، وكان الظمأ في تزايد.

وكان يفكر «لو قسمت الثمرة الثانية، قد تخرج أميرة أخرى أجمل من الأولى، لكن لو طلبت مني ماءً، أي ماء يمكن أن أعطيها إن كنت في مكان بلا ماء؟ وسأفقد الأميرة والثمرتين وأظل مع عطشي. وإن لم يكن بداخل الثمرة، مثل الثمرة الأولى، أميرة مسحورة، هل أستطيع أن أطفى عطشي؟» هيا إلى العمل، قال وقسم الثمرة الثانية، وفي الحال خرجت منها أميرة ثانية، ولو كانت الأولى جميلة، فماذا يمكن أن نقول عن جمال الثانية! وبدون أن تمنحه الوقت ليتكلم، قالت:

يا أمير، اعطني قليلاً من الماء، فأنا ظمّانة.

يا أميرة، من أين أحصل لك على ماء إن لم يكن هناك ولا نقطة ماء واحدة هنا؟

إذن سأعود إلى ثمرتي.

وفي الحال دخلت ثمرتها التي انغلقت سريعاً، وقفزت من يد الأمير، وراحت تتدحرج وتتدحرج حتى غابت عن الأنظار.

يا إلهي، فكّر الأمير، لحسن الطالع أن واحدة أخرى لا تزال معي، ما يعني أن معي أميرة أخرى. لن أتخلى عن هذه أبداً، حتى لو مت من العطش. هيا نواصل السير، وليحدث ما يريد الله.

شد لجام الحصان، فانطلق في طريقه. وبعد لحظات وصل إلى جدول، فأشبع الفارس والحصان ظمأهما وواصل طريقهما طوال المساء والليل على ضفة بحيرة كان يعرفها جيداً لأنها بالقرب من المدينة. هناك ترجّل من الحصان، وجلس على جذع شجرة كان ممتدداً بالقرب من الماء، وقرر ما يخص الثمرة الثالثة. ما إن فتحها، حتى خرجت منها الأميرة الثالثة. لو كانت الأولتان جميلتين، فالثالثة تفوقهما بكل معنى الكلمة: ما من وجه للمقارنة بينها وبين الآخرين. والأمير بقي مدهوشاً، يتأملها، بدون أن يستطيع التفوه

بكلمة واحدة. كانت عاطفته شديدة، فقالت له:

يا أمير، اعطني قليلاً من الماء، فأنا ميتة من الظمأ.

والأمير ينحني إلى النهر ويفتح طريقاً للماء بين راحتي يديه، ويقدم الماء للأميرة التي شربت بلهفة. وفي الحال تتدحرج ثمرة الجريب فروت على الأرض حتى تصل إلى الماء وتروح مع تباره. يا أمير، تقول الأميرة، هذا الماء الذي شربته فك سحري، ومنذ هذه اللحظة أنا لك.

شعر الأمير بأنه أسعد رجل في العالم؛ لقد عثر في النهاية على المرأة التي ترضيه لتكون زوجته. فترجاها أن تنتظره فوق شجرة الصفصاف القريبة، بينما يذهب بحثاً عن عربات الملك، حتى يدخل المدينة بما يليق برفيقة حياته، وودّعها بقبلة وامتطى حصانه طوال الطريق.

وبعد قليل، كانت هناك عبدة تسير لتحمل ماءً لبيتها، فوصلت إلى البحيرة لتملاً دورقها. وعندما مالت، رأت في صفحة الماء وجهاً شديداً الجمال، ولأنها لم تنظر لنفسها قط في المرأة ولا تعرفه، اعتقدت أنه وجهها، فقالت:

يا إلهي! يا لي من امرأة جميلة، لكنني مكلفة بالماء!

فكسرت الدورق وعادت إلى بيتها. وهناك فكرت أنها مهما كانت جميلة، فهي تحتاج إلى الماء من أجل الطعام وغسيل الملابس، فحملت دورقًا آخر وعادت إلى البحيرة. لكن الأميرة كانت لا تزال هناك، ووجهها معكوسًا في صفحة الماء، فقالت العبدة، معتقدة أنه وجهها:

يا إلهي! يا لي من امرأة جميلة، لكنني مكلفة بالماء!

وكسرت الدورق مرةً أخرى. لكنها في البيت، فكرت في الفكرة السابقة، وعادت بدورقٍ آخر. مع ذلك، حين تأمل الوجه المعكوس في ماء البحيرة، لم تستطع أن تكبح غضبها، وكسرت الدورق الثالث، وفي نفس الوقت قالت:

يا إلهي! يا لي من امرأة جميلة، لكنني مكلفة بالماء.

حين رأت الأميرة إيماءات العبدة وغضبها، لم تتمالك نفسها فضحكت، فرأت العبدة وجهها معكوسًا في الماء ضاحكًا، رغم أنها غاضبة، حينئذٍ فكرت أنه لا يمكن أن يكون وجهها، فنظرت إلى أعلى، واكتشفت الأميرة التي كانت تقهقه. وحينئذٍ تسلقت شجرة الصفصافة وقالت للأميرة:

كم أنت جميلة يا آنسة، مؤسف أن يسير القمل برأسك. هل تريد أن أفليك؟

وتصنعت أنها تغليها، وطرقت أظافرها لتقنعها أنها تقتل الأمل. لكنها، فجأة، طعتها بدبوس في رأسها، وفي الحال تحولت الأميرة إلى طائر، وشرعت في الطيران، تاركة ثيابها بين فروع الصفصافة. وفي الحال تجردت العبدة من ثيابها، ألقت به في النهر، وكست نفسها بثياب الأميرة، واحتلت مكانها فوق الشجرة.

في اليوم التالي فقط عاد الأمير، وعندما رأى العبدة سألتها ماذا فعلت في الأميرة، فأجابته العبدة:

أنا الأميرة، ومن رطوبة البحيرة وبرودة الليل، أصبحت هكذا، لكن ذلك سوف يمر.

اعتقد الأمير أنها صادقة، بل وفكر أنها لم تنته بعد وكلية من السحر وأن الأشياء لا بد ستغير بعد ذلك، فاصطحبها معه في العربة، وبرغم اعتراض أبويه، إذ كانا لا يرغبان في زوجة ابن فظيعة، ولا كانا يستجبان لرجائه بأن السحر سينفك في النهاية، تزوج بها. لم يكن الأمير سعيدًا، وأكثر من مرة ضبطوه بيكي.

وبعد أيام من العرس، وبينما كان البستاني يسقي الحديقة، في الثانية عشرة مساءً، رأى طائرًا يقف على غصن شجرة أمامه، وبعد أن بكى الطائر للحظات، شرع في محادثة البستاني.

أيها البستاني الذي تسقي الزرع في غير مواعده، ماذا يفعل الأمير مع عبده السوداء؟

أحيانًا يغني، وأحيانًا يبكي.

يا للحزن، وأنا وحيدة!

ثم راحت لتطير.

وفي اليوم التالي، في الثانية عشرة أيضًا، عاد الطائر، وارتاح في نفس الغصن، وبكى للحظة، وكرر نفس الحوار مع البستاني.

أيها البستاني الذي تسقي الزرع في غير مواعده، ماذا يفعل الأمير مع العبدة السوداء؟

أحيانًا يغني، وأحيانًا يبكي.

يا للحزن، وأنا وحيدة!

ثم راحت لتطير.

حكى البستاني للأمير ما جرى، والأمير نصحه بأن يضع قطعة قماش في نفس الغصن حيث يقف الطائر، وأضاف أنه في الثانية عشرة سيختبئ خلف الشجرة.

وجاء اليوم التالي، ودقت الثانية عشرة، ووصل الطائر محلّقًا، ووقف على الغصن المعتاد، وبعد أن بكى، شرع في محادثة البستاني بنفس الحوار المتكرر من أيام.

أيها البستاني الذي يسقي الزرع في غير مواعده، ماذا يفعل الأمير مع عبده السوداء؟

أحيانًا يغني، وأحيانًا يبكي.

يا للحنن، وأنا وحيدة في الحقول!

وحين أراد أن يحلق، لم يستطع فعل ذلك، لأن قدميه كانتا ملصقتين بالغصن.

تسلق البستاني الشجرة ويكثير من الحيلة، حتى لا يؤذي الطائر، فكه من اللاصق، وسلمه للأمير. كان الطائر ينظر بحب إلى الأمير، وكان يهمهم بكلمات حزينة، بينما الأمير يربت عليه.

ولأنها كانت ساعة الغداء، دخل الأمير غرفة الطعام بالطائر،

حكايات واساطير لاتينية |

وكانوا كلهم مجتمعين على المائدة. الملك والملكة وبقية أفراد العائلة الملكية رأوا طائرًا جميلًا، وقالوا «فليحفظه الله» ألف مرة، العبدة وحدها من طلبت قتله، وأكله مشويًا، لأنها تشعر بشوق لأكله. لكن لا أحد التفت إلى طلبها، وتركوا الطائر يتجول براحته على المائدة، يأكل الفتات الذي يعطونه له. وفي إحدى جولاته اقترب من الأمير، ودخل تحت يده. وبدأ الأمير في الربت على ظهره، مع ذلك ألحت العبدة في اعتراضها، وظلت تطلب أن يشوه لها، وحين مرر الأمير يده على رأس الطائر، شعر بشيء صلب وقال:

ما هذا، ما هذا الذي في ظهر الطائر؟ يبدو أنه دبوس.

سمعت العبدة ذلك وأغشى عليها، لكن أحدًا لم يهتم بها. شد الأمير الشيء الصلب ووجده دبوسًا. وفي الحال تحول الطائر إلى الأميرة التي طلعت له من ثمرة الجريب فروت الثالثة، ولأنها كانت عارية، غطتها الملكة بمفرش المائدة في الحال.

وقال الأمير:

هذه هي الأميرة التي أحضرتها لاتزوج بها، والوحيدة التي ستكون زوجتي، ولا أعرف لماذا تحولت إلى طائر.

والأميرة حكمت، حيثئذ، مغامرتها مع العبدة، والملك، مستاءة

من شر المرأة الشريرة، أمر بربطها بقوة في رجلي مهرتين سريعتين، ساقاً في كل مهرة، وأن تركض المهرتان بعنف كل منهما عكس الأخرى. وفعلوا ذلك كما أمر.

وتزوج الأمير والأميرة، وأقاما الحفلات والليالي الملاح، وعاشا سعيدين.

وانتهت الحكاية وحملها الريح إلى أعماق الجبال.

12 - نصف الدب

هذا ملك كان لديه ابنة شديدة الجمال، وتزوجت حديثًا بأmir. الملك كان يحبها للغاية، ولأنه لم يكن ورثة آخرون، كانت هي من سيرث عرشه.

خرج الملك ذات يوم مع ابته وزوجها وبعض رجال القصر وسيداته ليتجولوا على ظهر حصان حول عاصمة المملكة، وتوجهوا إلى هضبة يمكنهم من خلالها مشاهدة المملكة الثمينة من أعلى.

وفي أفضل مكان في المتزه، اضطرت الأميرة للابتعاد قليلاً عن مكان أبيها ورفقته، ودخلت بين صخور لا تقع بعيداً جداً. وعندما كانت في طريقها إلى الجمع، قدمت لهم، فجأة، دباً ضخماً، وما إن رفعت ريشة واحدة من بين رجليه الأماميين، حتى حملتها إلى مغارة كانت متوارية بين صخور كبيرة، وهناك حبستها، وسدت المدخل بحجر كبير، إلى حد أن أحداً لم يكن بوسعهم أن يرتاب في وجود مغارة في هذا المكان.

هؤلاء الذين كانوا فوق الهضبة لم يكن بوسعهم أن يفكروا في

سبب تأخر الأميرة، حتى أن الملك، المترع بالقلق والمرتعب من أن تكون قد أصابتها كارثة، أمر الجميع بالهبوط للبحث عنها. وهذا ما فعلوه، لكن بلا جدوى، إذ كان مستحيلًا الوصول إليها.

عاد المتزهون إلى المدينة في حزن شديد، والملك، حين بلغ قصره باكيًا، حكى للملكة كل ما جرى.

وانتشر الخبر في البلد بأسره، وشعر الجميع بالحزن، إذ كانت الأميرة محبوبة من الجميع ومقدرة لجمالها وطيبها.

وبينما يحدث ذلك في أرض المملكة، كانت الأميرة تعاني في مغارة الدب بشكل فظيع. لقد وجدت نفسها وقد انتقلت فجأة من وسط الحياة المنعمة وحنان ذوبها إلى قتامة المغارة، مجردة من كل نعمة، بلا شيء إلا مرافقة دب، وبلا غذاء إلا الفاكهة والجذور التي يقدمها لها. كانت حياة يرثى لها.

الحياة التعيسة التي تعيشها ردتها من طباع ناعمة ورقيقة إلى جافة وفضة، فتحجر قلبها وأغلق على نفسها كل مشاعر كريمة.

والانطباع السيئ الذي تركه الدب في روحها، حبسها في مغارة، رؤيته المستمرة، أثروا في طريقة تفكيرها، ثم حدث أن أنجبت طفلًا بعد فترة، وكان الولد كائنًا غريبًا، نصف إنسان ونصف دب،

، سريعًا ما كبر .

حين أتم نصف الدب خمسة عشر عامًا، قالت له الأميرة:

يا بني، أنا أكره الدب العجوز من كل قلبي، أعيش بجواره منذ ستة عشر عامًا في عذاب مقيم، وأنت عليك أن تنتقم لأمك التي عانت كثيرًا. هل تحب أن نقتله؟

ونصف الدب، وكان يكره الدب العجوز أيضًا، إذ كانت أمه . بيه على كرهه منذ نعومة أظافره، وافق على اقتراح الأميرة، واتفقا على أنه حين يصل الدب ويدخل، يكون نصف الدب مختبئًا بجوار مدخل المغارة، وحينئذ يلقي عليه حجرًا كبيرًا يسد المدخل كباب. وهذا ما فعله نصف الدب، وأصاب، وهكذا صار الدب العجوز مثل البطاطس المهروسة.

وفي الحال هجرا المغارة، وعبرا الغابات والصحراء، وسارا لأيام طويلة في التلال، حتى دخلا في النهاية إلى قصر كبير وهناك لم يجدا أحدًا.

وفي وسط الليل، جاء رجل وقال لهما إنه صاحب القصر، حينئذ حكّت له الأميرة قصتها، فأشفق عليها الرجل ودعاها للبقاء هناك

طوال الوقت الذي تريده. فقبلا الدعوة، وتلقيا العناية والخدمة الكبيرة.

والأميرة، برغم الحرمان الذي عاشته والمعاناة التي شاهدها، كانت لا تزال جميلة كما كانت. والرجل، الذي كان، كما يبدو حقيقةً، رئيس عصابة من قطاع الطرق قادمة من أرض القتلة، وقع في غرامها، وطلب منها أن تقبل الزواج به. وهي وافقت، لأنها بذلك ستواصل البقاء في القصر وستكون صاحبة لكل الثراء الذي بداخله.

وبعد مرور فترة من الزمن، قال الفارس - هكذا سنسميه للأميرة:

هناك شيء واحد ينغص علينا سعادتنا، ابنك، نصف الدب. لماذا لا نقتله؟

طيب، فليخف، أجابت الأميرة. لكن لا أنا ولا أنت ستقتله، تذكر أنه ابني.

لن نقتله لا أنا ولا أنت، أكد الزوج، لكنه سيموت. غداً تصنعين أنك مريضة وستقولين لنصف الدب إن الحكيم قد وصف لك شرب ماء الينبوع السري الذي ينبت من الجبل ويقع على أطراف

حكايات وأساطير لاتينية |

بلدي، أرض القتلة، ستعطينه هذه الزجاجة وتطليين منه أن يعيدها ممثلة.

وآذعت الأميرة المرض، ونادت لنصف الدب وقالت له:

أنا مريضة يا بني، والطبيب قال لي إن شفائي في ماء ينبوع السري في المكان الفلاني؛ لكنهم يؤكدون أنه مكان خطير جدًا ومن الصعب أن يعود منه من راح إليه.

ونصف الدب أجابها بأنه لا يخاف من أحد وأنه سيبحث عن الماء السري لأنه يريد لها الشفاء.

حينئذ أعطاه زوج أمه حمارًا مريضًا وأعرج، كان يسير بالكاد، فسار يمتطيه ونصحه بأن يعود سريعًا جدًا. امتطى نصف الدب الحمار وراح يملؤه السعادة.

سار أيامًا طويلة، وعند مروره من أمام قصر بديع، وهو قصر الملك الحكيم الذي كان واقفًا على الباب حينها، ناداه وسأله إلى أين يذهب، ونصف الدب أجابه بأن أمه مريضة وأنها بعثته ليبحث عن الماء السري الذي ينبت من جبل يقع على أطراف هذا البلد وهو أرض القتلة، وأنه شفاؤها. فقال له الملك:

حقًا فإن هذا الماء موجود، لكنهم لا يرسلونك إلى هناك لأن أمك مريضة، إنما لأن أباك يريد أن يقتلك، ولذلك أعطاك حمازًا مريضًا وأعرج، ويسير بالكاد.

حينئذ نادى الملك رئيس الحرس وأمره أن يحضر له أعظم حصان وأسرعها من الاصطبل؛ وبعد قليل أحضر له خادمه حصانًا قويًا.

قال الملك لنصف الدب:

امتطِ هذا الحصان، وسيحملك إلى أرض القتلة، وحين تدخل ذلك البلد، شد لجامه حتى يندفع ويركض بأقصى سرعة ممكنة، وستعبر بكل سرعة من طريق واحد. نفس الشيء تفعله في طريق العودة. لو لم تعبر البلد بأقصى سرعة، سيلحق بك القتلة ويقتلونك بعد أن يمرروك على أقسى أنواع العذاب.

امتطى نصف الدب الحصان، وحين بلغ أرض القتلة، شد اللجام ناحيته، ولأن الحصان فهم وجود خطر على فارسه، ركض بسرعة. لقد رأى القتلة نصف الدب بالكاد، لمحوه وأطلقوا عليه الحجارة، لكن بلا جدوى، لأن الحصان كان يركض مثل الرمح فلم يجدوا أمامهم مفرًا إلا تركه يمر.

وسريعًا ما وصل نصف الدب إلى الحافة التي فيها الماء السري، فملا الزجاجاة وعاد من نفس الطريق، وعبر مرة أخرى من أرض القتلة، وحاولوا من جديد إيقافه، لكنهم عجزوا عن اللحاق به.

وبعد عدة ساعات وصل إلى بيت الملك الحكيم، فأمر خادمه أن يصحب الحصان إلى الداخل ويحضر الحمار. وراح نصف الدب ليستریح فراح في النوم العميق. وبينما كان يشخر، غير له الملك الماء من ماء الفضيلة إلى ماء الصنبور.

وعندما استيقظ نصف الدب، ودّع الملك بعد أن شكره على خدماته، وامطى حماره المريض والأعرج، وواصل في طريقه.

اندهش زوج الأم بشدة عندما رأى نصف الدب عائداً سالمًا، غانمًا، إذ كان يتوقع أن يقتله أهل بلده لأنهم لا يدعون غريبًا يمر، بالإضافة لذلك، لقد راح بحمار أعرج، فلا يمكن أن يركض.

في الليل قال القاتل لزوجته:

غداً لا تستيقظي واقنعي ابنك أنك لا تزالين مريضة، قولي له إن الطيب أكد أنك لن تشفي ما لم تأكلي قلب الملك الذي يحكم البلد الأقرب للتلال التي تفتح وتغلق.

في اليوم التالي أصبحت الأميرة تشكو بحزن عميق، وحين سألها نصف الدب ماذا بها، أجابته بأن الماء السري قد دهور حالها، وأنها قضت ليلة سيئة، وأنها تشعر بمرض أكبر، وأن الطبيب قال لها إنها لن تشفى ما لم تأكل قلب الملك الذي يحكم البلد ذا التلال التي تفتح وتغلق، لكن ما من أحد يستطيع العبور إلى هذا البلد. سأروح أنا يا أمي إلى نفس الجحيم لو كان ضروريًا، وبالتالي ستحسن صحتك.

فامتطى نصف الدب نفس الحمار المريض والأعرج الذي رافقه في الرحلة السابقة، ووصل إلى قصر الملك الحكيم. إلى أين تذهب يا بني؟ سأله الملك.

أذهب يا سيدي لأجلب قلب الملك الذي يحكم بلدًا بعيدًا فيه تفتح التلال وتغلق، حتى تشفى أمي.

حسنًا أن تذهب يا بني، وأن تحضر قلب هذا الملك، لكن ذلك ليس ما يريد زوج أمك ولا أمك، إنما يريدان قتلك، ولتحقيق مآربهما أعطياك هذا الحمار الأعرج الذي يسير بالكاد. بالإضافة لذلك، فأمك ليست مريضة ولا شيء، لكن حسنًا أن تذهب.

وامر الملك أن يحملوا الحمار إلى الاصطبل ويحضروا نفس الحصان الذي استخدمه من قبل نصف الدب في رحلته السابقة بحثًا عن الماء العجيب، وقال لنصف الدب:

ستضطر للعودة لعبور أرض القتلة، وتعبرها بكل سرعة مثل المرة الفائتة؛ تواصل في نفس طريقك، وبعد أيام من المسيرة، ستصل إلى التلال التي تفتح وتغلق، ومن جديد تشد لجام الحصان. حيث تعبر مثل سهم من الممر المفتوح بين التلال، في نفس لحظة فتحها؛ حاول ألا تغلق عليك، لأنها لو أغلقت ستجعلك أنت والحصان بطاطس مهروسة. وبمجرد أن تعبر إلى الجانب الآخر، ابحث عن الملك، واستفزه ليعاركك. هو رجل قوي وشجاع وسينتصر عليك بالتأكيد، إلا لو دافعت عن نفسك بهذا السيف الذي أعطيه لك، فحاول أن تطعنه به في رقبته. حين يلمس السيف هذا الجزء في جسده، سيسقط أرضًا، حينئذ استخرج قلبه بنفس السيف. في طريق العودة خذ نفس حيطتك. انظر إلى زهرة البنفسج بهذه المزهريّة: بينما تبقى طازجة اعرف أنك بخير، لكن إن ذبلت ستكون علامة على أنك في خطر. وأنا سأتابعها كل دقيقة لأعرف كيف حالك وإن كنت تحتاج إلى مساعدتي. لا تنس نصيحتي: اضرب الملك بالسيف في رقبته. ومع السلامة حتى نلتقي.

وانطلق نصف الدب وهو سعيد جدًا، وعندما عبر بلد القتلة، طاردوه بالرجم، لكن الحجارة لم تكن تبلغه. وواصل مسيرته، وعندما وصل بالقرب من التلال شد لجام الحصان، فعبّر سريعًا من الممر الضيق عند فتح التلال، غير أن التل أغلق قبل أن يمر الحصان كاملاً، فأكل ذيله من جذره.

وبعد أن تجاوز كل هذه المخاطر، وصل سعيدًا أمام قصر الملك، وبدون حتى أن يترجل من الحصان، تحدى الملك في معركة واحدة. خرج الملك على حصان آخر وقال إنه يقبل التحدي، ولو بدا له يمكن أن يبدأ المبارزة في الحال.

ورغم تعب السفر، وافق نصف الدب، وتواجه كل منهما، وبدأت المبارزة.

والملك، كما أخبره الملك الحامي له، كان قويًا وشجاعًا، واستطاع أن يوقف الطفل المسكين؛ لكن الطفل تذكر السيف في الوقت المناسب، وبشكل مفاجئ هاجم خصمه. الملك أيضًا استل سيفه، وكرجل معتاد التحكم في هذا السيف، كان يتحرك ببراعة، لكن نصف الدب لم يكن سيئًا. كان ملفتًا كيف يقفز كلما التقى السيفان، وكيف يضغط بسيفه على خصمه. لقد تعاركا مدة ساعتين

بدون أن يجرح أحدهما الآخر، وكان يبدو أن المباراة ستستمر إلى ما لا نهاية عندما انزلق الملك من حصانه فاضطر للقبض على اللجام بيديه الاثنتين، ما سمح لنصف الدب أن يسدد ضربة في رقبته.

وفي الحال سقط الملك على الأرض كجريح من سهم، فترجل نصف الدب وبنفس السيف شق صدره وانتزع قلبه، ولفه في منديل من الحرير واحتفظ به بحيطة. وفي الحال امتطى حصانه وشد اللجام وعبر التلال المفتوحة بدون توقف وعبر أرض القتلة كذلك، فلم تغلق عليه التلال ولا أوقفته الحجارة ولا طاله القتلة، وعبر طريق واحد وصل حتى قصر الملك الحكيم.

وأثناء نوم نصف الدب للحظة، استبدل الملك القلب الذي حصل عليه نصف الدب في المعركة بقلب خروف كان قتله في الحال.

عندما استيقظ، ودّع حاميه، وبعد أن شكره لخدماته، امتطى حماره وواصل مسيرته حتى بلغ بيت أمه، وسلمها القلب.

والقاتل، حين رآه قد وصل، بقي مدهوشاً: لم يصدق أبداً أن نصف الدب خرج من المعركة بدون جرح رغم المخاطر العظيمة.

كان الكره الذي يحمله القاتل لنصف الدب يتزايد كل لحظة، وكان لا يحتمل حتى نظرة منه، فقرر أن يقتله بنفسه واتفق مع الأمير على ذلك. وهذا ما فعله ذات ليلة، بينما كان الطفل نائمًا. ثم قطع جسده إلى أجزاء كبيرة، ووضعها في شوال وعلقه في رقبة الحمام. وخرج الحيوان إلى الشارع ضربًا، وواصل طريقه الذي سار فيه مرتين مع نصف الدب ووصل إلى قصر الملك الحكيم ودخل فناء القصر. وشعر الملك بأن رائحة سيئة في الأمر، فأمر بفتح الشوال ووضعها على منضدة.

عندما فتحه ورأى محتواه، امتلأت عيناه بالدموع، فنادى لرئيس الحراس وأمره بتجهيز خمسة وعشرين رجلًا واقتحام بيت القاتل والأميرة وقتلهما. وفي الحال، قبض على أجزاء الطفل المسكين، وركبها فوق المنضدة، ووضع مكان قلبه قلب الملك الذي قتله نصف الدب من قبل، وحمّاه بالماء الذي أحضره في رحلته الأولى، ونفخ في فم الميت، فتنفس وعاد إلى الحياة.

نهض نصف الدب وقد تحوّل إلى شاب شديد الجمال، وبعد أن دعك عينيه كمن استيقظ في النوم، قال:

يا له من حلم طويل وثقيل! كنت أحلم بأن أمي وزوجها قد

ونلاني وأنها ألقيا بي في الحقل لتأكلني الكلاب.

فقال الملك:

لن تعود مرة أخرى إلى بيت أمك، لأنه بيت ملعون وهناك لا
ينتظر إلا الكوارث. ابق معي، وتزوج ابنتي وبعد رحيلي ستحكم
هذا البلد.

ولم يعرف نصف الدب قط ما أصابه من أمه وزوجها. وظل
بجانب الملك الحكيم، وتزوج ابنته الجميلة والفاضلة، وعاشا معًا
سعيدين طوال حياتيهما.

13 - عروسة من الصلصال

نعرف لنحكي ونحكي لتتعلم.

هذه حكاية سيدة عجوزة كانت تعيش في بيت في الحقل مع حفيدتها الصغيرة، طفلة جميلة في الثامنة كانت تسمى ماريا. كانتا فقيرتين وأحياناً لا يجدان زاد يومهما.

كانت، لتتعلم، تضطر إلى الذهاب إلى مدرسة بقرية قريبة، وحتى لا تعود من أجل الغداء، كانت الجدة تمنحها قليلاً من الطعام، وكانت تضعه في سلتها الصغيرة.

وذات يوم، بلغ الفقر مداه في بيت الحقل، ولم تستطع الجدة أن توفر لحفيدتها إلا كسرات خبز قليلة، وفي ذلك اليوم بالتحديد، بينما كانت في طريقها إلى المدرسة، طلعت للطفلة سيدة عجوزة وقالت لها إنها منذ يومين لم تأكل شيئاً وترجتها أن تعطيها شيئاً من غدائها. وماريا، التي كانت بقلب أبيض، تعاطفت مع الفقيرة المتسولة، وبدت لها ميتة من الجوع، فأعطتها سلتها:

لا أحمل إلا كسرات خبز للغداء في المدرسة، خذها، حتى لو

بقيت اليوم بدون أكل.

والمسكينة تلقت منها كسرات الخبز، وأخرجت من تحت غطائها عروسة من الصلصال، بفستان أنيق، وأعطتها لها وقالت:

خذني هذه العروسة واعتنِ بها لأنها ستكون طالعك. وحين تعودين إلى بيتك، احكِ لجدتك ما جرى لك، وقولي لها أن تجهز لك سريرًا نظيفًا وتُيمي العروسة بجوارك. وفي الساعة المعتادة نامي بجوارها، وعندما تدق الثانية عشرة قولي لجدتك: «يا جدة، أنا أشعر بالخوف، هل يمكن أن أنام في سريرك؟» وستجيبك جدتك بالموافقة. حينئذ اتركي سريرك، لكن قبل ذلك دَفّئي العروسة جيدًا. وبعد برهة ستسمعان العروسة تقول: «يا ماريا، أريد أن أدخل الحمام!»، وستسمعان ضجيجًا كأن العروسة تتغوط. ثم ستنهضين لتظليلن على ما فعلته العروسة، وتخبرين جدتك.»

قالت الجدة ذلك وانصرفت.

وفي المساء، وصلت ماريا إلى بيتها، وحكت لجدتها عن لقائها مع المتسولة وأطلعته على الهدية التي تلقتها منها. انظري يا جدة، إنها من الصلصال ورقيقة جدًا.

كانت ماريا مسرورة للغاية بعروستها ولم تعرف كيف تضعها:
هل تجلسها أم تنيمها أم تمشيها وهي تمسك يدها، أم تهددها بين
ذراعيها وتغني لها أغاني الأطفال؛ هيا، لن تتركها في سلام دقيقة
واحدة.

وبالليل، كانت ماريا تغيّر الملاءات بأخرى نظيفة، وكذلك
بأكياس المخدات، ونامت بجوار عروستها. وهرب منها النعاس
ولم تستطع النوم، هكذا حين أصغت لساعة كنيسة القرية تشير
للسانية عشرة أيقظت جدتها وقالت لها:

با جدة، أشعر بالخوف! هل يمكن أن أنام في سريرك؟

تعالى يا بنتى، أجابتها الجدة واضطجعت الطفلة في السرير
الآخر بعد أن غطت عروستها.

بعد برهة سمعا العروسة تقول:

يا ماريا، أريد الحمام! يا ماريا، أريد أن أتغوط! يا ماريا، لا
أحتمل!

وفي الحال تطرق إلى سمعهما صخب شكاوى العروسة.
فصرخت الجدة:

حكايات وأساطير لاتينية |

ألا ترين؟ من أجل ذلك غيرتي ملاءة السرير، من أجل أن
تلتخطها عروستك بغوطها!

ونهضت ماريا بدون أن تنبس بكلمة، لأنها رأت في كلام جدتها
حقًا؛ لكنها حين عرّت عروستها وأصبحت العروسة عارية تمامًا،
رأت ماريا السرير مكسواً بعملات ذهبية جديدة، وكان ممتعاً أن
تراها وهي تلمع.

يا جدة، يا جدة! انهض لترى الثروة التي منحتها لنا العروسة. يا
إلهي! نقود كثيرة!

نهضت السيدة العجوز، ونظرت إلى النقود، ونظرت مرة
أخرى، شمتهما إذ ربما البصر يخدعها، ألقتها إلى الأرض لتسمع
رنينها، واضطرت لتجرب ذلك وتستسلم للحقيقة: إنها عملات،
عملات حقيقية! بكت الجدة من السعادة، وممتنةً لهبات السماء
ركعت مع حفيدتها لتشكر الله، ولتصلي أمام صورة العذراء كارمن،
التي كانت راعيتها.

كررت العروسة نفس المناداة ثلاث مرات بالليل، وفي اليوم
التالي أصبحوا يملكون كمية هائلة من النقود الذهبية التي ملؤوا بها
عدة أشولة وخبأوها بأفضل طريقة ممكنة.

ثم مر زمن، وكبرت الطفلة، طيبة وجميلة، وكانت تواصل المرواح إلى المدرسة لكنها باتت ترتدي ملابس أنيقة؛ لم تعد تحمل معها الخبز الجاف، كما كانت تفعل، إنما الزبدة وحلوى من السفرجل، وبكميات كبيرة، لتشارك زميلاتها الفقيرات معها في الغداء، فأمهاتهن لم يكن يملكن ما يعطينه لهن.

بدأ أهل القرية يلتفتون لما جرى للجددة وحفيدتها، ولم ينقصهن حاسدات. كانت تحرضهن عجوز قبيحة وشريرة، أخت جدة ماريا، وكان لديها كذلك حفيذة في سن ماريا تقريبًا، وكان اسمها بيتا. وذات مرة، بينما ماريا كانت في طريقها للمدرسة، قطعت عليها الطريق هذه العجوز الحسود، وسألته من أين جاءت بالعملات لتعيش هذه الرفاهية، والطفلة حكّت لها عن لقاءها بالعجوز المتسولة، التي منحته عروسة من الصلصال منحته كل هذه النقود، وفي النهاية حكّت لها كل شيء، بدون أن تداري أي تفصيلاً. فطلبت منها العجوز أن تعيرها العروسة لبعض الأيام لتصنع عدة فساتين جديدة؛ لكنها كانت تريد الحصول على نقود من العروسة.

وماريا، وهي في طريقها للمدرسة، حملت لها العروسة في اليوم التالي، وحين حل الليل، أنامتها العجوزة بجوار حفيدتها،

حكايات وأساطير لاتينية |

في سرير نظيف، بملاءات جديدة. وفي الثانية عشرة، كما علمتها جدتها، نادى بيتا:

يا جدة، أشعر بالخوف! هل يمكن أن أنام في سريرك؟

تعالى يا بتي، أجابتها الجدة فانتقلت بيتا إلى سرير جدتها، بعد أن لَحفت العروسة.

وبعد برهة تحدثت العروسة:

يا بيتا، أريد الحمام! يا بيتا، خذيني من السرير، وإلا سألطحه.

والعجوز والحفيدة يصمتان، يشعان بالسرور، ويتظران الضجيج الذي تحدثه العروسة لينهضا ويجمعا الذهب. ثم جاء الصخب، صخب قوي جدًا، كأنها تفرغ كتلات أحجار. تقول العجوز:

فلنتظر يا بيتا، برهة أخرى. يارب ترمي العروسة الذهب الكثير على السرير! ولا تعيد الذهب إلى ماريبا.

وحين توقفت العروسة عن الصخب، نهضتا في النهاية، وخلعتا ملاءة السرير، لكن العروسة بالفعل كانت قد لطحَت السرير وتركته في حالة يرثى لها. والعجوز، مشتاطة من الغضب، قبضت على

العروسة وألقت بها من الشباك إلى مكان قريب مهجور، ولم تستطع النوم تلك الليلة من قوة الغضب.

في اليوم التالي، تصنعت العجوزة بأنها قابلت ماريا بالصدفة، وقالت لها:

أرأيتِ عروستك الخنزيرة، لقد لطخت سريري.

اعطيها لي إذن، إن كانت خنزيرة.

أخذها القط ومن يدري أين تركها لأنني لم أجدها بعد ذلك.

بكت ماريا طوال اليوم على فقدان عروستها، لكن بما أنها وجدتتها غير متباهيتين وقليلات الرفاهية، ما كان يدخرانه كان يكفي لراحتيهما.

ومرت سنوات عدة، ربما عشر، لأن ماريا، التي كانت جميلة جدًا، أتمت الثامنة عشرة عندما اختار الملك أن يصطاد من تلك الأراضي، وحين وجد نفسه قد ابتعد عن رفاقه، شعر بالرغبة في قضاء حاجته. وحتى لا يراه أحد، دخل مكانًا مهجورًا، وعندما أنهى، ولأنه بلا مناديل، نظر حوله بحثًا عن شيء لينظف نفسه، وأخيرًا تجفف: رأى قماشة ناعمة ونظيفة بين كومة من الزباله،

نانت جزءاً من فستان عروسة ماريا، لكنه شعر بألم فظيع، كأن القماشة تعضه. كلما نظف نفسه زاد الهرش، وكلما أبعد العروسة عنه التصقت به وتضاعف الألم. فبدأ في الصراخ بكل فمه، لأنه لم يكن يحتمل الألم، وبالصدفة كان يمر من هناك بعض خدمه، فطلب منهم أن يشدوا العروسة عنه، حاولوا أن ينتزعوها، لكن بدون جدوى، فالعروسة ملتصقة به، والملك اضطر أن يعود إلى القصر بالعروسة ملتصقة به. لا الأطباء ولا الجراحون كان بوسعهم انتزاعها، بالعكس، كلما لمسوها، كان ألمه يتزايد. لم يكن أمام الملك إلا محاولة أخيرة: أعلن عن مسابقة في كل البلد، وقدم لمن ينجيه من العروسة إن كان رجلاً شرفاً وثراءً، وإن كانت امرأة أن يتزوج بها.

وجاؤوا من كل حدب وصوب ليحبوا، غير أن أحداً لم يستطع تحرير الملك من اللاصق، حتى جاء يوم، بما أنهم لا يتحدثون عن شيء آخر في البلد، ووصل الخبر إلى ماريا، فقالت لجدها:

أتريدين أن نذهب يا ماما إلى الملك؟ فمن يدري ربما تكون عروستي التي ضيّعتها الخالة هي من التصقت به.

هيا يا بنية، ربما بالفعل تكون هي.

وراحتا إلى القصر، وقالتا سبب مجيئهما، وقادوهما إلى حضرة الملك، فأنزل الملك سرواله، وصاحت ماريًا:

ألا ترين يا جدة أنها عروستي؟ يا عروسة، ماذا تفعلين؟ هيا تعالي هنا.

والعروسة انفكت من حيث كانت، وراحت لذراعي ماريًا، وبدأت تصرخ:

يا ماريًا، يا ماريًا، أريد أن أتغوط. يا ماريًا، لا أحتمل.

وبدأ يسقط من العروسة عملات ذهبية كانت تسر الناظرين.

في الحال شعر الملك بالراحة واستعد في الحال لإقامة حفلات الزواج بماريًا، وكانت جميلة جمالاً يملأ العين. وجاء المطارنة والأساقفة، وأتموا الزيجة، وأقيمت الحفلات الكبيرة والليالي الملاح لكل أهل البلد، وكل نصف ساعة كانوا يلقون حفنات من عملات الذهب التي كانت العروسة تمنحها.

ثم حكّت ماريًا للملك والملكة أن العذراء التي قطعت الطريق عليها لتطلب منها صدقة كانت قد منحتها هذه الهدية بقلب صافٍ. وهنا انتهت الحكاية، وحملها الريح إلى أعماق الجبال.

14- الأطفال المهجورون

هذه حكاية أرمل كان لديه ابنان، طفل وطفلة.

كانت النار تنطفئ على الأرمل في صباح كل يوم، ولكي يعيد إشعالها كان يرسل ابنته لطلب بعض قطع النار من أرملة تعيش أمام بيتهم.

كانت الأرملة تغدق بعطفها على الطفلة: كانت تغليها، كانت تمشط شعرها، وكانت تعطيها كسرات خبز بمربي العنب.

هل تعجبك الشطائر؟ تسألها الأرملة.

جدًا، إنها لذيذة للغاية، تجيب الطفلة.

قولي لأبيك أن يتزوجني، وحين أصير أمك سأصنعها لك كل يوم.

والطفلة عادت إلى البيت، وقالت لأبيها:

يا بابا، لماذا لا تزوج بجارتنا التي تحبني جدًا؟ كل يوم تغليني وتمشط لي شعري وتعطيني شطيرة مربي.

والأب يجيها:

لماذا أتزوج، يا ابنتي، إن كنا على ما يرام هكذا؟ الآن تعطيك شطيرة مربى، غدًا ستكون شطيرة ثلج.

لكن الطفلة ترجته كثيرًا حتى تزوج في النهاية.

كانت الأرملة ربة بيت طيبة، وكانت تراعي الطفلين، هكذا بات الأرملة رجلًا سعيدًا؛ لكن هذه السعادة لم تدم كثيرًا، إذ أنها بعد أسبوع بدأت تكرههم، وبدأ سوء طبعها في الظهور، كانت تتحداهم بلا سبب، وتضربهم كل لحظة؛ وفي النهاية، لأن هذه لم تكن حياة، ذاق الطفلان الأمرين.

وذات يوم صبحت المرأة عصبية أكثر من أي وقت مضى، وقالت لزوجها:

هذان طفلان لا يمكن احتمالهما، سيقتلاني من التعاسة. إن لم تأمرهما بأن يتغيرا أو تقتلتهما، لن أعيش معك يومًا آخر. إما أنا وإما هم.

حين سمع الزوج ذلك، أصابه الحزن العظيم، لكنه فكّر:

ماذا سأفعل؟ لو رحلت زوجتي، ستنطفئ النار، ولن يعطينا قطع

حطب لنشعلها، وسأموت أنا وابنائي من الجوع والبرد. ينبغي أن
أطرد ابني المسكينين وليتولاهم الله.

وفي النهاية أجاب زوجته:

اصنعي قليلاً من الخبز للطفلين من أجل الطريق.

فمالت لهما المرأة كيسًا من الخبز.

حينئذ نادى الرجل لابنيه وكانا يلعبان في الممر، فسلمت لهما

الكيس، وقالت لهما:

هيا يا أولاد، روحا وابحثا عن حطب في الجبل.

فتقدمهما الرجل ومن ورائه الطفلان.

ودخلا إلى الجبل، ومنذ اللحظة الأولى راحت الطفلة تلقي

قطعةً من الخبز ورائها، قطعة قطعة.

وحين وصلوا إلى منتصف الجبل، أشعل الأب نارًا كبيرة وتركها

تضطرم، وفرد بجوارها بطانية حتى يضطجعوا.

ناما يا أولادي، قال لهما، لأن البرد شديد؛ وأنا أروح لأحضر

الحطب، وسأعود إليهما عندما أنتهي.

بسبب التعب، لأن الجبل كان بعيدًا جدًا عن البيت، ومع دفء النار المنبعث من الحطب، ناما الطفلان بعمق، أثناء ذلك حصد الأب الحطب وعاد مسرعًا إلى زوجته.

استيقظ الطفلان مفزوعين في اليوم التالي، والشمس تملأ السماء، فبحثا عن أبيهما لفترة طويلة. وكانا يقولان:

من يدري ربما لم يستطع العودة إلينا فعاد إلى البيت وحده!

وكيف يمكن أن نعود إن كنا لا نعرف الطريق؟ سأل الولد.

لا تخف يا أخي، ستري كيف سنعود، قالت البنت.

وراحت تبحث حتى وجدت قطعة الخبز الأولى. حينئذ سارت

على هداها، وكان سهلاً الخروج من الجبل الذي لم يكونا يعرفانه، ثم سارا في طريق القرية بدون جهد.

وصلا متأخرين قليلاً إلى البيت ووجدوا الباب موصداً. فطرقا

الباب.

من؟ سألت زوجة الأب.

نحن يا ماما.

ادخلا يا أولاد. أبوكما لم يستطع العثور عليكما، وها هو

بالداخل يبكي.

راحا الابنان يسليان أباهما، وكان بالفعل يبكي، لكنه قد اقترف الخطيئة في حقهما بالفعل.

تصرفت الأم بالحسنة مع الطفلين لعدة أيام، لكنها بدأت من جديد توجه لهما بغضها وتؤلمهما، حتى جاء مساء قالت لزوجها: إن لم تطرد ابنيك، سأرحل من البيت. لا يمكن أن أعيش معهما، هذا جحيم.

حسنًا، سأتركهما في مكان أبعد، لكن اعطيتهما قليلاً من الخبز من أجل الطريق، قال الزوج.

لن أعطيتهما شيئًا، لأن الخبز أعادهما مرة أخرى. أنا لا أريد أن يعودا إلى البيت من جديد.

لن يعودا يا امرأة، لن يعودا! سأتركهما بعيدًا جدًا. والمرأة لم تعطهما شيئًا، والرجل المسكين وجد نفسه مضطراً إلى أن ينادي ابنه ليصحبهما بدون أن يعطيتهما طعامًا.

تأخر الطفلان قليلاً في الاستجابة لنداء الأب، لأنهما كانا فوق شجرة جوز يجمعان حبات الجوز. حين هبطا، كانت جيوبيهما

ملأى بها.

فقال لهما الأب:

هيا يا أولاد، لنبحث عن حطب في الجبل.

وتقدّمهما، ومن ورائه الطفلان، والولد يأكل الجوز.

دخلوا إلى الجبل، وراحت البنت تلقي حبات الجوز كلما تقدمت، واحدة واحدة، لكن الولد، الذي كان يسير وراءهما، كان يجمعها ويحتفظ بها ليسترد ما أكله قبل الدخول إلى الغابة.

والأب صحبهما إلى مكان أعمق من المرة الفائتة، وأشعل لهما نارًا وبجانبهما فرد بطانية لينا.

نأما يا أولاد، قال لهما، لأن الجو برد، أنا سأروح لقطع الحطب وأعود لكما ما أن أنتهي.

واضطجعا الطفلان، وفي الحال غطّوا في النوم، وحينئذ عاد الأب سريعًا إلى البيت.

في اليوم التالي، مبكرًا جدًّا، استيقظ الطفلان وبدأا يبحثان عن أبيهما. حين لم يعثرا عليه، قررا العودة، وبدأت البنت تنظر إلى الأرض في كل الجوانب.

عمًا تبحثين يا أختي؟ سأل الولد.

عن حبات الجوز التي ألقيتها هنا لتساعدنا كعلامات في العودة
إن لم يعد أبونا.

آه يا أخت روعي، لقد تُهنا! فالجوزات التي كنتِ تلقينها أنا
كنت أجمعها، وها هي معي أحفظ بها في جيبي.
وماذا سنفعل الآن؟

ندعو العذراء، ونسير حيث يقودنا الله.

وهناك ظلا يتجولان ليومين وليلتين، بدون طعام إلا حبات
الجوز القليلة، وفي النهاية، في اليوم الثالث عند الفجر، سمعا أذان
ديك، فواصل سيرهما حتى وصلا بالقرب من بيت كبير. حينئذ
تسلقا شجرة لاوري كانت وراء البيت، ومن هناك نظرا.

ولأن الساعة كانت الثامنة، قالت البنت:

يبدو أنهم كانوا كانوا يكتسون.

فقال الولد:

هل تريدان يا أختي أن أقرب وأرى.

حسناً، انظر لا أكثر.

نزل الطفل واختبأ هناك، واختبأ هنا، ووصل إلى حيث تجلس
سيدة عجوز تحمّص جوز الهند، فأخذ في صمت حفنة من جوز
الهند المحمّص، والعجوز قالت له بدون أن تنظر:

أيها الديك الأعور!

عاد الطفل إلى مكان أخته، وأعطاهما نصف جوز الهند المسروق.
ما هذا؟ سألت البنت وشمّت ووضعته في فمها.
حين حكى لها الولد ما قالته العجوز، ضحكت الأخت وقالت
له:

هيا نروح معاً.

لا يا أختي، ربما تضحكين وتتبه لنا العجوز.

ونزل هو وحده، لكن البنت اتبعته ولم يرتب الولد. سار في
خلفية البيت، وحين قبض على حفنة أخرى من جوز الهند، كررت
العجوزة:

أيها الديك الأعور.

حكايات واساطير لاتينية |

لم تستطع الطفلة أن تتمالك نفسها فضحكت. حينئذ التفتت وراءها العجوزة، التي كانت عوراء، وقالت لهما: ماذا تفعلان هنا؟ لماذا لا تدخلان؟ ادخلا فحسب وكُلا حتى تشبعا.

وأكل الأخان حتى شبعا من جوز الهند وشعرا بسعادة كبيرة. وفي المساء ساعدا العجوزة العوراء على إشعال النار، ثم جعلتهما يحضران ماءً من نبع يجري ليس بعيداً جداً عن البيت، وحفرا حفرةً لتكون بيتاً للنار.

قام الطفلان برحلة جلب الماء عدة مرات، وفي مرة خرجت لهما من بين الأشجار عجوزة طيبة وقالت لهما:

يا أولاد، احذرا من العجوزة العوراء، لأنها تريد أن تأكلكما. هذه رحلتكما الأخيرة وحين تصلان إلى البيت ستجدان العوراء وقد أعدت مائدة بالقرب من الحفرة. ستقول لكما: «لماذا لا ترقصان يا أولادي على المائدة؟ ارقصا رقصة أرضكما»، لكن لا تصعدا إلى المائدة، لأن ما تريده العجوزة أن تنزلق أقدامكما وتقعان في البئر حتى تشويكما النار وتأكلكما.

شكر الطفلان العجوزة التي اختفت في طرفة عين بدون أن يعرفا كيف ولا أين. وفي الحال، انصرفا إلى البيت بدلو الماء، وألقيا به في الحفرة.

كانت العجوزة العوراء تعد المائدة وكانت في شدة سرورها، وكان الماء يغلي في الحفرة ويفتح الشهية. حينئذ قالت العجوزة للطفلين:

لماذا لا تصعدان إلى المائدة يا أبنائي وترقصان رقصة أرضكما؟ لكننا لا نعرف رقص أي رقصة يا ماما، أجاباها. اصعدي أنتِ وعلمينا، بعدها نرقص نحن.

لِمَ لا يا أبنائي، ولكن بعدها ترقصان أنتما.

داست العجوزة على الرماد وصعدت إلى المائدة لترقص، لكن ما إن صعدت رفع الطفلان المائدة من الجانب المواجه للنار، فلم تستطع العجوزة أن تتمالك نفسها، فانزلقت ووقعت في الماء المغلي.

كانا الطفلان يرقصان من السعادة لهروبهما من الموت حين جاء ديك قشتالي وبدأ في نهشهما بكل عنف. لقد بدلا الطفلان

حكايات وأساطير لاتينية |

مجهودًا خرافيًا ليتحررا منه؛ لكن بعد فترة طويلة من العراك، تمكنا من التمكن منه وإلقائه في الحفرة.

في تلك الليلة نام الصغيران جيدًا جدًا؛ وفي اليوم التالي، حين استيقظا، راحا ليريا الحفرة. كانت النار قد انطفأت والماء صار باردًا. نزلا إلى الحفرة وأخرجوا العجوز العوراء والديك القشتالي من الماء، وكانا مسلوقين. وفي مكانيهما، رأيا شيئًا يلجم: كانت سلسلة مفاتيح.

لا بد أنها مفاتيح هذه الأبواب، قالت الطفلة. هل نفتحها؟

هيا بنا، فلنفتحها.

وفتحا الباب الأول. وكان يؤدي إلى ممر كبير، مترع بكل نوع من الحيوانات: دجاجات، ديوك رومية، خرفان، ثيران، أبقار وخنازير.

لدينا ما يكفينا من الطعام لسنوات طويلة، قالوا.

وفتحا بابًا آخر. هذا الباب كان يؤدي إلى غرفة تضم كل نوع من المون: سكر، أعشاب، قهوة، أرز، فاصوليا، جبن، حلويات، كل ما يحتاجان إليه للفقار والغداء والعشاء وما بين الوجبات.

وفي غرفة أخرى وجدوا نبيذًا وكل نوع من المشروبات الروحية،

وفي غرفة أخرى وجدا ملابس فخمة وأقمشة أنيقة لحياكتهما، وفي غرفة أخرى وجدا أوانٍ من البورسلين ملأى بالفضة والذهب والأحجار الكريمة.

عندما فتحا الباب الأخير، غدت السعادة التي جربها الطفلان بعد كل اكتشاف شعورًا مريرًا بالألم. لقد شاهدا بأعينهما أكثر المناظر الحزينة التي لا يسعها خيالهما: مئات الأشخاص من الجنسين ممددون على الأرض، في حالة ضعف ووهن، يبدون كهياكل مكسوة بجلد بشري وليس بوسعهم حتى أن يشكوا. ولحسن الطالع، فالقليل منهم، آخر من تعرضوا للحبس، كانوا واقفين على أقدامهم لا يزالون ويستفيدون من أياديهم. وبمساعدة صغيرة من هؤلاء، نظف الطفلان الحفرة وأشعلا النار وأعدا حساء شهياً أعاد الحياة إلى كل هؤلاء المنكوبين.

رويدًا رويدًا بدؤوا في التعافي، وحين شعروا بأنهم في وضع يسمح بالرحيل، قدموا للطفلين كل نوع من الهدايا، ولم يكِلوا من التعبير عن الامتنان للطفلين على ما فعلوا من أجلهم.

والطفلان صارا مالكي البيت بما فيه من ثروات، وعاشا لسنوات طويلة سعيدين، مسرورين، لا تغيب عنهما البهجة.

15 - هراوات خارقة

من أجل أن نعرف فنحكي، ولكي نحكي فنعرف.

هذه حكاية سيدة عجوزة، كانت مشهورة بأنها ساحرة. كانت تعيش في قرية لا أقرباء لها فيها ولا معارف، إلا سيدة ثرثارة لا تعرف الصمت قط، وسيدة أخرى ماهرة وفاتنة.

ذات يوم راحت السيدة الثرثارة إلى بيت الساحرة، وقالت لها:

يا سيدة، لماذا لا تمنحيني قدرة خارقة لأجلب على الأقل ما يسد رمقي؟ انظري كم أنا فقيرة!

والساحرة ردت عليها:

لكن يا سيدة، أنتِ لسانك طويل جدًا، ولا يحق لي أن أمنحك شيئًا، لأنك تحكين كل شيء.

والثرثارة تكلمت:

لا يا راعيتي، اعطيني قدرة واحدة فقط، ولن أحكي لأحد.

حاضر، قالت الساحرة، سأعطيك هذا الكيس، وحين تشعرين

بالجوع، قولي: «أيها الكيس الخارق، الخارق بأمر الله، املا لي هذه المنضدة بأشهى المأكولات».

وهكذا فعلت حين عادت إلى البيت، وامتلات أطباقها بأفضل الطعام.

وجاء يوم الأحد، وحين كانت تتجهز للذهاب إلى القديس، فكرت:

كيف أترك كيسي هنا؟ أي أحد يمر من الشارع يمكن أن يدخل ويسرقه.

حينئذ خطر ببالها أن تسير به حتى سيدة أخرى تعيش بالقرب منها، وأخبرتها بالتميمة التي علمتها لها الساحرة.

حين انصرفت الثرارة إلى القديس، ألفت من تلقت الكيس التميمة، وقبل أن تنتهيها كانت المائدة قد امتلات بالطعام.

هذه السيدة، كما قلنا، كانت ماكرة، هكذا فكرت:

سأكون حمقاء لو سلمت للثرارة هذا الكيس الشري، سأبدله بآخر يشبهه.

وفعلت ما فكرت.

حكايات واساطير لاتينية |

بانتهاء القداس، راحت السيدة الثرثرة لتسترد كيسها، والسيدة الماكرة أعطتها كيسًا شبيهًا بكيسها، فحملته الثرثرة بهدوء وانصرفت.

عادت الثرثرة إلى بيتها بجوع كبير، ووضعت كيسها على المائدة وتلت التهمة:

أيها الكيس الخارق بأمر الرب، املا هذه المائدة بأشهى المأكولات.

لكن المائدة بقيت خالية كما كانت. كررت التهمة، وظلت المائدة خالية. حينئذ فهمت أنها بدلت الكيس، ويائسةً، راحت إلى السيدة الساحرة، وحكت لها ما جرى.

غضبت الساحرة غضبًا شديدًا، ولم ترغب في أن تمنحها كيسًا آخر خارقًا، لكنها ترجتها فقالت لها في النهاية:

لكن لا تفعلني ما فعلته مع الكيس! فلا تحكي لأحد. سأعطيك هذه الهراوات، وستصنعين أثنًا لتبيعيه، وبثمنه كلي والبسي. قل لي فقط: «اعملي يا هراوات»، وستعمل.

وهكذا فعلت، وكانت الهراوات تصنع الأثاث وكانت هذه متعة

خالصة، ولم تكن تستريح إلا بحلول الليل.

وجاء يوم الأحد، وحين كانت تستعد للذهاب إلى القديس،

فكرت:

من يمكن أن أئتمنه على هراواتي؟ إن تركتها هنا، أي أحد يمر بالشارع يمكن أن يراها، ولو أعجبتة سيسرقها. لكن لو تركتها عند السيدة الماكرة ستبدلها كما بدلت الكيس. لكن سأتركها لديها بدون أن أخبرها بالتميمة.

وراحت لتودعها إياها، وكلفتها حفظها بينما تحضر القديس.

لكن السيدة الماكرة، وكانت شديدة المكر، كانت لاحظت أن السيدة الأخرى تصنع الأثاث وتبيعه من لا شيء، بعد أن كانت تموت جوعاً، فراحت لتتنصت عليها وذات صباح سمعتها تلقي تميمتها على الهراوات: «يا هراوات، اعلمي»، وعبر ثقب رأته كيف كانت الهراوات تعمل: تقطع الخشب الذي تحضره هراوات أخرى، وتنشره، وتصممه، وتصنع منه أثاثاً. ولأن الخشب كانت كثيرة، كانت تصنع أطقماً من الأثاث.

حين خمنت السيدة الماكرة أن الثرثرة قد وصلت إلى الكنيسة،

قالت للهراوات: «يا هراوات، هيا اعلمي»، لكنها كانت تخشى ألا

حكايات واساطير لاتينية |

نتهي الهراوات من صنع الأثاث قبل عودة السيدة الثرثرة، لذلك كانت تكرر كل ثانية: «يا هراوات، هيا اعلمي»، وكانت الهراوات ترتبك فتعمل بسرعة، حتى ملأت البيت بكل نوع من الأثاث، ولأنها لم تجد مكانًا لمواصلة عملها، بدأت تعمل فوق السيدة العجوزة نفسها. إحدى الهراوات نشرت شعرها، أخرى نشرت أنفها، وثالثة نشرت ضلوعها، ورابعة سمّرت يديها، وخامسة ضربتها، وسادسة ضربتها بالمنشار، في النهاية، كل هراوة قامت بعملها في العجوزة كأن السيدة خشبة.

حين عادت السيدة الثرثرة من القداس، وراحت لتسلم هراواتها، كانت الهراوات لا تزال تعمل فوق السيدة الماكرة، وقد حوّلها إلى تمثال لسان لثاوي. كانت المسكينة تصرخ بكل فمها، وكان فمها كبيرًا، وكانت تقول للهراوات: «يا هراوات، لا تعلمي»، لكن الهراوات كانت تعمل بدون توقف.

كانت الثرثرة تشعر بالأسى، ولأنها لم تكن تعرف طريقة لإيقاف الهراوات عن العمل، راحت تركض إلى الساحرة لتطلب مساعدتها.

لم ترغب الساحرة أن تصحبها في البداية، غير أنها وافقت في

النهاية وأمرت الهراوات:

توقفي يا هراوات، وعودي إلى صاحبك.

وفي الحال توقفت الهراوات عن العمل، وتجمعت ودخلت تحت ذراعيّ الساحرة التي انصرفت في غضب.

وماتت السيدة الماكرة من الضربات والتقطيع، لكنها في النهاية شفيت، وبقيت عليها آثار الضرب. وسواء السيدة الأولى أو الثانية، لم يستطيعا العيش إلا من بيع الأثاث التي صنعتها الهراوات.

16 - شجرة المانجو

لنعرف ونحكي ولنسمع لتتعلم.

هذه حكاية رجل عجوز وسيدة عجوزة فقيران فقرا مدقعا، لم يكونا يمتلكان إلا القليل الذي يتلقيانه من الجيران كصدقة.

وذات يوم وصلا إلى بيت فلاح، فقير أيضا وأب لعائلة كبيرة، ليطلبا منه ما يسد رمقهما، لكن الرجل، برغم نواياه الطيبة، لم يكن معه ما يعطيه لهما، فقدم لهما مقعدا وقال:

انتظراني حتى أرى إن كنت سأجد شيئا أقدمه لكما.

وحين عاد، شاحبا لأنه لم يجد شيئا، تذكر أن لديه بعض البذور، فحملها لهما.

لم أجد إلا هذا، قال لهما، إنها بذور مانجو، ازرعها وحين تنبت وتكبر ستؤتي ثمارها، ويمكنكما بيعها.

نهض العجوزان وشكرا الرجل بدون رضا، لأن ما كان يتطلعان إليه هو النقود، فخرجا متأففين.

حين عادا إلى البيت دخلا غرفة وحفرا حفرة وألقيا بالبذور فيها،

وغطيها بنفس التراب مرة أخرى، وسقيها.

ومرت الأيام، وظل العجوزان يتسولان ولم يتذكرا البذور مرة أخرى.

وذات يوم تحتم على العجوز الدخول إلى الغرفة، ولم يجد إلا الدهشة عندما رأى شجرة المانجو وقد كبرت حد أنها بلغت سقف البيت وأزهرت فغطت الغرفة بأكملها. لقد تفهقهر من الخوف.

ركض الرجل إلى زوجته ليحكى لها ما رأى. لم تصدقه العجوزة وخرجت متسرعة لتصدق بأن زوجها يخدعها، وحين رأت أنه حقيقة، شرعت في الرقص بكل سعادة.

حينئذ شعر بالحاجة إلى الحيلة في التعامل مع الشجرة، ففي فترة قليلة قد تبلغ السماء.

وجاء الشتاء بدون أن تؤتي ثمار الشجرة، ولأن العجوزة تعبت من العمل ومن رعاية الشجرة، قالت للعجوز:

انظر يا عجوز، حماقة أن نقتل أنفسنا في رعاية هذه الشجرة التي لا تمنحنا شيئاً إلا حجب الشمس عنا، الأفضل أن نقصها ونجفف حطبها ونبيعه.

أصاب الصمت الرجل لأنه وقع في غرام الشجرة وكان يدرك أن الحماسة أن يقصها إلى قطع. كان يرى بوضوح أنه حين يأتي وقت الحصاد سيحصد ثمرات كثيرة.

لكن العجوزة كانت تلاحقه، ولهذا السبب كانا يقضيان الوقت في عراك: العجوزة برأيها أنه ينبغي قطع الشجرة، والعجوز برأيه أنه يجب تركها إلى الخريف.

وذات صباح انفجرت العجوزة في السباب لأن العجوز لم يعرها انتباهًا، فغضب العجوز وقال لها:

سأرحل بمفردتي، اعطني كيسًا به طعام للطريق.

وأعدت له العجوزة الكيس، ورمته فوق المنضدة وراحت تحبس نفسها في غرفتها.

حمل العجوز الكيس وخرج، لكنه بدلًا من طلب الصدقة كالعادة، راح يسير حتى الأرض التي جلب منها الشجرة.

حين وصل إلى هناك، جلس القرفصاء وبدأ يفكر ماذا سيفعل مع الشجرة. لم يكن يرغب في قطعها، حتى يستفيد من ثمارها؛ لكنه لو لم يقطعها، سيظل في عراك مع زوجته، ولأنه كان يحبها

جدًا لم يكن يحتمل إغصابها.

في النهاية، بعد تأمل كثير، خطر له أن يذهب ليرى الرب ليطلب منه النصيحة. وبعد اتخاذ هذه الخطوة، ربط الكيس جيدًا على خصره، وبدأ يتسلق درجة درجة، حتى وصل إلى السماء ونادى:

فأطل القديس بدرو من النافذة، وسأل:

من؟

أنا، يا قديس بدرو، أحد الورعين لك، أجاب العجوز.

بماذا يمكنني مساعدتك؟ سأل القديس.

يا سيدي، لقد جئتك طلبًا للنصيحة، لتقول لي ما ينبغي أن أفعله. تقول زوجتي إنه يجب أن أقطع شجرة المانجو، وأنا أرى ألا نقطعها، وأنتظر أن تثمر لنبيع ثمارها. قل لي حضرتك هل أقطعها أم لا، وأنا سأطيعك فيما تأمرني به. لكني أنبهك أنني إن لم أقطعها، ستظل زوجتي تعاركني: «اقطعها أيها الأحمق، اصنع منها حطبًا يا عجوز ساذج، انصت لكلامي أيها العجوز الغبي». ينبغي أن أكون صبورًا يا قديس حتى أستمع طوال اليوم لكلمات مثل: «يا عجوز وحمار، يا عجوز وبغل، يا عجوز وفلان، يا عجوز وعلان»، بل

حكايات واساطير لاتينية |

و«عجوز وبهيم» قالتها لي ذات يوم. أنا لا أعرف أين تعلمت هذه المرأة كل تلك الشتائم التي تقولها لي. وهكذا، يا قديسي الجميل، فأنا محتاج إلى نصيحتك، وهذه خدمتك لي.

حيثئذ راح القديس بدرو للحديث مع الرب وحكى له ما حكاها العجوز، فأمره الرب أن يمنح للعجوز عصا سحرية وآلا يطلب منها إلا الأشياء الضرورية، لأنه لو أفرط لضاعت منه، وأن يلتزم الهدوء. خرج سان بدرو بالعصا، وأعطائها للعجوز وكرر عليه ما أمره الرب بقوله، ووعد العجوز بأن يطيع، وشكر وانصرف إلى أرضه، وهبط درجة درجة.

أثناء ذلك، غدت العجوزة شاحبة، وكانت تبكي ليلاً ونهاراً لغياب زوجها يومين عن البيت؛ وكانت تشعر بالندم لأنها أساءت معاملته. أحياناً كانت تفكر أنهم قتلوه، وأنه سيأتي بالليل لينتقم منها، وبفكرة أن ذلك قد يحدث، قضت الليل في الصلاة.

أيتها العصا السحرية، بالقوة التي منحها لك الرب، احضري لي ثياباً أنيقاً وقبعة وحذاءً.

في نفس اللحظة حضر له كل ما طلبه، وفي الحال ارتدى الملابس وعاد إلى بيته، طرق باب الشارع وراحت زوجته تفتح

الباب. لم تتعرف عليه السيدة، وحين رأت رجلاً شديد الأناقة سألته في حياء:

عن من يبحث السيد؟

حين رأى الرجل أن زوجته لم تعرفه شرع في الضحك، وأجابها:
ألا تعرفيني؟ ألا تعرفين عجوزك الذي طالما أهنته لأنه لم يقطع
الشجرة؟

أوشكت العجوزة أن تموت من الخوف؛ كانت تعتقد أنها تحلم وأن زوجها جاء لينتقم منها. والعجوز، حين رآها مرعوبة، عانقها وأظهر لها العصا وكرر عليها ما قاله الرب على لسان القديس بدرو. فعادت روح العجوزة إلى جسدها وطلبت منه المغفرة ووعدته ألا تزجره مرة أخرى.

ورويدًا رويدًا راحا يطلبان من العصا أشياء كثيرة، كلها ضرورية جدًا: طلبا منها ملابس، أثاثات، كذلك مائدة ملأى بأشهى المأكولات وأفضل النبيذ، وجاءهما ما طلباه.

والعجوز، ممتنًا وحتى يكون على علاقة أفضل بالرب، اعتاد ارتياد الكنيسة القريبة كل يوم لسماع القداس، وخشية أن تطلب

حكايات واساطير لاتينية |

زوجته ما لا تحتاج إليه، حمل العصا معه وتركها في بيت سيدة تعيش بالقرب من دار العبادة. وبعد أن حيا السيدة طلب منها أن تحتفظ بالعصا بكل حيطة، فلا تفقدها.

وحين انصرف الشيخ، ظلت المرأة تفكر ما أهمية هذه العصا، إذ أوصاها بها الرجل بإفراط، وبعد أن فكرت كثيرًا خطر لها أنها ربما تكون عصا سحرية، وأرادت أن تجرب إن كان لها تأثير. فأخرجتها من حيث خبأتها وقالت لها:

يا عصا يا سحرية، بالقوة التي منحها لك الرب، احضري لي هنا ثيابًا ثرية.

وفي الحال ظهر الثياب الثري والأنيق.

حينئذ فكرت السيدة أن تسرق العصا، وراحت إلى مثل أشجار لتبحث عن عصا شبيهة لتبديلها، وبعد أن تأملت أغصان الشجر كثيرًا، عثرت على غصن شديد الشبه بالعصا، فقصته بنفس مقياس العصا السحرية، ووضعتها في نفس مكان العصا، وخبأت العصا الحقيقية.

بعد برهة عاد العجوز من القديس وسلمته السيدة العصا التي قطعتها في التو من الشجرة. شكرها العجوز بدون أن يشك في

شيء وعاد إلى بيته مطمئنًا ليتناول غداءه.

حين عاد، أعد المائدة وقبض على العصا وبدأ يطلب الغداء والنيذ، لكن بلا جدوى: تعب من الطلب ولم يظهر شيء.

غاضبٌ جدًا عاد إلى منزل السيدة:

يا سيدة، قال لها، جئت لأعرف لماذا استبدلت عصاي بهذه العصا القبيحة.

يا سيد، أجابته، ألا ترى أنها نفس العصا؟ كيف وصل ظنك أن بوسعي أن أصنع عصا شبيهة لأبدلها لك؟

حين فهم الرجل أنه لن يحصل على شيء عاد إلى بيته وقال لزوجته:

جهزي لي هذا الكيس ببعض الزاد لأنني سأصعد إلى السماء لأطلب عصا أخرى.

جهّزت السيدة الكيس وسأمته لزوجها وودعته متمنيةً له رحلة سعيدة.

انطلق في رحلته بالكيس حول خصره، وتوجه إلى الربوة، وتسلق درجة درجة، حتى بلغ قمته. دق الباب فأطل القديس بدرو

من نافذة صغيرة، فحكى له العجوز ما قد جرى.

سأن القديس بدرو عمًا يريد، فرد عليه الرجل، وقد سال لعبه،
بتذكر النعم التي كان فيها بفضل العصا السحرية، وأجابه:

كل ما أريده مفرشًا، كلما فرشته على المنضدة عرض لي أفضل
الطعام.

أحضره له القديس بدرو المفرش وأوصاه بنفس الرصايا السابقة.
شكره العجوز ونزل من الربوة خطوة خطوة حتى عاد إلى بيته،
ففرش المفرش وبدأ يأكل مع زوجته. حين انتهيا، طويا المفرش
واحتفظا به ودخلا لينا ما راضيين.

في اليوم التالي، راح العجوز إلى القديس وحمل معه المفرش،
ومثلما فعل مع العصا السحرية، مر على السيدة ليركه عندها،
وأوصاها بالآ تفريشه ولو فعلت سيغضب منها.

وصبرت السيدة لبرهة حتى يصل إلى الكنيسة، وفي الحال
أخرجت المفرش وفردته وفرشته على المنضدة، وبدون أن تقول
كلمة واحدة، امتلأت المنضدة بالذ المشروبات الروحية وأشهى
المأكولات. وبسرعة سحبت الأطباق والزجاجات قبل عودة
العجوز، وبدلت المفرش بآخر شبيه له كان لديها، وطوته وخبأته

في نفس مكان المفروش الآخر.

وبعد لحظات، عاد العجوز، حمل المفروش وانصرف، ولأنه كان جائعًا جدًا فرش المفروش بمجرد وصوله إلى البيت، وبصعقة كبيرة رأى المفروش مفروشًا لكنه لا يمنح شيئًا.

حينئذ حكى العجوز لزوجته، في قمة غضبه، ما حدث مع السيدة، وأقسم ألا يفوت سرقاتها بدون عقاب. وأمرها أن تعد له الكيس بالزاد من جديد ليذهب إلى القديس بدرو للمرة الثالثة.

وقبل أن يخرج، كلف العجوزة بأن تقف عند حافة الربوة، وصعد هو درجة درجة، درجة درجة، ولأنه شعر بالتعب لم يصل حتى للمنتصف، وركض فوق أغصان شجرة على الأرض ونام. في نومه شعر بالرغبة في التبول، فقام وتبول. كانت العجوزة بالأسفل فتلقت كل ما تبوله وقالت:

يا للهول، الملائكة تروي الأرض.

بعد قليل شعر العجوز بالرغبة في التغوط، ففعلها. وشعرت العجوزة بشيء يسقط عليها، فقالت:

يا للهول، الملائكة تلقي الطعام لأهل الأرض، وعجوزي

حكايات واساطير لاتينية |

بالأعلى يستمتع، وأنا؟ لماذا لا أستمتع أنا الأخرى؟ وركضت لتحصد كل ما يسقط.

ثم واصل العجوز النوم حتى الفجر، وحين استيقظ، واصل صعوده درجة وراء أخرى، حتى وصل إلى السماء، وحكى كل شيء للقديس بدرو للمرة الثانية. عرض عليه القديس بدرو كل المعجزات وقال له:

يا صديق، الكريم والبهيم على نفس الوزن، لكن ذلك لا يعني أن تكون بهيمًا جدًا للدرجة أن يضعوا إصبعًا في فمك بدون أن تعضه، ولا كريمًا للغاية. اختر واحدة من تلك المعجزات للمرة الأخيرة، واختر جيدًا لأنني لن أمنحك فرصة أخرى.

. ألقى العجوز نظرة على حزمة عصي كانت مغلقة في ركن وسأل القديس بدرو عن معجزات هذه العصي، والقديس بدرو وصفها له في أذنه. فشكر الرجل القديس ممتنًا وسعيديًا، وبدأ يهبط درجة درجة تملأه السعادة حتى وصل إلى الأرض. دخل بيته وحكى للعجوزة في سرية تامة كما فعل القديس بدرو، وضحك الإثنان بقهقهات.

كان العجوز مرهقًا، هكذا، ما إن أكل الحساء الذي قدمته المرأة،

انصرف لينام.

وفي اليوم التالي، راح إلى القداس، ومر كالعادة على بيت السيدة. وبعد التحايا والسلامات سلّمها حزمة العصي وقال لها:

انظري يا امرأة، أحضر لك الآن أمانة أخرى، فلا تفقديها كما فقدت الأمانات السابقة، لكنني أقول لك شيئاً فاسمعي: لا تفكي الحزمة ولا تقولي اخرجي يا عصي، لأنني حيثنذ لن أجيبك.

وتوجه العجوز إلى الكنيسة لأداء القداس، والسيدة انتظرت وهي تفكر إن كانت تفك الحزمة أم لا. حيثنذ انتصر فضولها على خوفها، ففكتها وقالت: «اخرجي يا عصي»، وخرجت العصي من الحزمة، حادة مثل السكاكين، وكانت متوحشة كحيوان، وراحت تضربها على رأسها، وذراعها وساقها، وعلى كل جسدها. وبكل قوة!

حين عاد العجوز من القداس، وجد العصي تضرب السيدة وكانت نصف ميتة. فقال العجوز:

أرأيت، إن لم تعيد إليّ ما سرقته ستواصل العصي ضربك حتى تقتلك.

فراحت السيدة تبحث عن العصا والمفرش التي بذلتها للعجوز، وكانت تحتفظ بها في مكان مختبئ، وأثناء ذلك لم تكف العصي عن ضربها في كل موضع، كانت تحيط بها حتى أنها أمسكت بتلابيبها وألصقتها لكلمات راهب سريعة. كانت على وشك أن تقتلها.

أحضرت السيدة ما سرقتة وسلمته إلى العجوز. غير أن العصي لم تكف عن ضربها لأن العجوز، كعقاب على الشر الذي فعلته، أمرتها أن تواصل تحميمها وألا تستريح إلا بعد أن ترديها قتيلة.

العجوزان، وقد صاروا مجدداً مالكين لقوة خارقة قد سحبت منهما، باتا يمتلكان كل ما يرغبان، وعاشا سنوات طويلة أخرى، سعيدين ومسرورين، يتمتعان بشيخوخة هادئة. وبالطبع لم ينسيا شجرة المانجو، إذ كانا مدينين لها بالكثير، فغدت في عنايتهما، يحبانها ويعطفان عليها.

وهكذا انتهت الحكاية وحملتها الرياح ودخلت بها أعماق البحر، ومرت على شجرة فاصوليا خضراء ليحكى السيد فلان الحكاية على آخرين.

17 - عجوزان بائسان

لنعرف ونحكي، ونحكي لتتعلم.

هذه سيدة فقيرة كان لديها ابنان يسميان خوان وميجيل، وحين ماتت تركتهما لحمويها، عجوزين مشهورين بالبخل الشديد.

كان لدى العجوزان خنزير، وخطر لهما ذات يوم ذبحه وأكله بمفردهما.

وهذا ما فعلا. ذبحا الخنزير وخبأه تحت السرير حتى لا يطلع عليه الطفلان ولا يقسمانهما.

وعرف الطفلان ما فعله العجوزان، وقالوا:

علينا أن نأكل الخنزير كاملاً.

حينئذ قال خوان لميجيل:

انظر يا ميجيل، الليلة سندخل غرفة نوم الجددين، وحين يغطان في النوم تسأل الجدة: «هل تذكرين يا عجوزة أين خبأنا الخنزير؟» وإن قالت الجدة أين خبأته، أسحبه أنا لأنني الأقوى ونحمله لنأكله.

وهذا ما فعلا. انتظرا حتى ناما الجدان بعمق، وقد ميغيل صوت الجد وسأل:

هل تذكرين يا عجوزة أين خبأنا الخنزير؟
والعجوزة، نصف نائمة، أجابته:

ألا تذكر أننا خبأناه تحت السرير؟

حينها سحب خوان الخنزير وحمله على كاهله، وخرج مع ميغيل ليأكله في الجبل.

كانا يشويان بطنه حين استيقظ العجوز، أشعل عود ثقاب ونظر تحت السرير، ولأنه لم يجد الخنزير سأل العجوزة:

هل تذكرين يا عجوزة أين خبأنا الخنزير؟
والعجوزة أجابته:

يا لك من عجوز ثقيل! ألم أقل لك في التو تحت السرير؟ دعني أنام أفضل.

انظري يا عجوزة، الخنزير ليس تحت السرير أبداً، لقد سرقاه، واللصوص ليسوا إلا الصبيان. سأخرج لأبحث عنهما وأسترده منهما.

قبض الشيخ على عليقة الشموع وعلبة ثقاب وتوجه إلى الجبل.
وعلى ضوء النار التي كان يشوي عليها الصبيان بطن الخنزير،
رأهما العجوز من بعيد، وحينئذ أشعل ست شمعات: واحدة من
خلفه، اثنتين في أنفه، ثالثة في فمه، والاثنتين الباقيتين حمل كل
واحدة في يد.

رنا خوان إلى الطريق وفي وسط العتمة رأى صورة غريبة تتقدم
نحوهما وتلقي بالنار من فمها وأنفها ومن ورائها، ورغم أنه لم يكن
جباناً، إلا أنه شعر ببعض الخوف، وشعر بشيء من البرد يقتحم كل
جسده. وبصوت مرتجف كثيراً، سأل ميغيل:

هل تعرف الشيطان؟

لا، رد ميغيل.

ألا يكون هذا القادم نحونا؟

لا بد أنه هو نفسه.

فأطلقا أرجلهما للريح مخلفين وراءهما الخنزير.

حينئذ حمل الشيخ خنزيره، ورفع على كتفه وعاد إلى البيت.

أثناء ذلك شقشق الصباح.

والعجوز قال لزوجته:

أين نخبئه؟

فلنصعه داخل الفرن، أجابت العجوزة.

وعاد خوان وميجيل بالليل ليفعلا ما فعلاه المرة السابقة، ميجيل

يقلد صوت العجوز سائلاً:

هل تذكرين يا عجوزة أين خبأنا الخنزير؟

والعجوزة، نصف نائمة، تجيب:

في الفرن يا عجوز.

حينها خرج الولدان من الغرفة وحمل خوان على كتفه الخنزير

ورحل إلى أكثر المناطق وعورة بالجبل، فيما بقي ميجيل مختبئاً

ببيت جديه ليرى ما سيحدث.

وفي الصباح مبكراً جداً استيقظ الجد وتوجه إلى الفرن ليرى

خنزيره، ولأنه لم يجده، خرج ليبحث عن اللصين ليسترده منهما.

حينئذ دخل ميجيل غرفة نوم الجددين مجدداً، ارتدى جلباب

الجددة وغطاء رأسها وخرج إلى الطريق.

أثناء ذلك كان الجد قد عثر على خوان مع الخنزير، وقد استرده منه، وكان يسير مطمئناً إلى بيته بالحيوان على ظهره، وفجأة تعثر بميجيل يرتدي ملابس الجدة. اعتقد الجد أنها امرأته، فقال لها:

يا عجوزة، ساعديني قليلاً على حمل الخنزير لأنني تعبان جداً. وميجيل، بدون أن ينس بكلمة، ألقى بالخنزير على كتفه وواصل السير، فيما جلس العجوز على حجر ليسترخ. بعد خطوات ظهرت شجرات فدارته، ولأن العجوز لم يستطع رؤيته، عاد بالخنزير لبحث عن أخيه.

حين انتهى العجوز من الراحة، واصل السير، ولما عاد إلى البيت راح ليرى المرأة ليسألها أين خبأت الخنزير، فوجدها لا تزال نائمة وتشخر.

حيثُ سحب سوطاً وضرب العجوزة ضربة كادت تقتلها.

وبين ضربة وضربة كان يقول لها:

بذنبك يا عجوزة يا فظة، بذنبك سرقوا الخنزير. أين جلبابك وغطاء رأسك؟

والعجوزة تبكي مثل ماجدالينا، وتبحث عن ملابسها فلا تجدها،

فتضطر إلى أن تعترف أنهما سرقاها أيضًا.

خلال كل ذلك، خوان وميجيل يتلذذان بطعم الريش مشوية،
ويحتفظان بطعام يكفيهما لأيام قادمة.

ولا يعودان أبدًا إلى بيت جديهما.

18 - الحية ودفع ثمن الخير

علينا أن نعرف أنه كان هناك راعٍ محاط بحيواناته، وذات مرة سمع صفارة تخرج من بين الصخور. توجه إلى الصوت ورأى حية محشورة بين صخرتين. والحية ترجمته:

اخرجني من هنا يا خوان!

(وكان هذا اسم راعي الحيوانات)

وفكر خوان:

فعل الخير لا يضام أبدًا.

وأنقذ الحية؛ لكنها ما إن تحررت، التفت حول رقبة خوان.

حينئذ قال لها الرجل:

دعيني، لا تؤذيني؛ لقد أنقذتك من الموت وأخرجتك من تحت

الصخرة.

فردت عليه:

ألا تعلم أن فعل الخير لأهل الشر له ثمن؟

حكايات وأساطير لاتبئية

كلا، أجابها خوان، الخير يقابله الخير، هذا متعارف عليه.

هيا نبحت عن أدلة، ولنر أيا منا معه الحق.

وخرجا لبيحثا عن أدلة، وكانت الحية دائماً معلقةً برقبة خوان.

ثم عثرا على حمار كان هزياً جداً ومثيراً للشفقة، فقال له خوان:

تعال يا صديق، لأستشيرك في شيء، هل حقاً جزاء الخير هو

الشر؟

بالطبع، جاوب الحمار. لقد كنت حماراً وفيّاً جداً لأصحابي،

وبعد أن خدمتهم طيلة عمري، وغدوت عجوزاً، أرسلوني إلى

الجحيم، وفي أقرب يوم سيقتلونني.

حينئذ قالت الحية لخوان:

ها أنت ترى، من يفعل الخير مع أهل الشر يُدفع الثمن؟

ثم صادفها حصاناً كان منهكاً، وكان ينزف دماً، فقال له خوان:

تعال يا صديق، أود استشارتك في شيء. هل حقاً جزاء الخير

هو الشر؟

بالطبع، جاوب الحصان. لقد كنت حيواناً مخلصاً وخدمت

صاحبي بكل قوتي، حتى أني أنقذته من الموت في حرب، والآن بعد أن صرت عجوزًا وعاجزًا فلا أخدمه، أطلقني في هذه الأرض ليقتلني، وليأخذ مني شحومي صابونًا.

الأترى، قالت الحية، أن فعل الخير مع أهل الشر يُدفع الثمن؟
واصلا في طريقهما، وبدون أن يعرفا كيف وصلا إلى نفس المكان الذي أنقذ فيه خوان الحية من الموت مهروسة، قابلا ثعلبًا بالصدقة، فسأله خوان:

هل حقًا أن الخير لا يقابله إلا الشر؟ افعل فينا معروفًا واخرجنا من حيرتنا.

لا، قال الثعلب، ليس حقيقةً. الخير لا يقابله إلا الخير، هذه هي الحقيقة.

هذا الشاب يمسك بي من عنقي، قال خوان، لأنني أنقذته من تحت صخرة كانت تهرسه، ويريد أن يخنقني لأنه يقول إن الخير مع أهل الشر يُدفع ثمنه.

رغم أن الخير يقابل بالخير في الأغلب الأعم، قال الثعلب، إلا أن هناك حالات يجب أن يقابل الخير بالشر، ولأحدد ما تستشيرني

فيه، يجب أن أعرف كيف صارت الأمور. انظر، أين كان هذا الشاب؟ أضاف الثعلب وأشار إلى الحية.

كان هناك، أشار خوان.

اهبط إلى حيث كنت، قال لها الثعلب.

وأطاعت الحية.

ارفع الصخرة، أمر الثعلب خوان.

وخوان رفع الصخرة.

حط نفسك حيثما كنت من قبل، قال للحية.

والحبة وضعت نفسها في المكان الذي كانت مهروسة فيه.

ضع عليها الصخرة، قال لخوان.

هل كنت محشورة هكذا؟

لا، أجابت الحية، كنت محشورة أكثر.

احشرها أكثر بالصخرة، أمر الثعلب خوان، وخوان ضغط

بالحجر.

هل كنت محشورة هكذا؟

هكذا، أجابت الحية.

إذن، وحتى تتعلمي أن الخير لا يقابله إلا الخير، ستبقين هنا.

كم أشكرك يا ثعلب، قال له خوان وهما ينصرفان، كم أنا ممتن
للمعروف الذي أسديته لي! سأعطيك حزمة من الدجاجات.

آه، ألن تعطيني كلاباً؟

لا، إن كان عندي دجاجات كثيرة، إذن سأعطيها لك كاملة.

وصل خوان إلى بيته برفقة الثعلب الذي قال له:

حسنًا! الآن ستعطيني دجاجة من أجل الطريق، ثم تعطيني البقية
بعد ذلك.

سلم خوان الدجاجة التي طلبها الثعلب، وكل يوم كان يرسل
إليه دجاجة، وكان الثعلب ينتظرها في الطريق، حيث اتفقا.

ولم يتبق لخوان إلا دجاجة واحدة. حينئذ قالت له زوجته:

ماذا ستعطيه غدًا إن كنت ستعطيه اليوم الدجاجة الأخيرة؟
اعطها له واحمل معك أيضًا شوالاً من الكلاب.

وحمل خوان الدجاجة وشوال الكلاب الصغيرة كما قالت

حكايات واساطير لاتينية |

زوجته، وحين وصل إلى الطريق حيث ينتظره الثعلب، أطلق الدجاجة لتلعب مع الثعلب. وكان الثعلب سعيدًا وهو يلاعبها، حينها أطلق خوان الكلاب الصغيرة، فركض الثعلب ركضًا حتى أن خوان لم ير أرجله، واختبأ في مغارته التي كانت شبه مهدمة.

حين شعر بالسكينة في بيته، سأل الثعلب أرجله:

كيف ركضت هكذا يا أرجلي؟

ركضنا حتى لا تلحق بك الكلاب وتأكلك.

وأنت يا أظافري؟

نحن كنا نضغط على الأحجار والحصى حتى لا تلحق بك الكلاب وتأكلك.

وأنت يا ذيلي؟

كنت أتحرك من اليمين لليساار مفزوعًا من الكلاب حتى لا تلحق بك وتأكلك.

آه يا ذيلي يا صعلوك! ولو كنت تشقبت؟ كانت الكلاب ستأكلني بسببك. هيا يا كلاب، كلوا ذيلي.

وأطل بذيله لخارج المغارة.

والكلاب التي كانت هادئة، منتظرة خروج الثعلب، اصطادت
الذيل وشدته بقوة، فنالت بذلك الثعلب وأكلته.

وبينما كان يحتضر، قال الثعلب:

حقًا، حقًا جدًّا، جزاء الخير ليس إلا الشر!

19 - الحكاية التي صارت حلمًا

هذه حكاية شاب كان يقضي حياته رخالة، وذات يوم وصل إلى قرية لا يعرفها. تجول بالشوارع فرأى صبية شديدة الجمال، وكانت بمفردها في غرفة لها باب مفتوح على الشارع، وتشرب الممتة. ملأت الصبية عينه، وكان يعبر كل يوم من أمام بابها ليراها.

ثم أنه توقف ذات يوم أمامها، وطلب منها الإذن ليشعل سيجارته من مجمرتها، وبهذه الذريعة حاورها. سألها إن كانت متزوجة أم عزباء، وأجابته بأنها عزباء. لكن ذلك لم يكن حقيقة، إذ كانت متزوجة؛ وكان زوجها عاطلاً، لا يفعل في حياته إلا السير بالشوارع من أعلى لأسفل، ولم يكن يراها إلا ليلة بعد ليلة.

والشاب الغريب لم يكن لديه، في الحقيقة، عمل، ولأنه كان يرتاد نفس الأماكن التي يرتادها زوج الفتاة، صار صديقين سريعًا. كان الشاب الغريب يزور الفتاة كل يوم، وفي بعض الليال كان يرافقها كذلك. في ليلتهما الأولى، عند توديعها، أهدها خاتمًا ثمينًا علامة للخطوبة، باسمه محفورًا بداخله.

وفي ليلة انصرفا كلا الصديقين معًا، وطرقا باب الفتاة واحدًا وراء الآخر، وسألت الفتاة من الطارق، ومن بالخارج قال «أنا، زوجك».

ماذا تعجب الغريب. هل أنتِ متزوجة؟

نتحدث عن ذلك في وقت لاحق، المهم الآن أن تختبي.

وخبأته في غطاء من الصوف كان في أحد أركان الغرفة.

والمختبي، الذي لم يكن يعرف أنه صديقه، لأنه لم يره ولم يسمع صوته جيدًا من وراء الغطاء، ظل في مكانه حتى الثانية أو الثالثة صباحًا، وفي اليوم التالي حكى لصديقه عن المغامرة. فقال له هذا:

يا سلام، يا صديقي، كم أنت محظوظ! وهل الفتاة جميلة؟ هل ستزورها الليلة مرة أخرى؟

لِمَ لا! لماذا يجب أن نودع هذا العشق الجديد؟

والزوج فعل كل ما يستطيع ليضبط الرجل الدخيل، لكنه لم يستطع، لأن الصبية كانت تخبئه دائمًا في مكان جديد. كان ذلك يزيد من غضب الزوج، وخاصةً كلما حكى له الغريب في اليوم

التالي وهو يسخر منه بدون أن يعرف.

يا رفيق، يقول الغريب، لا بد أن الزوج تقتله الغيرة، لا يترك ركنًا بالبيت إلا ويبحث فيه عني، لكن الفتاة تفضلني عليه، إنه نذل ووقح، وبالتالي يخبثني في أفضل مكان.

معك حق، يقول الزوج، لا بد أنها مغرمة بك. لقد مُنحت الحظ الكبير.

و ذات ليلة لم تجد الفتاة مكانًا لتداري صديقها، فخبأته في ركن تلقي فيه قمامة المطبخ والماء المستخدم، ورغم أن المكان لم يكن مريحًا جدًا، لم يكن أمامه إلا الاحتمال في صمت. والزوج، بعد أن تفحص كل مكان ولم يعثر عليه، سحب حجرًا وألقاه بقوة في ركن القمامة، قائلاً:

فربما تكون هناك، فخذ حجرًا!

ووقع الحجر على الصديق ومزقه من رأسه إلى قدميه. لكنه لم يفتح فمه.

وفي اليوم التالي حكى كل شيء للزوج الذي أبدى تجاهلاً وبعد أن هنأه على حظه، توجه إلى حماه الذي يعيش في مكان متطرف

بالمدينة، وقال له فليذهب ليأخذ ابنته لأنها فعلت كذا وكذا، وحكى له ما جرى.

وراح الأب يبحث عن ابنته وجسها في غرفة، وأمر صهره أن يدعو صديقه لتناول الطعام، وسيتحقق بنفسه مما جرى وإن كانت ابنته مذنبه، سيقتلها في الحال بجانب الشاب الغريب.

وهكذا فعل الزوج، وبعد قليل جاء برفقة صديقه.

في الثانية عشرة وضعوا المائدة، وكانت متحركة جدًا، لأن كل طبق كان مليئًا بالنيبذ.

وعند تناول الحلو، اقترح رب البيت أن يحكي كل واحد منهم مغامراته، وبدأ هو يحكي قصة غرامية، وكانت قصة مؤلفة بالمناسبة؛ لكن الجميع ضحك عليها وقهقهوا.

على يمينه كان الشاب الضيف، فتوجه إليه الرجل وقال:

الآن جاء دورك.

حينئذ، بكل براءة من كل ما حدث، بدأ يحكي مغامراته مع ابنه مالك البيت، بدون أن يداري أي تفصيلة، وكانت الصبية تنصت لكل شيء!

حكايات واساطير لاتينية |

حين وصل إلى الجزء الأخير، هذا بالذات، حين خبأته الصبية في ركن القمامة، جف فم الشاب وطلب كأساً من الماء، فقدم له خمراً، لكنه رفض وطلب أن يحضرا له ماءً. وكان في ذلك نجاته، لأن الخادمة حين جهزت كأس الماء، نادت من النافذة وألقت في الكأس الخاتم الذي هادها به الشاب.

حين رأى الشاب الخاتم احتفظ به في فمه مع آخر رشفة في الكأس، ثم سحبه في الخفاء واحتفظ به في جيب قميصه بدون أن ينتبه إليه أحد، ثم واصل في الحال:

وبعد أن بحث عني الزوج في كل مكان، وعندما لم يعثر لي على أثر، قبض على حجر وسدده بغضب إلى ركن القمامة، وقال: «ربما تكون هناك، فخذ حجراً». وسدده بتصويب ناجح، فما أن سقط عليّ حتى مزقني من رأسي إلى قدمي؛ ببرد شعرت له في وجهي، استيقظت مفزوعاً.

هل كان ذلك حلم؟ سأل الحما.

ماذا كنت تظن يا سيد؟ أجاب الشاب، لو كانت قصة حقيقية لقلت لك!

آه يا صعلوك، يا وغدا! صاح الأب وهو يتوجه إلى صهره، يا

لك من نذل تريد أن تُلطخ شرفي، فلتتوكل على الله، فقد جاءت ساعتك.

وقتلهُ بضربة خنجر.

ولأنهم جميعًا أرادوا التستر على الحكاية، دفنوا الميت في الحديقة سريعًا، ولم يعرف أحد قط ماذا حدث.

وظل الشاب يرتاد بيت الفتاة وقبل نهاية العام تزوج بأرملة الحكاية الشابة.

20 - العصفور والثعلبة

لنعرف ونحكي ونحكي لنعرف.

خبز وطحين من أجل بنات «نيا كانالينا»؛ خبز ونخالة من أجل السيدة كيتشو؛ رغيف ونصف من أجل السيدة بيلا. أروح إلى الضفة، لأعطي لها هراوة؛ أروح إلى مكان، لأعطي له آذان؛ أروح إلى ممر، لأصنع منه وعاء؛ أروح في المنتصف، لأعمل وسيطاً؛ أروح إلى القلب، وأكون فيه ضفيرة⁽¹⁾.

علينا أن نعرف أنها قصة السيد سانتاندر، متزوج، يلتزم مع زوجته بالقداس وهناك عشر على قميص، وراح مع زوجته إلى فعثرا على فأر، والفأر كان هزياً، فصنع من الفأر تبغاً، وهناك انتشرت القصة: كل من كانوا هناك سيموتون فضولاً.

علينا أن نعرف أنها قصة ثعلبة واقفة عند قدم شجرة مرتفعة، وعلى قمة نفس الشجرة كان ثمة عصفور يغرد.

قالت الثعلبة:

(1) هذا المقطع مدخل تقليدي لحكاية حدوتة أو حكاية شعبية، تشبه «كان يا ما كان، يا سعد يا إكرام، ما يجلى الكلام، إلا بذكر النبي عليه الصلاة والسلام».

كم صوتك رخييم يا أخي! هل يمكن أن تعلمني كيف أغرد؟
لا يا أختي، أنتِ غدارة، أجابها العصفور، لقد غدرتِ بالكثيرين
هنا.

أدفع لك مئة دودة يا أخي، إن علمتني التغريد.

شعر العصفور بالغواية وقال لها:

اتفقنا يا أختي، تعالي غداً عند الفجر واحضري معاكِ إبرة وخيطاً
طويلاً من الجدل، وحينها أعلمكِ.

وفي اليوم التالي، عند الفجر، جاءت الثعلبة وأحضرت للعصفور
إبرة وخيطاً من الجدل.

وحين وصلت الثعلبة، كان العصفور يغرد.

هبط العصفور من الشجرة.

هل أحضرتِ لي خيطاً من الجدل يا أختي؟ سألها.

نعم يا أخي، أجابت الثعلبة وسلّمته الإبرة والخيط.

حينها أخذ الخيط ولصمه بالإبرة ثم حاك فم الثعلبة بهما.

كانت الثعلبة تبكي ألماً، والعصفور يقول:

حكايات واساطير لاطينية |

احتملي يا أختي، إنها لحظات وأنتهي.

لا أبكي يا أخي، أنا فقط أتصنع البكاء.

حينها خيَّط العصفور بوز الشعلة، فلم يترك فيه إلا فتحة صغيرة،
فقال العصفور:

صفرّي يا أختي.

والشعلة حاولت: في، في، في، في... (من يحكي الحكاية يصفر
بصوت خفيض).

لا، لا تصفري جيداً يا أختي.

وخيَّط فمها أكثر.

حينئذ قالت الشعلة: في، في، في... (من يحكي يصفر أوى
قليلاً)

الآن أفضل يا أختي.

والشعلة دفعت له الدود وانصرفت سعيدة وهي تفكر:

كيف سأصطاد الحجلان الآن! سأغرد، وهي ستعتقد أنني
عصفور يغرد، وحينها سأقبض عليها بهدوء.

وراحت إلى الضفة حيث مكان الصيد، وشعرت بسير حجل هناك. بدأت الثعلبة تصفر، فطار الحجل في الحال وهو يقول:

في، في، في، في... في...

فزعت الثعلبة وقالت:

إلهي!

ولأنها صاحت بقوتها، انفك الخيط من فمها.

وهناك كان يسير حجل آخر وأرادت التصفير له، لكن لأن فمها صار طليقًا، لم تستطع، وفكرت:

أنا سأخيط في بنفسي.

ولهذا السبب تسير الثعلبات وهي تأكل الأسواط لترى إن كان ممكنًا تخيط فمها.

21 - العجوز الأحمق

هذان رجل عجوز وامرأة عجوزة.

العجوز كان نساءً وبه شيء من الحماسة.

وذات يوم قالت العجوزة للعجوز:

خذ معك أردب قمح إلى المطحن ليطحنوه لك، لا تدفع أكثر من ألمود واحد.

وحتى لا ينسى العجوز ظل يردد في طريقه:

ألمود واحد مقابل الأردب، ألمود واحد مقابل الأردب...

وفي الطريق قابل رجلين كانا يزرعان القمح، فتوقف ونظر إليهما وقال:

ألمود واحد مقابل الأردب، ألمود واحد مقابل الأردب...

فاقترب منه أحد المزارعين وضربه وقال له:

يا عجوز أحمق، الأفضل أن تقول: «فليُحصد أكثر».

وواصل العجوز طريقه وظل يقول، حتى لا ينسى:

فليُحصد أكثر، فليُحصد أكثر.

حتى التقى ببعض رجال كانوا يحملون معهم حمولة خمر، وكان الخمر يتسرب منهم، والعجوز يقول «فليُحصد أكثر، فليُحصد أكثر». حيثُذ غضب الرجال وأهانوه.

فسألهم العجوز:

ماذا يجب أن أقول إذن؟

فليُحصد أقل.

فواصل طريقه إلى المطحن وهو يقول:

فليُحصد أقل، فليُحصد أقل...

ثم قابل رجلين كانا موحولين في الطين، فخرج أحدهما وتوجه إلى العجوز وطلب منه أن يساعده على إخراج زميله، لكنه سمع العجوز يقول:

فليُحصد أقل، فليُحصد أقل...

وحيثُذ، بدلاً من أن يطلب منه المساعدة، وجه له اللكمات وقال له:

ينبغي أن تقول: كما خرج الأول سيخرج الآخر.

وراح العجوز يردد هذه العبارة.

حين بلغ المطحن، أعطى شوال القمح إلى الطحان، وكان أعور، وقال له:

كما خرج الأول سيخرج الآخر.

ظن الطحان أن العجوز يشير إلى العين السليمة المتبقية له، ولأنه كان سعي المزاج لا يحتمل المزاح، طحن الرجل العجوز بالركلات.

انصرف العجوز متألمًا بشوال القمح على ظهره، وعندما وصل إلى البيت قال للعجوزة إنهم لم يرغبوا في طحن القمح له.

حينئذ قالت له العجوزة إنها ستروح بنفسها وتطحنه، فحملت الشوال وخرجت وتركت العجوز يعتني بالحفيد.

وحين انصرفت العجوزة، لم يكف الحفيد عن البكاء فذهب برأس الجد، حينئذ أمسك برأسه وراح يبحث عن شاكوش ليضرب رأسه، وضرب الطفل قويا حتى قتله.

حين رمى الشاكوش في ركن، أصاب ديكًا روميًا كان راقداً،

وحتى لا تتجمد البيضات، رقد هو فوقها، ويجواره كان الطفل ميتًا.
وعادت السيدة، وأول ما رأت كان جثة الطفل، فنادت للعجوز،
فصاح العجوز:

كيف تريدان أن أنهض؟ ألا ترين الديك الرومي ميتًا وأنا أرقد
على البيض حتى لا يموت؟

حين شاهدت السيدة العجوزة كمية الخسائر، لم تتمالك نفسها،
وأنزلت على العجوز ضربًا بالعصي، حتى كادت تقتله.

22 - الأب الذي كان يتحدث بالإشارة

علينا أن نعرف أنهم أعلنوا في دير سان فرنسيسكو عن وصول زائر مرسل من روما؛ وهذا الأب، المعروف بحكمته الواسعة، كان أيضًا مشيرًا للجدل، غير أنه لم يكن يتحدث إلا بالإشارة، وتعيسة المدينة التي لا تفهمه! كان ذلك يشغل الآباء، فمن لديه القدرة على التجرؤ على رمز الحكمة وفهم هذه اللغة الصامتة؟ وكان المتدينون البؤساء يموتون خوفًا.

في نفس ذلك الدير، كان ثمة أخ غير متدين، يعمل في الحديقة، يدعى الأخ فولخينيو، رجل لا يزال شابًا، واضحًا وجريئًا، وحين رأى رؤساءه بوجه مرعوب اقترب من الأب الحارس، وكان بينهما مودة تسمح ببعض الحرية، وسأله:

هل من الممكن أن تخبرني قداستك أي ناموسة قرصت الآباء المقدسين فجعلتهم يسرون مطرقتين وشاردين؟

فحكى له الأب المصيبة التي وقعت على رؤوسهم، مصيبة أكيدة، إذ لم يعثروا على ديك قادر على العراك لوضعه على جبهة الضيف الذي أوشك على القدوم.

سأكون أنا هذا الديك، قال فلورينسيو، ولا تشغل بالك يا قداسة الأب.

في اليوم التالي يصل الزائر المرغوب فيه قليلاً، والأهالي يخرجون في استقباله في موكب هائل. الزائر لا يفرج شفته ويقتصر على تحيتهم بحركة بطيئة من رأسه.

وحانت ساعة الغداء، وهي أكثر الأوقات صعوبة، إذ يحلو للزائر بدء النقاش فيها، كأنه يتمتع بتقلصات ضحاياه.

دخلوا غرفة الطعام، وبعد أن انتهوا من الصلاة التي تسبق الطعام عادةً، جلس كل واحد في مقعده. حينئذ نهض الأب الزائر وأشار بإصبع. فخرج فولخينيو في الحال إلى الوسط، وأشار بإصبعين؛ فأشار الزائر بثلاثة أصابع، وأجابه فولخينيو بكف يده كاملة. سحب الزائر من المائدة تفاحة وقدمها بعجرفة إلى منافسه، وهذا بدوره سحب رغيفاً وبإشارة عجرفة رفع يده في وضع من سيرمييه. سحب الأب الزائر مقعداً برفعة، وحين رأى الرضا على وجوه الجميع عادت روحه إلى جسده، فأكلوا بشهية.. الآباء.

استمرت الزيارة ليوم، وفي اليوم التالي، مبكراً، كان على الزائر أن يرحل. وقبل وداعه قال له الأب الحارس:

اسمح لي سعادتك أن أرجوك أن تشرح لي معنى حديثك بالأمس مع فولخيثيو، فأنا أعترف لك بكل تواضع بأنني لم أستطع فهمها.

أيها القس، الأخ فولخيثيو رجل حكيم، ويستحق أن يقود القداس أفضل من آخرين. يجب أن تعرف أنني حين رفعت إصبعًا، أردت أن أعني أنه لا إله إلا إله واحد، وهو حين رفع إصبعين أراد أن يقول «نعم لا إله إلا إله واحد منحنا الحياة، لكننا مدانون لابنه بالنجاة». حينئذ رفعت أنا ثلاثة أصابع لأشير إلى أننا بالإضافة للأب والابن ينبغي أن نضيف الروح القدس، وهذا يعني أن الرب يتكوّن من ثلاث شخصيات مختلفة، والأخ فولخيثيو فهمني في الحال، لأنه قبض قبضة يده ليفهمني أن الثلاثة إله واحد، وليس أكثر. وفي الحال أظهرت تفاحة، لأشير إلى أن الإنسان هلك بسبب معصية آباءنا الأولين، بأكلهما للثمرة المحرّمة، وفولخيثيو رد عليّ بالخبز، قال: «لو أن الإنسان قد خسر نفسه بذنب آدم، فحقيقةً أيضًا أنه عوّض بالقربان المقدس». الأخ فولخيثيو رجل عظيم!

ورحل الزائر، وتنفس الآباء الصعداء، وشاعت في غرفة الطعام البهجة.

وبمجرد ما انتهى عمل الفك المغلق، أمر الأب الحارس الأخ فولخيشيو:

احك لنا يا أخ عما كنت تقوله للزائر وما كان يقوله لك، وكيف تمكنت من التفاهم معه.

انظروا، رغم أن المسألة واضحة ولا تحتاج إلى درس، يا قداسة الأب. هذه كانت محادثتنا:

أشار لي الأب الزائر بإصبع كأنه يقول لي: «سأضع هذا الإصبع من تحتك»، فجاوبت بقولي: «لو فعلت ذلك بإصبع، أفعال أنا بإصبعين؟ فأجابني: «أنا أفعل بثلاثة أصابع؟ فأجبت: «أفعلها بكفي كاملة»، وأظهرت له قبضتي مغلقة. قال لي: «يا وقح، لو واصلنا الكلام هكذا أسدد التفاحة عليك»، فأجبت: «تفاحات معي؟ لو رميتني بتفاحة، واحترامًا لأبوتك، سأعطي وجهي بالخبز». هذا كل شيء. وكما ترى قداستك، لم يكن الأمر يحتاج إلى موهبة كبرى لفهم المسألة.

23 - منادو الباعة الأربعة

كان هناك خبّاز راضيًا تمامًا عن فطائره، كان يتجول وهو ينادي بالمثل الشهير: «فطيرة من الفرن، بالزيتون والبيض، ساخنة ومن الفرن!» وأراد طالع السوء أن يتبعه بائع آخر يبيع الجوارب وينادي بصياح: «قوية وناشفة»

اعتقد الخبّاز أن بائع الجوارب يقول على فطائره إنها ناشفة حتى لا يشتري منه أحد، ليس أكثر من ذلك. وبالتالي ترك سلته وفطائره على الأرض وراح يلاكم البائع الآخر الذي لم يفعل إلا الإعلان عن واحدة من سلع متعددة يبيعهها.

في نفس تلك اللحظة، كان يمر بجانبهما بائع أغذية للمصاييح، وينادي: «يحتمل الضربات، يحتمل الضربات»؛ ففهم المتعاركان أن الرجل يصفق لملاكمة أحدهما للآخر، فقالا: «أنا بخير، أنا بخير»، وعقدا السلام معًا وركضا إلى حيث البائع الثالث؛ ولولا تدخل حارس النظام العام، لكانا صفيا الرجل. وكان الحارس على وشك أن يسجنهما، لكنه حين استمع لحجتهما، تركهما في سلام، والفقراء الثلاثة غدوا أصدقاء، وراحوا يدشنون صداقتهم بتناول

كؤوس البيرة.

لكن الشيطان الذي لا ينام، والحقود على أي سلام يحدث بسهولة بين الناس، زرع الضغينة بنفس السهولة بينهم، وسريعًا ما دب الخلاف والشجار.

كانت اللكمات الأولى قد بدأت حين سمعوا أصواتًا تقول: «الاحقكم، الاحقكم». وفكروا أن الحارس قد لحق بهم، وأنه بمشاهدتهم يتعاركون مجددًا سيقبض عليهم ويسوقهم إلى السجن، حينئذ تركوا سلعهم وركضوا كل واحد في طريق، بدون حتى أن يتجرؤوا على النظر إلى الوراء.

والحال أن الحارس، في تلك اللحظات، كان يتحدث مع خادمة ولم يكن ملتفتًا لما يحدث على مسافة منه، أما الصوت فكان صوت بائع تين يحمل فاكهته ويصيح: «التين، التين». هذا الرجل الأخير وجد أمامه بضاعة ثمينة خلفها الثلاثة وراءهم بعد أن أطلقوا سيقانهم للريح، فراح يختار أفضل ما فيها ورحل من طريق آخر.

24 - الدجاجة

هذه حكاية امرأة كانت طيبة جدًا، وقديسة. كانت زوجة لرجل سيء، رجل ضائع يمنحها الألم بدون أي سبب، وبدون أي ذريعة، كلما عاد إلى البيت. يؤلمها بسباب فظ، أو يؤلمها بالضرب، حتى تفقد وعيها. هذا الرجل كان مقامرًا وسكيرًا، ولم يكن ينفق على زوجته أقل الضروريات، لكنها كانت تعمل سرًا وبأجرها كانت تساعد نفسها على المعيشة وتؤكل زوجها كأنها تنفق من ماله الخاص.

وذات يوم، قال لها الزوج وهو خارج في الصباح إن عليها أن تعد غداءً ثريًا لأنه يدعو صديقًا، وعليها أن تنتبه، فلو نقص شيء أو كان الطعام بلا مذاق، سيضربها. وانصرف، بدون أن يترك لها ستافو واحدًا.

الصديق المدعو كان رجلًا رائعًا، وكان يعرف المرأة البائسة منذ صغرها، وكلما سنحت أمامه الفرصة كان يدافع عنها، على الأقل كان يجد لها عذرًا من الأقاويل الظالمة التي يشيعها زوجها. حين غدت المرأة بمفردها، جمعت كل ما تملكه، وكان قليلاً،

واستغنت عن كل ما لا تحتاج إليه، فذبحت دجاجة وأعدت غداءً محترمًا إلى حد كبير.

وفي الثانية عشرة كل شيء كان جاهزًا: كان البيت يلمع مثل شمس من شدة نظافته؛ والمائدة، المبسوطة تحت سقيفة (إذ كانوا في الصيف) كانت في انتظار وصول الزوج والضيف.

في نفس اللحظة التي طرقت فيها صاحب البيت الباب، كان ثمة دجاجة خارج العشة بالصدفة بدون أن تراها السيدة، وفي الخفاء تسلقت المائدة وتغطت على المفروش. واضطربت السيدة المسكينة من جريها وراء الدجاجة وهي تفكر كيف تداري هذه الفضلات بمنديل، أثناء ذلك كان الدق على الباب متكررًا ويعنف. آه يا إلهي! لو رأها زوجي سيقتلني.

وفتحت الباب، وما إن دخلا حتى قال لها الزوج قبل أن يلقي التحية:

ماذا جرى؟ أين الغداء؟ أي يؤس تقديمه لنا يا وقحة! الغداء كان يجب أن يكون جاهزًا، لكنك كالعادة لا فائدة منك.

لكن يا صديقي، قال له الضيف، من ماذا تشكو؟ ألا ترى أن كل

حكايات واساطير لاثينية |

شيء جاهز على أكمل وجه؟ زوجتك هذه قديسة! أنت لا تعرف قيمة امرأتك. يا ليت كل النساء مثلها، طيبات ونشيطات.

اسكت يا رجل، فأنت لا تعرف شيئاً ولذلك تدافع عنها. واحذر لأنني سأغضب منك.

وقعدا إلى المائدة، الزوج غاضب فيما يلتزم الضيف والزوجة الصمت. نظر الزوج إلى كل جانب وكان يزداد غضبه حين لم يجد شيئاً يلقيه في وجه زوجته، إذ كان كل شيء نظيفاً ومرتباً، وعلى أفضل حال؛ لكنه كان مضطراً لقول شيء للتخلص من استيائه، فصرخ:

هناك شيء ناقص يا امرأة!

ما هو؟ أجابته في ذل، هل أكون قد نسيت شيئاً ربما؟ ماذا ينقص يا ابني؟

ينقص هنا فضلات دجاجة يا امرأة الشيطان! صرخ الرجل.

لا لا، هي هنا يا بني، ورفعت المنديل. حتى لا تغضب.

حين شاهد الرجل هذا الموقف، عرف أن الله يقف بجوار زوجته وندم لسوء معاملته لها، وطلب منها المغفرة. ومنذ تلك اللحظة صار زوجاً مثاليًا.

25 - فوزرة الأحمق

كان هناك ملك وعد بأن يمنح شوالاً من الفضة لمن يقول فوزرة لا يستطيع هو حلها.

فكر رجل أحمق: أنا من سيقول هذه الفوزرة وسأربح الفضة.. وبدأ مسيرته نحو قصر الملك، وحين عبر بحقل رأى خفاشاً وفكر:

أملك الآن جزءاً من الفوزرة.

وبعد قليل صادف مأمأة خروف، فقال لنفسه:
هذا أيضاً سيفيدني.

وواصل طريقه، وحين عبر بحانة رأى رجلاً ومعه فاصوليا خضراء، فسأله ما هذه، فأجابه الرجل: فاصوليا خضراء أحتفظ بها في هذا الشوال.

فكر الأحمق:

فاصوليا فاصوليا بداخل الشوال.

وفي النهاية وصل إلى الساحة، ودخل القصر. فلقت انتباهه امرأة كانت تلقي سمكاً في طاسة تغلي، ففكر: الفضة صارت لي.

ووصل إلى حضرة الملك، وقال له الفوزرة التالية:

خفاشاً على خفاش، ومأمة

فاصوليا مع فاصوليا وفي شوال

وحين وصلت إلى الملك،

سمك في طاسة.

وبالفعل عجز الملك عن حل الفوزرة وسلّم الفضة للأحمق.

رامون لابلال

(تشيلي 1862-1929)

كاتب وباحث تشيلي، يعتبر أبرز من اهتموا بالثقافة الشعبية والفولكلور التشيلي في بدايات القرن العشرين، إذ كرس جزءاً كبيراً من حياته للتأسيس لهذا المجال، وأصدر العديد من المؤلفات فيه. أهم كتبه: «مجلة التاريخ والجغرافية التشيلية» (1930)، «أساطير وحكايات شعبية تشيلية من التراث الشفاهي» (1920) وهو الكتاب الذي ترجمناه بعنوان «أساطير وحكايات لاتينية».

كما أصدر «مساهمات في الفولكلور التشيلي» (1916)، «حكايات تشيلية لا تنتهي أبداً» (1910)، «حكايات بدرو أورديمالس» (1925)، وبحثه الكبير «عبارات تشيلية مقارنة بالعبارات الإسبانية» (1910)

عن المترجم،

أحمد عبد اللطيف (القاهرة، ١٩٧٨)

روائي ومترجم وباحث مصري، حصل على الليسانس في اللغة الإسبانية وآدابها من كلية اللغات والترجمة جامعة الأزهر، وحصل على الماجستير من كلية الفلسفة والآداب بجامعة أوتونوما دي مدريد الإسبانية، ودبلوم الترجمة من مدرسة طليطلة للمترجمين التابعة لجامعة لامانتشا.

صدر له ست روايات (صانع المفاتيح، عالم المندل، كتاب النحات، إلباس، حصن التراب-حكاية عائلة موريسكية الجمهورية المضيفة، ذات السلاسل - الكويت 2020)). فازت روايته الأولى بجائزة الدولة التشجيعية بمصر عام 2011، وفازت روايته الثالثة بالمركز الأول في جائزة ساويرس الثقافية عام 2015، ووصلت روايته الخامسة للقائمة الطويلة بالجائزة العالمية للرواية العربية (البوكر) عام 2018.

وفي الترجمة، ترجم من الإسبانية للعربية ما يزيد عن 20 كتابًا ما بين قصة ورواية ومسرح وسيرة وكتب نقدية، لكتاب من أمثال

جوزيه ساراماجو، خوان خوسيه مياس، جيوكوندا بيلي، وفاز عام 2013 بجائزة المركز القومي للترجمة بمصر عن ترجمته لرواية «الكون في راحة اليد».

ترجمة حكايات أندلسية ذات السلاسل الكويت ٢٠١٩

ترجمة الجمهورية المضيفة ذات السلاسل الكويت ٢٠٢٠

تعبدنا الحكايات الشعبية هذه إلى الرامة الأولى، إلى الطبيعة والطفولة، كما أنها تمثيل لفن الحكى في صورته الأولى، الأكثر بساطة وعمقا. الحكى، الذي بدأ مع الإنسان الأول واستمر مع البشرية كصفة لا يمكن الاستغناء عنها، كان يستهدف الوصول إلى معنى وكان يعلى المفاهيم الأخلاقية على كل شيء، لأن البشر أدركوا أن الأخلاق هي القانون الذي ينظم حياتهم، وبدونها تستحيل حياتهم غابة. بهذا المفهوم، تنطلق هذه الحكايات الشعبية لتؤسس مفاهيم العدل والخير، وإذ تفعل ذلك تتوسل التشويق وتنطلق من يوم عادي مثل بقية الأيام، وتختار شخصيات خارقة تمد بها إلى أبطال عاديين في أوقات الشدة، يد ملائكية لا تغيب عن المحتاجين ولا تتوانى في نجدة الأخيار، حين يشتد الصراع مع الشر، فالشر موجود بنفس القدر.

هذه الحكايات تعيدنا إلى القرية، حيث كل شيء هادئ، غير أن حياة الإنسان، مثلها في أماكن أخرى، معرضة للخطر، هي بذلك تلتقي بالحكايات العربية الشعبية، تذكّرنا بالف ليلة وليلة، وبالتراث الشعبي في كل قطر عربي، فالملائكة والشياطين، الخير والشر، السحرة والطيبون، كلهم يجتمعون في هذه الحكايات. هنا شعوب وملوك وممالك، طرق طويلة وعرة مليئة بالمخاطر، ورحلات سفر نهايتها بلوغ غاية مستحيلة، أمنيات تتحقق مهبها كانت صعوبتها، وآمال ينالها المجتهدون بعد تعب ومثابرة. كل ذلك في سياق فني وجمالي قاتن.



مشورات

ذات السلاسل

الكويت

E-mail: ths@thatalasalasil.com.kw
Web site: www.thatalasalasil.com.kw

الناشر، ذات السلاسل للطباعة والنشر والتوزيع

@THATALSALASIL

الكويت - ص.ب. 12041 الشامية 71651

@THATALSALASIL

تلفون، 22466266/55 (+965)

thatalasalasilbookstore

فاكس، 22438304 (+965)